من الدرس اللغوي المقارن

آيات الفتح في القرآن الكريم

(دراسة دلالية مقارنة)

د. رضوان منيسي عبدالله
أستاذ مساعد بجامعة الملك عبد العزيز
وجامعة بني سويف

دار النشر للجامعات



من الدرس اللغوي المقارن

آيات الفتح في القرآن الكريم

دراسة دلالية مقارنة

د. رضوان منيسي عبدالله

أستاذ مساعد بجامعة الملك عبد العزيز

وجامعة بني سويف

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

جاب الله، رضوان منيسي عبد الله
آيات الفتح في القرآن الكريم دراسة دلالية مقارنة د.رضوان منيسى عبد الله جاب الله –ط١– القاهرة: دار النشر للجامعات، ٢٠٠٧م.
٢٤٠ص ، ٢٤ سم.
تدمك ١ ٢٤٥ ٣١٦ ٩٧٧
١- القرآن ، مباحث عامة
أ- العنوان ٢٢٩

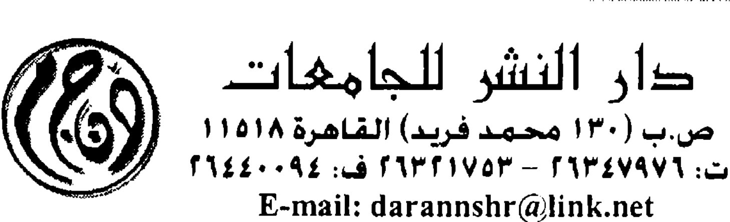
الناشر: دار النشر للجامعات

سنة الطبع: ٢٠٠٨م

رقم الإيداع: ٢٠٠٧/٢٥٩٩١

الترقيم الدولي: I.S.B.N: 977 – 316 – 245 - 1

الكود: ٣/٤٠٩



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا
تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ
وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا
عَزِيزًا ۝٣﴾ [الفتح]



لا ينبغي أن يفوتني في مناسبة إصدار هذا الكتاب أن أنسب الفضل لأهله وأهل الفضل – بعد الله – في هذا العمل كثيرون وأخص العالمين الجليلين:

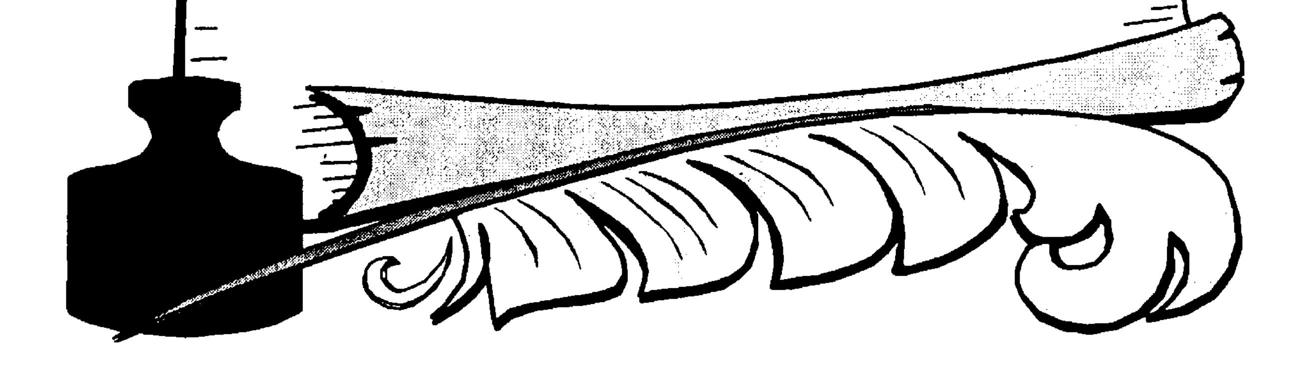
أستاذي الدكتور صلاح الدين حسنين

أستاذي الدكتور محمد إبراهيم عبادة

فقد راجعا الدراسة وأرشداني إلى

أفضل ما كتبت ، فلهما شكري وتقديري

وعند الله خير الجزاء



الإهداء

إلى اثنين لهما عليَّ فضل

والدي عرفاناً بجهده

أطال الله عمره

أستاذي رمضان عبد التواب

تقديراً لعلمه

طيب الله ثراه



محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة

الموضوع | **الصفحة**

* * *

مقدمة

ألفاظ القرآن الكريم هي زبدة كلام العرب، والانشغال بألفاظ القرآن الكريم ومدارسة معانيه من أشرف أبواب العلوم العربية، ولطالما تاقت نفسي إليها.

ولقد دفعني حبي لعلوم القرآن الكريم ولغته إلى الحوم حول ألفاظه ومعانيه، وصادف ذلك اطلاعي في مكتبة أستاذي الكبير الدكتور رمضان عبدالتواب - رحمه الله- على تقرير للمستشرق الألماني (أوجست فيشر) يضع فيه اقتراحا بعمل معجم تاريخي للغة العربية وتولدت لدي الرغبة في دراسة دلالة بعض ألفاظ القرآن الكريم دراسة تاريخية، وقد نصحني الدكتور رمضان عبد التواب – رحمه الله تعالى – أن أتحرى مادة لغوية تتوفر فيها بعض الشروط اللغوية، منها:

(١) أن تسمح المادة اللغوية بالدرس المقارن مع الساميات.

(٢) أن يكون بالمادة اللغوية مُشكلٌ دلالي في التفسير.

(٣) أن تمثل المادة وحدة دلالية ومعجمية واحدة.

وبعد اطلاعي على عدة قضايا وموضوعات، عرضت عليه (آيات الفتح في القرآن الكريم) فوافقني على ذلك، وبَـيَّنَ لي أن هذه المادة تفي بالشروط السابقة؛ فهي من المشترك السامي، ولفت نظري إلى أن هناك مقولة لابن عباس –رضي الله عنهما- ترد في كتب اللغة والأدب والتفسير تتعلق ببعض آيات الفتح وفحواها أن ابن عباس لم يكن يعرف معناها! (أي لفظة الفتح) حتى سمع الكندية تقول (كيت وكيت...)، وطالبني بالإسراع في تتبع هذه القضية، وبعد قراءة استطلاعية وجدت أن الموضوع يحقق الأغراض التالية:

- أنني بدراسة آيات الفتح يمكن أن أقدم نموذجا تطبيقيا للدراسة في تاريخ الدلالة ومعرفة أصول المعاني التي تمكننا من تمييز العناصر الدلالية المختلفة.

- دراسة بعض قضايا الدلالة من خلال قراءة تطبيقية مباشرة مثل المشترك اللفظي والترادف والتضاد.

- الإفادة من معطيات علم اللغة الحديث بكافة فروعه في خدمة ألفاظ القرآن الكريم ومعانيه.

- وضع جهود علماء الدلالة من العرب في موضعها المناسب من الدرس اللغوي المعاصر.

- معرفة مضامين كتب التفسير في بعض القضايا الدلالية ومحاولة رصدها وتوصيفها.

- الإسهام في إيجاد تفسير موضوعي للقرآن الكريم يعتمد على النقل الصحيح والدراسات اللغوية، مما يساعد على فهم مراد الله من كتابه وهو واجب شرعي(١).

- الإسهام في سد ثغرة في الدراسات التاريخية للدلالة من الناحية التطبيقية، وهو الأمر الذي يعمل على إيجاد المعجم التاريخي للغة العربية.

- الكشف عن جوهر الثقافة العربية الإسلامية عن طريق التحليل الدلالي والتاريخي، فتاريخ اللغة هو تاريخ الثقافة.

- ربط الدارسات اللغوية بالقرآن الكريم، حيث تولدت الدراسات اللغوية لدى السابقين من خلال خدمتهم للقرآن واهتمامهم به.

- ما تمثله دلالاتُ الألفاظ في القران الكريم من قيم دينية وحضارية وتاريخية فالقرآن الكريم هو الثروة الدائمة والرصيد الخالد للغة العربية والحضارة الإسلامية.

ولا أستطيع أن أتحدث عن كل ما واجهني في هذه الرحلة الشاقة مع تاريخ الدلالة فهي كثيرة ولكنني أمثل لبعضها:

- لقد شعرت في بداية البحث بالقلق الشديد فالنصوص التي يُعتمد عليها في التتبع الدلالي تُعد ضرباً من المجهول فلم أكن أعرف إذا ما كانت هناك دلالات لأصل هذه اللفظة في الأدب الجاهلي أم لا، وكذلك الحال بالنسبة للغة العبرية واللغات السامية الأخرى ونقوشها.

- تعدد جوانب القراءة في الموضوع كان يتحتم على قراءة كل ما يقع بين يدي من دواوين الشعر العربي القديم والتفتيش عن اللفظة في بحر التراث الضخم من الأشباه

---

(١) انظر تفسير التحرير ١/ ٣٣.

والنظائر والغريب والمشترك اللفظي وكتب التفسير كي أنتفع بكل معلومة وثيقة الصلة بالموضوع.

- قراءة العهد القديم في اللغة العبرية أخذت جهداً كبيراً ووقتاً طويلاً ناهيك عن رموز العهد القديم وأشكال الخط العبري بمدارسه المختلفة لقد كانت معاناةً حقيقية .

- علاقة الموضوع بالقرآن الكريم علاقة مباشرة ونحن نعلم أن القرآن الكريم قد دارت حوله دراسات لا حصر لها على مر العصور مما يصعب عملية الإلمام بها فضلاً عن فحصها وتصنيفها وتقييم بعض نتائجها .

- علاقة الموضوع بمجالات متعددة من الدرس اللغوي ففيه التحقيق والتوثيق ودراسة النقوش والمقارنة ومدارس التحليل الدلالي وغير ذلك.

وقد واجهت مشكلات أثناء الخطوات الإجرائية للبحث من ذلك أني أردت أن أعرف ما كتبه أحد العلماء الألمان عن دلالة مادة فتح في المصرية القديمة و القبطية وعلاقتها باللغات السامية ولكن كيف استوثق منها وليس بين يدي إلا مترجم عن الألمانية فقام الدكتور إبراهيم الدسوقي مشكوراً بالاتصال بأحد الأستاذة في كلية الآثار لديه المرجع الأصلي وقرأ الدلالة وأرسلها إلـيَّ فجزاهما الله عني خيرا.

وقد واجهتني مشكلات كثيرة من هذا القبيل مثل التأكد من وجود اللفظة في النقوش السامية واختلاف قراءات العلماء لتلك النقوش.

وقد هيأ الله لي في كل خطوات البحث توفيقا من عنده وصبرا ألقـاه في نفـسي وحبـا ألقاه في قلوب أستاذتي يساعدني بعضهم بكتبه وبعضهم بمشورته ونصحه مما جعل حزن البحث سهلاً وعسيره ميسوراً.

هـذا اللون مـن الدراسة :

بعد التقدم الملحوظ في الدراسات التاريخية للدلالة على يد علماء الغرب؛ وجّه نفر من المستشرقين جهودهم إلى دراسة اللغة العربية من الناحية التاريخية أشـهرهم المستشرق الألماني (أوجست فيشر ١٨٦٥ - ١٩٤٩م)[1]، وقد كانت أمنيته دراسة اللغة العربية من الناحية التاريخية وعمل معجم تاريخي للغة العربية على غرار معجم أكسفورد

---

(١) انظر الحديث عنه في المقدمة المنهجية بالمبحث التاريخي.

التاريخي وجهز لهذا العمل مجموعة من التلاميذ النشطاء[١]، من بينهم براجشتراسر (Bergstrasser) ١٨٨٦ - ١٩٣٣م[٢]، والذي قدم مجموعة محاضرات عن التطور النحوي للغة العربية[٣]، وعن قواعد نشر النصوص العربية خلال زيارته لمصر وقدم (يوهان فك) مثالا لمادة (لحن) في العربية وإن غلب عليها السرد المعجمي في ملحق الكتاب[٤].

أما الدراسات التاريخية لعلمائنا المحدثين فهي مقصورة على ملاحظات لا تصل إلى درجة التتبع والمقارنة التاريخية الشاملة ذلك؛ لأنهم لم يهدفوا إلى الدرس التاريخي الشامل للألفاظ بقدر ما ركزوا على إلقاء الضوء على تلك الدلالات بصورة مقتضبة مثل ما فعل أستاذنا الدكتور محمود حجازي مع لفظة (اسم) والدكتور مصطفى هدارة مع لفظة (فن)[٥].

وقد عرض الدكتور عبد الصبور شاهين للدراسات التي تتناول اللغة العربية بمنظور المنهج التاريخي لكن جهدها انصب على الفلسفة اللغوية والفروض النظرية[٦].

وقَدَّمَ الدكتور عبدالعال سالم مكرم[٧] نموذجاً تطبيقيا لدراسة الدلالة تاريخيًّا، وهي كلمة (عرب)، تحدث فيه عن الأصل التاريخي لكلمة (عرب) ودلالتها في الجاهلية ورأي المستشرقين فيها، ثم ناقش مفهوم الحضارة العربية من خلال دلالة الكلمة قبل الإسلام

---

(١) عاونه في ذلك «بدرسين» وواصل «كرايمير» العمل فيه وأصدر الجزء الأول منه مبتدئا بحرف الكاف؛ لأن معجم لاين ينتهي عندها بإشراف تلميذه برونله ١٩٤٥م . انظر المستشرقين ٢ / ٤١٥ و٤٥١ . وانظر فصول في فقه العربية ٢٧٨.

(٢) قدم إلى مصر أستاذًا زائرًا وألقي في جامعتها (١٩٣١ - ١٩٣٢م) تلك المحاضرات. انظر المستشرقين ١/ ٤٥٠، ٤٥١.

(٣) صححها وعلق عليها ونشرها الدكتور رمضان عبدالتواب. القاهرة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

(٤) العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب ليوهان فك مع تعليقات المستشرق الألماني شبيتالر ترجمة الدكتور رمضان عبدالتواب . القاهرة ١٩٨٠م.

(٥) مجلة الوعي الإسلامي ٧٤ و ٧٥ . العدد ٣٤٨/ ١٤١٥ هـ/ يناير ١٩٩٥م.

(٦) انظر: في التطور اللغوي ٦٩ - ١٢١.

(٧) عنوان كتابه (ظواهر لغوية من المسيرة التاريخية للغة العربية قبل الإسلام) والنموذج الذي قدمه لدراسة تاريخ الدلالة أو تاريخ الكلمة يقع في حوالي ٣٠ صفحة من القطع المتوسط.

وبعده وتصوير الحضارة العربية في التوراة، ثم قام بتقييم الآراء حول دلالتها في ضوء المعاجم العربية.

وقد يظن القارئ في تاريخ الدلالة - للوهلة الأولى - أن هذا النوع من الدراسة هو علم ابتدعه علماء اللغة المحدثون ابتداعاً، بل - للإنصاف - نقول بأن علماءنا القدامى قد قَدَّموا جهودا لا تنكر في تتبع تاريخ الدلالة ومعرفة أصولها وكيفية تطورها عن تلك الأصول، وأقدم ما رأيته من تلك الجهود ما قدمه: أبو طالب بن سلمة بن عاصم (توفي ٢٩١ هـ) من دراسة دلالية وتاريخية لأمثال العربية[١]، وتتبع الدلالة لدى القبائل العربية ونسبتها إلى البيئة اللغوية، وقد أشار الشيخ عبدالعزيز الميمني إلى قيمة هذا المؤلف من الناحية التاريخية لدلالة الألفاظ[٢].

- ويمكن أن نعد كتاب أبي إسحاق الزجاج (٢٤١ - ٣١١ هـ) في تفسير أسماء الله الحسنى[٣] من هذا القبيل أيضا، حيث يعرض الاسم أو الصفة ثم يرجع بالدلالة إلى أصولها التي يظن أن الدلالة قد تطورت عنها.

- وقام أبو بكر محمد بن قاسم الأنباري (٢٧١- ٣٢٨ هـ) بمحاولة للدراسة الدلالية في كتابه (الزاهر في معاني كلمات الناس)[٤]، وجعل منطلقه من الكلمات التي يرددها الناس، ثم يبحث في دلالة الكلمات وتأصيلها في القرآن الكريم ودلالتها، ثم في الشعر الجاهلي مبينًا ماذا ما كانت لها دلالات مختلفة عند القبائل[٥].

أما المنهج ، فقد اعتمدت على المنهج التاريخي والمقارن فيما يخص الدراسة التاريخية التتبعية، وقد فصلت خطواته في المقدمة المنهجية التي وضعتها لهذا الغرض واستخدمت الأدوات المناسبة لهذا المنهج مثل علم النقوش والوثائق وتاريخ الكلمات.

واعتمدت على المنهج التحليلي والوصفي فيما يخص الدراسة الدلالية التزامنية وقد فصلت القول في ذلك التحليل ومستوياته في المقدمة المنهجية التي تسبق الدراسة الدلالية

---

(١) في كتابه المسمي (الفاخر) نشر في القاهرة ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م - تحقيق عبدالعليم الطحاوي.

(٢) انظر مقدمة كتاب الزينة ١٤.

(٣) نشر بتحقيق أحمد يوسف الدقاق - بيروت ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦م.

(٤) الكتاب نشر ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م - بيروت بتحقيق د. حاتم الضامن.

(٥) انظر مثال ذلك: الزاهر ١/ ٩٣، ٩٤.

أيضا وحرصت قدر المستطاع على أن أربط بين النظرية والتطبيق، وأن يكون المنهج محدِّداً دقيقا للدراسة التطبيقية وأن تتسق مع المنهج على أن يؤدي كل فصل إلى الذي يليه ، وإن كنت قد بدأت جمع فصول المادة على أساس دلالات القرآن الكريم والرجوع بها إلى الزمن، فان النتائج لا تؤتي ثمارها إلا في صورة عكسية وفق المنهج التاريخي المقارن حيث نبدأ من أقدم الدلالات ونتابعها عبر الزمن وقد قسمت الكتاب بابين:

الباب الأول يخص الدراسة التاريخية المقارنة. والباب الثاني يخص الدراسة الدلالية التزامنية.

وقسمت كل باب إلى: مقدمة في المنهج وثلاثة فصول في التطبيق.

أما الخاتمة فشملت على أهم النتائج والتوصيات والملحقات.

والله ولي التوفيق،،،

رضوان منيسي عبد الله

جدة بجوار مكة المكرمة

٥ رمضان ١٤٢٨ هـ

١٧ سبتمبر ٢٠٠٧ م

تعريف ببعض المصطلحات والرموز المستخدمة في البحث[١]:

أولاً: بعض المفاهيم والمصطلحات

- **آيات الفتح:** هي الآيات التي اشتملت لفظ الفتح في القرآن الكريم كوحدة معجمية، حيث تمثل الدلالات المختلفة لهذه المادة في الآيات الكريمة، محور الدراسة نبحث في أصولها التاريخية وفق المنهج التاريخي، ونحلل عناصرها وعلاقاتها المختلفة بمعطيات علم الدلالة .

- **الوحدة المعجمية والوحدة الدلالية:**

أيُّ امتداد من الكلام يمكن أن نتحدث عنه من جانبين :

عندما نركز على صيغة معينة نستخدم مصطلح الوحدة المعجمية lexical unit وعندما نركز على دلالة الصيغة نستخدم مصطلح الوحدة الدلالية[٢] semantic unit.

- **المصاحبة[٣] collocation**

وهي أن تجيء لفظة في صحبة لفظة أخري، وقد تكون علاقة التصاحب بينهما جزءًا من الأداء الدلالي في الوحدة الدلالية . فقد لاحظ (فيرث) أن جزءًا من معنى الكلمة يرجع إلى مصاحبته كلمات أخرى[٤] ورأى (روبنز) Robins أن المعنى يساوي توزيع

(١) هذا التعريف يقتصر على ما يكثر تردده في الكتاب أما بقية المفاهيم والمصطلحات فهي مبثوثة في كل أجزائه.

(٢) هذا التعريف اخترناه من عدة تعريفات لهذا المصطلح وهو تعريف نيدا Nida (في الدراسة التاريخية ص٣٣، ٣٤ من هذا البحث)، وذلك لمناسبة البحث وسيتضح استخدامنا لهذا التعريف عند التطبيق.

(٣) عرفها (فيرث)firth بأنها الارتباط الاعتيادي لكلمة ما في لغة ما بكلمات أخري معينة أو هي استعمال وحدتين معجميتين منفصلتين استعمالهما عادة مرتبطتين للوحدة بالأخري (علم الدلالة ٧٧، ٧٨) وانظر دراسة هذه الظاهرة في آثار اللغويين الغربيين (عند فيرث وتلامذته : هاليداي، Halliday وماكنتوش mc intosh وسنكلير sinclir وعند تشومسكي Chomsky وبوزج pozag ونيومارك New mark وفي آثار اللغويين العرب – في بحث للدكتور محمد حسن عبدالعزيز بعنوان: (المصاحبة في التعبير اللغوي) – القاهرة ١٩٩٠م.

(٤) انظر في ملاحظات فيرث : المصاحبة في التعبير اللغوي ٢٣، ١٦، ٣٧.

المفردة المدروسة في السياق، وبيان علاقتها بالمفردات الأخرى[1]، ويمكن أن نلخص أقوال اللغويين في هذه الظاهرة بأنها شكل من أشكال العلاقة التي تربط بين المفردات اللغوية ويكون له تأثير على المعنى.

المجاز figuratively نظر إلى المجاز على أنه مظهر من مظاهر التغير الدلالي يستعمل فيه لفظ مكان آخر لصلة بينهما[2].

* * *

(١) المرجع السابق ٣٤ ويقول أصحاب نظرية السياق (معظم الوحدات تقع في مجاورة وحدات أخري ومعاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة ما يجاورها). علم الدلالة ٦٨، ٦٩.

(٢) هذا المفهوم لمصطلح المجاز في البحث قد استقيته من خلال مناقشات العلماء حول ظاهرة التجوز في اللغة أو ما يعرف عند المحدثين بالانتقال الدلالي واعتمدت فيه على عدة مصادر منها:

التصور اللغوي عند الأصوليين ص١٠٣ وما بعدها، وسر الفصاحة ص١١٨، ودلالة الألفاظ ص١٢٧ - ١٣٣، ١٦٠ وما بعدها، وعلم الدلالة ص١٢٦، ١٢٧، ٢٤١، ٢٤٧ - ٢٤٩.

ثانيًا: الرموز المستخدمة في الكتاب:

م	الرمز العبري	المقابل العربي	المقابل اللاتيني	الوصف الصوتي
١	א	ء	'	وقفة حنجرية، شديد مهموس مرقق
٢	בּ	ب	b	صوت شفوي شديد مجهور مرقق
٣	גּ	ج	g	صوت غاري شديد مجهور مرقق (مزدوج في العربية الفصحى)
٤	דּ	د	d	صوت أسناني لثوي شديد مجهور مرقق
٥	ה	هـ	h	صوت حنجري رخو مهموس مرقق
٦	ו	و	w	صوت شفوي مجهور مرقق (شبه صامت)
٧	ז	ز	z	صوت لثوي أسناني رخو مجهور مرقق
٨	ח	ح	h	صوت حلقي رخو مهموس مرقق
٩	ט	ط	t	صوت لثوي أسناني شديد مهموس مفخم
١٠	י	ى	i	صوت غاري مجهور مرقق
١١	כּ	ك	k	صوت طبقي شديد مهموس مرقق
١٢	ל	ل	L	صوت لثوي جانبي مجهور (مرقق ومفخم)
١٣	מ ם	م	m	صوت شفوي أنفي مجهور مرقق
١٤	נ ן	ن	n	صوت لثوي أنفي مجهور مرقق
١٥	ס	سين سامخ	s' c	صوت لثوي أسناني صفيري يستخدم مع الأعلام في العبرية
١٦	ע	ع	C	صوت حلقي مجهور مرقق
١٧	פ ף	ف	F	صوت شفوي أسناني رخو مهموس مرقق
١٨	צ	ص	s	صوت لثوي أسناني رخو مهموس مفخم
١٩	ק	ق	k	صوت لهوي شديد مهموس
٢٠	ר	ر	R	صوت لثوي تكراري مجهور (مرقق ومفخم)
٢١	שׁ	ش	s	صوت غاري رخو مهموس مرقق
٢٢	שׂ	س	s	صوت لثوي أسناني رخو مهموس مرقق

م	الرمز العبري	المقابل العربي	المقابل اللاتيني	الوصف الصوتي
٢٣	תּ	ت	t	صوت لثوي أسناني شديد مهموس مرقق
٢٤	ב	ف	b	صوت شفوي أسناني مجهور مرقق
٢٥	ג	غ	g	صوت طبقي رخو مجهور
٢٦	כ	خ	h	صوت طبقي رخو مهموس
٢٧	פ	پ	p	صوت شفوي مهموس مرقق
٢٨	ת	ث	t	صوت أسناني رخو مهموس مرقق
٢٩	ד	ذ	d	صوت أسناني رخو مجهور مرقق

- اعتمدنا في هذه الرموز على مقدمة كتاب فقه اللغات السامية لبروكلمان ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب.

* * *

الباب الأول
[الدراسة التاريخية]

- مقدمة في المنهج وتشمل:
  (١) أهمية الدراسة التاريخية
  (٢) المنهج التاريخي
  (٣) المراحل التاريخية الكبرى للغة العربية
  (٤) خطوات البحث التاريخي

- الفصل الأول: مادة الفتح في النقوش السامية والحامية.
- الفصل الثاني: مادة الفتح في العبرية مقارنة بالعربية.
- الفصل الثالث: مادة الفتح في الأدب الجاهلي.

بسم الله الرحمن الرحيم

البحث التاريخي:

أهمية الدراسة التاريخية - غاية الدراسة التاريخية - في المنهج التاريخي وخطوات البحث فيه - المراحل التاريخية الكبرى للغة العربية - مادة الفتح في اللغات السامية - مادة الفتح بين العبرية والعربية، دراسة تقابلية مادة الفتح في العربية (مادة الفتح في الأدب الجاهلي).

أهمية الدراسة التاريخية:

إن النتائج المذهلة التي تحققت عن طريق الدرس اللغوي التاريخي لا تقدم البراهين على أهمية الدراسة اللغوية التاريخية فحسب؛ بل وتشهد بخصوبة هذا المجال، وتجدد البحث فيه، ذلك التجدد النابع من الحركة المستمرة لعجلة التاريخ، وتبعية الثروة اللغوية لهذه الحركة، مما يجعل قضايا التطور اللغوي من أعقد مجالات الدرس اللغوي، ولكن المعاناة المنتجة تُشعر بالمتعة، وتُعطي إحساسًا بالأهمية.

وتشتد الأهمية والصعوبة إذا كان مجال الدرس التاريخي هو المجال الدلالي semantics ، حيث تُعد الدراسة الدلالية من أبرز عناصر الدرس اللغوي المعاصر، وذلك بعد أن صارت قضايا المعنى من القضايا الأساسية التي تَشغل أذهان الباحثين المُحْدثين، تمامًا كما كانت عند قدامي اللغويين من الهنود واليونان والعرب وغيرهم[1].

واكتسبت القضايا الدلالية أهمية كبيرة - في الوقت الحاضر - وبخاصة بعد المشكلات التي نتجت عن دراسة الثروة اللغوية دراسة وصفية، مجردة عن المعنى، ومعزولة عن التطور التاريخي.

ودراسة التغير الدلالي عبر العصور جزء من دراسة التغير اللغوي بشكل عام، وهو يعتمد بدوره على مجموعة من العوامل التاريخية، وبينما يمكن دراسة هذه التغيرات دراسة

---

(١) ينظر: في دراسات هذه الأمم للغة: مقدمة (بلومفيلد) تحت عنوان: the study of language في كتابه (اللغة):

Leonard Bloomfield ،language. P.4،10 ،11.

وصفية هي محض تعريف بأشكال التغيرات الحادثة، فإنه لا يمكن عزلها عن الأحداث التي تصاحب وجودها[١].

المنهج التاريخي:

المنهج التاريخي هو عبارة عن تتبع الظاهرة اللغوية في عصور مختلفة وأماكن متعددة؛ ليُري ما أصابها من التطور[٢].

وهو علم يتميز بفاعلية مستمرة dynamic، فهو يدرس اللغة من خلال تغيراتها المختلفة، وتغير اللغة عبر الزمان والمكان خاصة فطرية في داخل اللغة، وفي كل اللغات، كما أن التغير يَحدث في كل الاتجاهات (النماذج الصوتية، والتراكيب الصرفية والنحوية، والمفردات)، ولكن ليس على مستوي واحد، ولا طبقًا لنظام مُعينٍ ثابتٍ[٣].

إذن المنهج التاريخي يقوم على ملاحظات وصفية من عصور مختلفة ومن خلال هذه الملاحظات يمكن استخراج القانون اللغوي من مقارنة هذه الملاحظات المتقابلة[٤].

إن غاية الدرس الدلالي التاريخي أو التغير الدلالي عبر الزمن إلى جانب كونها غاية لغوية محضة، فإنها تطمح لإيجاد إفادة تطبيقية في الدرس اللغوي بشكل عام، والمساعدة في حل الكثير من المشكلات المتعلقة بفهم المعنى[٥]، والتي توجد مفاتيح معرفتها في الوقوف على المناسبة التاريخية في مرحلة ما من مراحل التطور الدلالي كما أنها يُمكن أن تكشف لنا عن العديد من العلاقات الدلالية، سواء أكان ذلك على مستوي المفردات أم التراكيب، ومن المقاصد التي تهدف إليها الدراسة التاريخية خلال رصد الظواهر اللغوية وتتبعها ومقابلتها بغيرها من الظواهر - الخروج بقانون يضبط الظاهرة اللغوية أو المسار

---

(١) أسس علم اللغة ص١٣٨، وينظر: توضيحات جون ليونس حول مصطلحي synchronic، diachronic عند دي سوسير من حيث المفهوم والوظيفة في الفصل الذي عقده تحت عنوان semantic filds. وينظر في ذلك:

john lyons ،semantics ،voi. 1 ،p. 242 -245

(٢) ينظر: المدخل إلى علم اللغة ص١٩٦، وعلم اللغة بين القديم والحديث ص٥٥.

(٣) ينظر: أسس علم اللغة ص١٣٨.

(٤) ينظر: في التطور اللغوي ص١٨.

(٥) ينظر: في قيمة الدراسة التاريخية للكلمات أو ما يعرف بـ

(Etymology) Bloomfield، Language، p.5.

الذي سلكته خلال رحلتها عبر الزمن، أو على الأقل ما يؤثر في حركة السير سلبًا أو إيجابًا، والذي يُمكن عن طريقه الحكم على ظواهر مشابهة.

ويمثل المنهج التاريخي أهمية خاصة في دراسة اللغة العربية وثروتها العظمى - القرآن الكريم - حيث تتوفر المادة اللغوية، ولم تتوفر جهود الباحثين على دراستها دراسة تاريخية تتبعية مع ما مرت به اللغة العربية من أحقاب تاريخية مختلفة، يقول الدكتور عبد الصبور شاهين:

(ننظر إلى حالة اللغة العربية قبل الإسلام وبعده، فلقد كان نزول القرآن الكريم فاصلاً بين عهدين عاشتهما اللغة، وتعرضت في انتقالها من أولهما إلى الثاني لأعمق ما تتعرض له لغة من تغيرات جوهرية[1].

ولو أن البحوث اللغوية المتخصصة استطاعت أن تضع معجم اللغة في العصر الجاهلي، ثم في العصر الإسلامي، لظفر علم اللغة التاريخي بمادة خصبة للقيام بمقارنات علمية على جميع المستويات الصوتية والصرفية والنحوية، والدلالية، المعجمية)[2].

وقد حاول المستشرق الألماني الشهير (فيشر) Fischer [3]، عمل معجم تاريخي للغة العربية وضع له مقدمة مفيدة[4]، ومثل له بمثال واحد مفصل، ولكن المنية وافته قبل إتمام عمله هذا، وإن كان النموذج الذي قدمه وهو مادة (أبد)[5] لم يلتزم فيه المنهج التاريخي الذي وضعه في المقدمة، ولا التسلسل الزمني لتطور الكلمة، سواء من ناحية

---

(١) ينظر: الأثر الذي أحدثه الإسلام في اللغة العربية: دراسات في العربية وتاريخها ص١٢٢، وينظر: تاريخ اللغات السامية ص٢١٤، ٢١٥، وينظر كذلك: فقه اللغات السامية ص٣٠.

(٢) ينظر: في التطور اللغوي ص١٢.

(٣) أحد كبار المستشرقين الألمان، وحجة في اللغات الشرقية من عربية وعبرية، وسريانية، وحبشية، وفارسية، وغيرها، وقد شغل كرسي الدراسات العربية بليبزج منذ عام ١٨٩٩م. ينظر: البحث اللغوي ص٣١٦، والمستشرقون لنجيب العقيقي ٢/ ٤١٥، ٤١٦.

(٤) ينظر: المعجم اللغوي التاريخي لفيشر ص٢٢.

(٥) جمع فيشر هذه المادة في جذاذات، وقام المجمع بترتيبها بعد وفاته وفق تصوره الذي وضعه في تقرير قدَّمه إلى المجمع في حياته. ينظر: مادة (أبد) في المعجم اللغوي التاريخي نشره المجمع ص٣٢ـ ٣٥، وينظر: تقرير فيشر مصور بمكتبة الدكتور رمضان عبد التواب، ومادة (أبد) هي المادة التي استوعبها معجم فيشر، وقدم بعض المواد الأخري لكنه لم يستوعبها. ينظر: المستشرقون ٢/ ٤١٦.

النطق أو من ناحية الدلالة، وإن نجح إلى حدٍّ كبير في ترتيب المادة ترتيبًا داخليًّا، وذكر المصادر التي تعرضت لعلاج الكلمة، ولا شك أننا سنفيد من محاولة (فيشر)، ونحاول التغلب على الصعوبات التي واجهته قدر المستطاع.

المراحل التاريخية للغة العربية:

يقرر كثير من الباحثين أن تاريخ اللغة العربية القديم مجهول المراحل، غامض السمات، فهي لغة لم تعرف طفولتها، ولكن شوهدت في أوج نضجها في تلك الآثار التي نسميها بالأدب الجاهلي، وهي لا تكاد تتجاوز قرنين من الزمان قبل الإسلام[١] ، وليس بمعقول أن يكون العصر الجاهلي هو بداية عهد العربية بالحياة[٢].

يقول الدكتور إبراهيم أنيس في ذلك:

حين نفكر في حالة اللغة العربية قبل ظهور المسيحية (أي قبل الإسلام بسبعة قرون) مثلاً نجد أنفسنا في ظلام دامس، فليس بين أيدينا نصوص عربية ترجع إلى تلك العهود، فأقدم ما عثر عليه لا يكاد يجاوز القرن الثالث الميلادي، وليس معنى هذا أن اللغة العربية لم تكن موجودة قبل المسيحية، أو أنها أحدث من شقيقاتها السامية كالعبرية مثلا؛ بل يؤكد المستشرقون أن اللغة العربية المألوفة لنا قد احتفظت بعناصر قديمة ترجع إلى السامية الأم أكثر مما احتفظت الساميات الأخرى[٣].

ولكن يمكن أن ننظر نظرة إجمالية افتراضية إلى المراحل التي مرت بها اللغة الغربية، بناء على علاقتها باللغات السامية ذات الآثار المدونة، وبناء على ما عثر عليه من نصوص خاصة باللغة العربية في أقدم العصور، ثم ما مرت به اللغة العربية - والعرب - من أحداث تاريخية كبرى، يمكن تقسيمها إلى المراحل التالية:

(أ) المرحلة السامية (Semitic period):

وهي مرحلة افتراضية لا يمكن إعادة بنائها reconstruction اللغوي، ولكن يمكن

(١) ينظر: فصول في فقه اللغة ص٥٠.

(٢) ينظر: في التطور اللغوي ص٢٣.

(٣) ينظر: في اللهجات العربية ص٣٣، وفي قرابة اللغة العربية من السامية الأم ينظر: تاريخ اللغات السامية ص٧، وفقه اللغة ص١٤ ـ ١٦.

إيجاد الأدلة عليها، يطلق عليها العلماء (السامية الأم)[1].

وهي المرحلة التي جمعت بين الساميين كجماعة بشرية ودموية ولغوية واحدة، ثم أخذت اللغة العربية تنفصل شيئًا فشيئًا تبعًا لتميز الجماعة العربية من مجموعة الشعوب السامية، وشرعت في تكوين خصائص ذاتية تنفرد بها عن بقية اللغات السامية الأخرى، وذلك طبقًا لعوامل جغرافية، وحضارية، ودينية، وهذه المرحلة القريبة العهد بالسامية الأم لا نستطيع ـ كما قال العلماء ـ إعادة بنائها، ولكن يمكن التعرف على ملامحها العامة من خلال المنهج المقارن، ومن خلال المقابلة بين العربية وأخواتها الساميات، وبخاصة في المراحل التاريخية التي تفتقر فيها العربية إلى نصوص مدونة أو أية آثار لغوية، عندئذٍ يكون المنهج المقارن ضروريًّا.

(٢) مرحلة العربية الفصحى أو العربية القديمة: classical Arabic

وهي المرحلة التي استقرت فيها العربية على خصائص ثابتة، واتخذها مجتمع الجزيرة العربية لغة له، إنها لغة قريش؛ القبيلة العربية العظيمة التي أحاطت بها عوامل جغرافية وسياسية ودينية واقتصادية وقد رشحتها تلك العوامل للسيادة، وبالتالي رشحت اللغة القرشية لتكون الوعاء العربي الكبير الذي يستوعب نظم الشعراء، ونثر الخطباء في العصر الجاهلي، مما أعطاها صفة اللغة المشتركة، أو اللسان العربي، وأضفي عليها نوعًا من الرقي والتقدير في نظر العرب بأجمعهم، وبها نزل القرآن الكريم[2].

(٣) المرحلة التي يطلق عليها العربية المولدة: neo classical Arabic

(وهي اللغة التي نشأت بعد استقرار الفتح الإسلامي في الأمصار المفتوحة نتيجة لاختلاط العرب بغيرهم من الأمم والشعوب الأخرى ثقافيًّا وجنسيًّا)[3]، والتي

---

(١) لمعرفة أصل التسمية والموطن الأصلي للساميين، والتوزيعات الجغرافية والبشرية لهذا المصطلح. ينظر: تاريخ اللغات السامية ٢/ ٢٢، وفقه اللغة ٦/ ٢٢، وفصول في فقه العربية ٢٦ ـ ٣٥، وفقه اللغات السامية ١١، ١٢، وينظر:

Moscati، An introdution to the comparative grammar of semitic languages 3-12.

(٢) ينظر في نشوء الفصحى وسيادة لغة قريش، والأسباب المختلفة لهذه السيادة: العصر الجاهلي ١١٧ ـ ١٢١، وينظر كذلك المرجع السابق ص١٣١ ـ ١٣٧، وفصول في فقه العربية ص٧٦ وما بعدها.

(٣) ينظر: المولَّد ص٥٤١، ٥٤٢.

تطورت عنها العاميات الحديثة.

وقد بقيت المرحلة الوسطى - العربية الفصحى - هي الممثل الشرعي الوحيد للغة العربية[١] بكل خصائصها الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية، وهذا البقاء دائم أبدي، وذلك لتوفر ظرف تاريخي لم يتوفر لأية لغة من لغات العالم، يقول الدكتور رمضان عبد التواب - رحمه الله -: (غير أن العربية لها ظرف لم يتوفر لأية لغة من لغات العالم، ذلك أنها ارتبطت بالقرآن منذ أربعة عشر قرنًا، ودُوِّن بها التراث العربي الضخم الذي كان محوره القرآنَ الكريمَ في كثير من مظاهره، وقد كفل الله حفظه ما دام يحفظ دينه، فقال عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[٢].

خطوات البحث التاريخي:

إذا أخذنا اللغة على أنها دائمة التطور، فلا شك أن لكل كلمة تَطَوُّرَها التاريخيَّ الخاصَّ، ولذلك يجب أن نوضح هذا التطور بمقتضي ما لدينا من وسائل، وإنْ كان من شأن المسائل التاريخيةِ أن البحث فيها عرضةٌ للنقص قلَّ أو كَثُر، ولذلك وجب الانتفاع بكل نصٍّ يمكن العثورُ عليه، فالعناية ببدء التطور ترتبط ارتباطًا وثيقًا بمستويات التطور بعد ذلك، هل لاقت الكلمة موتًا في الزمن القديم أو الحديث؟ ، أو اندثر معنى من معانيها واسْتُعيض عنها بمرادف لها؟[٣].

فعند دراسة تاريخ الكلمات[٤] Etymology الثقافية، أو الحضارية عبر العصور المختلفة، تكون نقطة البداية من النظر إلى الكلمة موضوع الدراسة في أبسط صورة صوتية، ودلالية، وفي أقدم النصوص التي أمكن الوصول إليها، فنحاول الوقوف على الأصل، ثم تتبع هذا الأصل عَبْرَ مراحلِ نموه المختلفة والأصل التاريخي للكلمة[٥]،

---

(١) ينظر في ذلك وأسبابه: فقه اللغات السامية ص٣٠.

(٢) ينظر: التطور اللغوي ص١٢، والآية من سورة الحجر ١٥/ ٩.

(٣) ينظر: المعجم اللغوي التاريخي ص٢٢، ٢٣.

(٤) ظهر هذا المصطلح في الفترة من ١٨٣٣ ـ ١٨٣٦م على يد اللغوي الكبير أغسطس فردريك بوت (1802 August fredrich pott ـ١٨٨٧م) ثم تطور بعد ذلك في أوربا، وفصيلة اللغات (الهند ـ أوربية)، وإن قدم A.F. POTT جهدًا لا ينكر في وضع أساس هذا العلم. ينظر: L.Bioomfieeid، Language، p.10.

(٥) ينظر المثال الذي قدمه ليونارد بلومفيلد لهذا النوع من الدراسة بكلمة Mother في إنكليزية القرن التاسع عشر، أو الإنكليزية الحديثة، وكيف كانت في old English , old Frisian , old saxon ثم =

وبداية وجوده، أو الإحساس به، أو الأعلام المشتقة من الكلمة، أو النقوش الأثرية... إلى آخره، ويمكن صياغة هذه الخطوات في عدة أسئلة مبدئية: ما هو أصل الكلمة؟ ما درجة قدمها؟ أهي كلمة مشتركة بين عدة لغات من فصيلة واحدة؟ أم أنها خاصة بلغة بعينها من تلك اللغات؟[1].

ثم نقوم بفحص التغيرات التي طرأت على الكلمة والأسباب الكامنة خلف تلك التغيرات، مستعينين في كل تلك الخطوات بالتاريخ الحضاري، والتطور الفكري والأدبي والاجتماعي للجماعة اللغوية[2]، ولكي تُصْبحَ خطوات الدرس التاريخي أكثر شمولاً نقدم نموذجًا من الدرس المقارن للمادة في الساميات[3]، ولكن ماذا نعني بالدرس المقارن في هذا الإطار؟

منذ نشأة طريقة المقارنة بين اللغات، وهي طريقة تاريخية، وهي تحظي بمكانة مرموقة في علم اللغويات، وذلك لما تحققه من نتائج، (والمنهج المقارن ليس إلا امتدادًا للمنهج التاريخي في أعماق الماضي السحيق، وينحصر في نقل منهج التفكير الذي يُطلق على العهود التاريخية إلى عهود لا نملك منها أية وثيقة)[4]، ومع أن المنهج المقارن يولي وجهه شطر الماضي السحيق؛ فإنه في الواقع لا يؤتي ثمرته، إلا في اتجاه عكسي؛ لأنه يوضح تفاصيل اللغات الثابتة بالوثائق[5]، وإن من يلج ميدان الدراسة السامية المقارنة، يدرك على الفور مدي الصعوبة التي تقابل الباحث عندما يريد الرجوع بظاهرة ما في هذه اللغات إلى أصلها؛ ذلك لأن هذه اللغات ليست حلقاتٍ متصلةً في سلسلةٍ واحدة، يمكن اعتبارُ إحداها أقدمَ اللغاتِ والثانية أحدث منها... وهكذا ، بل هي على العكس من ذلك تعد خلفًا للغة واحدة، هي ما اصطلح العلماء على تسميته بـ(السامية الأم).

= في الفرع الجرماني الأعلى old high German إلى آخر ذلك، ثم في الإغريقية والأرمينية القديمة، والألبانية وقبل ذلك في السنسكريتية ليشمل الكلمة في فصيلة اللغات الهند أوربية بأجمعها من الناحية الصوتية والصرفية.

ينظر في ذلك: L. Bloomfield، language، p. 10..

(١) ينظر: التطور النحوي ص٢٠٩.

(٢) ينظر: المولد ص٣٨٥.

(٣) ينظر: الفصل الخاص بدراسة دلالة المادة بين العربية والعبرية.

(٤) ينظر: أسس علم اللغة، لماريوباي ص١٧٦.

(٥) ينظر: المدخل إلى علم اللغة ص١٩٨.

وهذه اللغة لا وجود لها الآن في صورة وثائق أو نقوش مكتوبة، وذلك فمن الممكن دراسة كل لغة من اللغات السامية منفردة، دراسة وصفية وتاريخية منتجة إلى أقصي حدٍ، غير أن استنباطَ الأصولِ الأولي أمر بالغ الصعوبة)[١].

إذن يحتاج القائم بالدراسة المقارنة إلى كل لغات الفصيلة السامية، وإذا ما ارتبط الأمر بمقارنة تاريخ الدلالة، فإن ذلك يستدعي فَحْصَ نصوصٍ كثيرةٍ من تلك اللغات، والاطلاع على التاريخ الفكري والحضاري للمتحدثين بها، وهو أمرٌ موقوفٌ على كبارِ الباحثين والعلماء، ولذلك سنقدم نموذجًا من الدرس المقارن لدلالة مادة الفتح بين العبرية والعربية، يمكن أن يكشف لنا عن العلاقات الدلالية المختلفة لهذه المادة من حيث الاختلاف والاتفاق، وأنماط الاستخدام اللغوي، وصلاتها التاريخية والدلالية المعقدة، فهي أشبه ما تكون بدارسة تقابلية بين اللغتين، ولكن في إطار المنهج المقارن، فهي ليست تقابلية محضة بمفهوم علم اللغة التقابلي[٢].

ويمكن أن نلخص الخطوات المنهجية التي تبني المبحث التاريخي في النقاط التالية:

(١) دراسة الجذر الثلاثي لهذه المادة (ف ت ح) في أقدم النقوش السامية التي وصلت إلينا؛ حيث الكلمات السامية في الغالب الأعم ثلاثية الأصل[٣].

(٢) دراسة مادة الفتح دراسة تقابلية بين العبرية والعربية، وبيان العلاقات الدلالية؛ لكشف الملامح المشتركة لدلالة الكلمة في الساميات، وبالتالي في المرحلة السامية الافتراضية.

(٣) فحص دلالة الكلمة في الشعر الجاهلي وفق مفهوم الوحدة الدلالية.

وتمثل هذه الخطوات الترتيب الطبيعي للمبحث الدلالي.

---

(١) ينظر: المدخل إلى علم اللغة ص٢٠٠.

(٢) هو أحد مجالات علم اللغة التطبيقي القائمة على نتائج علم اللغة التقابلي، الذي يقوم على تذليل الصعوبات التي تواجه متعلم اللغة من غير الناطقين بها، ويعتمد على المنهج الوصفي. ينظر في مفهوم هذا المصطلح: علم اللغة العربية ص٤٠، ٤١، وعلم اللغة بين القديم والحديث ص٦٣.

(٣) ينظر في الأصل الثلاثي للكلمات السامية: فقه اللغات السامية ص٨٣، والمدخل إلى علم اللغة ص٢٩٩، وينظر كذلك:

Wilheim von Humboidt ،on Language trans. Peter. Heath ،p.225.

الفصل الأول
مادة الفتح في النقوش السامية والحامية

١ـ دراسة النقوش وأقدم الصيغ.

٢ـ النقوش العبرية والكنعانية.

٣ـ النقوش العربية وخلفياتها الحضارية والمعجمية والساميات.

٤ـ مادة فتح بين السامية والحامية.

أولاً: مادة (ف ت ح) في النقوش السامية والحامية

التاريخ والدلالة: دراسة النقوش فرع من الدراسة التاريخية للغة، ولكنها ترتبط بالصيغة المكتوبة للغة، كما تظهر في الصور الكتابية والنقوش الأثرية، وتشتمل على دراسة النقوش وتفسيرها، ويعرف ذلك بعلم النقوش[1] Eplgraphy .

أقدم صيغ المادة:

تُعد صيغة (فَتَحَ) يَفْتَحُ (فعل - يفعل) المخففة من أقدم صيغ المادة في المعجم السامي، حيث يرجع تاريخها إلى تلك الحقبة التي جمعت بين الساميين كجماعة بشرية ولغوية ودموية واحدة، يقول برجشتراسر في معرض حديثه عن فتح عين هذه الكلمة - كلمة فتح - في المضارع المخفف (فتح يفتح) يقول: (وإذا قال قائل: ما السبب في أنهم مالوا إلى الفتحة في مضارع (فعل) (فتح) خاصة وليس في سائر أبنية الفعل والاسم؟[2] .

فالجواب هو أن (يفتح) أقدم بكثير من سائر المضارعات، وهي ترتقي إلى أول طور تكون من اللغات السامية، وكان القياس ليس بقوي بعد في ذلك العهد... ويضيف، فغلب في مثل (يفتح) التشابه الصوتي على القياس في اللغة السامية الأم، وبقي كذلك في

---

(١) ينظر: أسس علم اللغة ص١٤٠.

(٢) ينظر: التطور النحوي ص٦٣، وينظر في مسألة فتح عين المضارع في الأفعال المنتهية بحرف حلقي: S.Moscati ،An introduction ،p.58.

أكثر اللغات السامية والعربية معها فهي في الأكدية iptē وأصله yiptaḥ وفي العبرية yip̄taḥ وفي الآرامية Neptaḥ وفي الحبشية yeftaḥ ، ويضيف قائلا: ومثل (يفتح) بالتشديد أحدث كثيرًا، وكل أمثاله بنيت على قياس واحد فغلب فيها القياس على التشابه الصوتي»[١].

وقد وردت المادة في نقوش عبرية وكنعانية وعربية تُعد من أقدم النقوش التي عُثر عليها حتى الآن، ففي **النقوش العبرية** وردت في نقش جنائزي مثل بعض أخواتها الساميات، يُعرف بـ(نقش السلوان الجنائزي)[٢] (حوالي ٧٠٠ ق. م)، siloan (silwan) tomb والعبارة التي وردت في سياقها الكلمة (ملعون الإنسان الذي يفتح ذلك القبر)[٣].

أما النقوش الكنعانية[٤].

جاءت الكلمة في ثلاث منها، يرجع تاريخ النقش الأول إلى القرن الخامس قبل الميلاد، والثاني والثالث يرجع تاريخهما إلى القرن الثالث قبل الميلاد، وهي على الترتيب: نقش يحوملك، ونقش تبنت ملك صيدا، ونقش اشمنعزر ملك صيدا[٥].

النقش الأول:

وقد جاءت في النقش الأول (٥٠٠ ق.م) بمعنى فتحة الباب أو مدخل الباب (علي بن فتحي ز) وبمعنى النقش أو الزخرفة (علي فتح حرص زن)، ومعناه: فوق هذا النقش الذهبي، وقد وردت المادة بهذا المعنى الأخير في اللغة العبرية في سفر الخروج

---

(١) ينظر: التطور النحوي ص٦٣.

(٢) اكتشف في عام ١٨٧٠م عند مدخل قرية السلوان، وقام أفيجاد بترميم النقش وإعداده للتصوير وتفسيره ١٩٥٣م. ينظر: الكتابة من أقلام الساميين إلى الخط العربي ص١٢٢.

(٣) ينظر النقش وتفسيره المرجع السابق ص١٢٣، ١٢٤.

(٤) ولمعرفة الكنعانيين واللغة الكنعانية ينظر: تاريخ اللغات السامية ص٥١ ـ ٧٥، وفقه اللغة ص٣٤ ـ ٤٠، وفصول في فقه العربية ص٢٧ ـ ٣١، وينظر:

S. moscati ،An introduction ،p. 9 ،10

(٥) ينظر: تاريخ اللغات السامية ص٦٥ ـ ٦٩ ، وقد عُثر على نقش تبنت Tabnit ملك صيدا في صيدا عام ١٨٨٧م محفوراً على تابوت أسود من البازلت ويبدو من فحصه أنه صناعة مصرية ورجح الدكتور سيد فرج أن تاريخه يرجع إلى بادية القرن الثالث قبل الميلاد. انظر: الكتابة من أقلام الساميين ٩١-٩٤ .

(מְפֻתָּחֹת)[1] פִּתּוּחֵי חוֹתָם = mĕfuttāḥōṯ pittuḥi ḥōṯām ، والمعنى: منقوشان نقش الخاتم.

ومن المعروف أن العلاقة وطيدة بين هاتين اللغتين؛ الكنعانية والعبرية[2] .

النقش الثاني (٣٠٠ ق.م):

وفي هذا النقش يعبر الملك عن قلقه من فتح القبر، ونجد أن عبارة (لا تفتح) تتصدر الكتابة في بداية السطر ونهايته، وكأنها تعويذة سحرية، تمنع من فتح القبر على الميت، ويمكن تمثيلها في النقش على هذا النحو:

(......... لا. لا تفتح قبري "غرفتي" لا . لا تفتح قبري "غرفتي" فإذا فتحت قبري فلن تكون لك ذرية ....[3].

وواضح أن الفكرة الأساسية في هذا النقش هي الخوف من فتح القبر، والفعل الأساسي هو الفعل (فتح) المنفي دائماً، وقد ورد بصيغة المضارع والماضي.

وكذلك الحال بالنسبة للنقش الثالث (٣٠٠ ق.م)، حيث يستحلف الملك كل آدمي بألا يفتح عليه قبره، ويدعو على مَنْ يفتح قبره بالهلاك وانقطاع العقب.

وقد ترددت أصداء هذا الهاجس (فتح القبر) في أسفار العهد القديم، وإن كانت تبعث على القلق في النصوص الكنعانية، فإنها كريهةٌ وبغيضةٌ - في أسفار العهد القديم - في العبرية.

כִּי אֵין בְּפִיהוּ נְכוֹנָה קִרְבָּם הַוּוֹת קֶבֶר פָּתוּחַ = [4]

Kī ʾēn bĕfīhō Nĕkōnā Ḳirbām Hawwōṯ Ḳēḇēr pāṯūwaḥ

لأنه ليس في فمه صدق فجوفهم هوة وحلقهم قبر مفتوح.

ʾašpṯaō Ḳēḇer pāṯūwaḥĕ [5] = אַשְׁפָּתוֹ כְּקֶבֶר פָּתוּחַ

جعبته كقبر مفتوح.

---

(١) ينظر: سفر الخروج ٣٩/ ٦.

(٢) ينظر في علاقة الكنعانية والعبرية: فقه اللغة ص٤٥ ـ ٤٧.

(٣) ينظر: تاريخ اللغات السامية ص٦٨، والأرقام ٣، ٤، ٥، ٦، ٧ بالنقش الأصلي هي التي تعبر عن هذا المضمون. ينظر هذه الأرقام المرجع السابق، والنقش المشار إليه في الملحق رقم ٤.

(٤) ينظر: المزامير ٥/ ١٠.

(٥) أرمياء ٥/ ١٦. وقد وردت الكلمة في سياق فتح القبر في سفر حزقيال إصحاح ٣٧.

النقوش العربية:

أما النقوش العربية التي وردت فيها الكلمة، فهي تمثل قيمةً حقيقيةً، حيث أوقفت الباحث على تفسير مقبول لوجود معنى (حكم)، و(قضى) من بين دلالات مادة (فتح)، كما سنري ذلك تفصلا في بابه - إن شاء الله تعالى.

والنقشان العربيان اللذان وجدت فيها المادة - مختلفان في المكان والزمان والدلالة، فالنقش الأول[1] ينتمي إلى العربية الشمالية؛ حيث يؤرخ له وفقًا لتأريخ مدينة بصرى، والتي كانت تُؤَرِّخُ أخبارها وحوادثُها من حادثة دمار مملكة النبط[2] في سنة ٢٦٢ بعد الميلاد.

«دنه قبور صنعه كعبوبي حرتد للقص برت عبد منوتي امه دي هلكت في الحجر شنه ماه وشتين وترين بيرح تموز ولعن مري علما من يشنا القبوردا ومن يفتحه حشي يلده ولعن من بغيردا على منه».

ومضمون هذا النص لا يختلف كثيرًا عن النصوص الكنعانية السابقة (هذا القبر صنعه كعب بن حارثة للقيض بنت عبد مناة، أمه التي هلكت في الحجر سنة مائة واثنتين وستين من شهر تموز، ولعن رب العالمين من غيَّر هذا القبر، ومن فتحه يحس[3] بأولاده، ولعن من غيَّر الذي كتب أعلاه[4].

فنلحظ على النقش العربي الشمالي مع تأخُّره الزمني عن النصوص الكنعانية إلا أنه يدور

---

(١) لمعرفة المزيد عن هذا النقش ينظر: تاريخ اللغات السامية ص١٧٧، ١٧٨.

(٢) ينظر في أخبار النبط: تاريخ اللغات السامية ص١٣٤ ـ ١٤٤، وينظر في لغة الأنباط:

S. moscati ،An introduction.., p. 4,11.

وينظر في تدمير الرومان لمملكة النبط في مطلع القرن الثاني التدمير الأول ثم تدميرها للمرة الثانية في نهاية القرن الثالث الميلادي. الشعر الجاهلي مراحله واتجاهاته الفنية ص١٤، والعصر الجاهلي ص٣١، ٣٢.

ولمزيد عن أخبار مملكة الأنباط ولغتهم وكتابتهم وملوكهم وحروبهم وآثارهم ينظر: آثار الأردن لانكستر هاردنج ص١١١ ـ ١٣٦.

(٣) حسهم يحسهم حسا: قتلهم قتلا ذريعا مستأصلا، وفي التنزيل العزيز: {إذ تحسونهم بإذنه} أي: تقتلونهم قتلا شديدًا. اللسان مادة (حسس) ٢/ ٨٧٢، والآية من سورة آل عمران ٣/ ١٥٢.

(٤) ينظر ترجمة النقش في تاريخ اللغات السامية ١-١٧.

حول الدلالة الحسية المباشرة، وهي إزالة الإغلاق أو إحداث فجوة في جسم صلب.

والنقش العربي الثاني ينتمي إلى العربية الجنوبية، حيث عُثر عليه في منطقة قَتَبان اليمنية[1]، ولم يتعرف العلماء على تاريخه بعد، ولا على تاريخ قتبان نفسها[2] ، ولكنهم اتفقوا على وجودها قبل الميلاد، وقد امتد هذا الوجود إلى القرن الثالث قبل الميلاد تقريبًا؛ إذ النقش العربي الجنوبي أقدم بكثير من النقش الشمالي، وربما أقدم من النصوص الكنعانية السابقة، ومع ذلك نلمح في هذا النص مناسبة تاريخية توضح كيف تطورت دلالة الفعل (فتح) إلى "حكم" و"قضى"، وهي دلالة انفردت بها العربية الجنوبية دون سائر اللغات واللهجات العربية، وقد انفردت بها الفصحى - بعد اعتمادها هذه الدلالة - دون سائر الساميات بعد ذلك، وأول ما نلحظ على هذا النقش أنه وضع على باب قصر وليس على باب أو مدخل قبر، وترجمة النص بحروف عربية: (ول يفتح هج ذن ذ محرن بخو خلفن ذو شدو ورخس ذو عم خرف اب على بن سحز قدمن...)

وتعلماي يد شهر

ومعنى النص: (وليفتح هذا الأمر أي يعلن على طريق باب ذو شدو في شهر ذو عم من السنة الأولي من سني أب على بن سحز أو من قبيلة شحر، أو من آل شحر)، وجاءت بعد هذه الفقرة الأخيرة جملة (وتعلماي يد شهر) أي: وقد علمته، أي: وقعته يد شهر، بمعنى: وقد وقعه شهر بنفسه، وقد خول الملك (كبرتمنع) أي كبير مدينة تمنع[3] العاصمة

---

(١) لمعرفة تاريخ وحضارة قتبان ينظر: اللغة العربية في عصور ما قبل الإسلام ص٤٩، ٥٠، والمفصل في تاريخ العرب ٢/ ١٧١ ـ ١٧٣، وصفة جزيرة العرب ص٢١٤، ٢١٥، ٢٤٣، ٢٧٨، ٣٤٤. وينظر: فقه اللغة ص٧٧، ومعجم قبائل العرب ٢/ ٩٣١.

S. Moscati ‹An introduction.. p. 14.

(٢) حاول الباحثون في العربيات الجنوبية وضع تقويم لحكومة قتبان غير أنهم لم يتفقوا حتى الآن تعيين بداية أو نهاية لهذه المملكة، وقد رجَّح (هومل) تاريخها إلى ما قبل سنة ١٠٠٠) قبل الميلاد.

وذهب (ملاكر) إلى أن ابتداء حكمها حوالي ٦٤٥ ق.م، ونهايته في القرن الثالث قبل الميلاد. ينظر: المفصل في تاريخ العرب ٢/ ١٧٧، وقد ذهب بعض الباحثين إلى أنها عاصرت مملكة معين. ينظر: تاريخ اللغات السامية ص٢٣٩، وينظر كذلك الكتابة من أقلام الساميين إلى الخط العربي ص٢٣١.

(٣) تعرف عاصمة مملكة قتبان بـ(تمنع) أو تمنه أو تمنا.

ينظر: المفصل في تاريخ العرب ٢/ ٣١٢، وينظر: تاريخ اللغات السامية ص٢٣٦، وتسمي حاليًا بـ(كحلان) ينظر: اللغة العربية في عصور ما قبل الإسلام ص٤٩.

أحد الولاة بتنفيذ ما جاء في هذا الأمر الملكي[١].

النظام القضائي في مملكة قتبان[٢]:

تُعدُّ بلادُ اليمنِ من أقدمِ مراكزِ الحضارة عند الأمم السامية، وقد بلغت شأنًا عظيمًا في كل أوجه النشاط الحضاري؛ الزراعية والتجارية والصناعية[٣]، ولكن الجوانب السياسية والإدارية والقضائية تفوقت بدرجة كبيرة على كل الحضارات المعاصرة في ذلك الوقت، وقد تميزت كل مملكة من ممالك الجنوب العربي بمزية خاصة بها، فبينما نجد السبئيين قد برعوا في الجانب الزراعي والعمارة والتشييد[٤] نجد المعينيين قد بروزا في الجانب التجاري[٥]، بينما نجد أن مملكة قتبان قد تفوقت تفوقاً لا مثيل له في الجانب القضائي[٦] والإداري، ووضع القوانين واللوائح بكل نواحي الحياة الاجتماعية

---

(١) ينظر في النقش وترجمته ومعناه: المفصل في تاريخ العرب ٢/ ٢١٢، ٢١٣.

(٢) نهدف من خلال عرض السياق الاجتماعي الذي ولدت فيه الدلالة (أوجه النشاط الحضاري بشكل عام والنظام القضائي في مملكة قتبان بوجه خاص) إلى كشف ظلال الخلفية التاريخية والحضارية المتعلقة بهذا المعنى الخاص القادم من الجنوب والذي أيدته الشواهد اللغوية، وجاءت به النقول الصحيحة، حيث قيل: (الفتاح: القاضي بلغة اليمن) كما سنري ذلك في بابه إن شاء الله تعالى.
وعرض السياق الاجتماعي للدلالة من الوسائل التي ستساعدنا في بيان الصلات اللغوية بين قبائل الجنوب العربي واللغة الفصحى، وكذلك في قضايا مثل تحصيل المعنى والتطور الدلالي عند معالجة ذلك في المبحث الدلالي.

(٣) ينظر في ذلك: تاريخ اللغات السامية ص٢٨٨.

(٤) ينظر ما حكاه القرآن الكريم عن سبأ ومدنيتها المتقدمة في سورة سبأ ٣٤/ ١٤ ـ ٢٠، حيث ذكرت الآيات مظاهر الحياة المدنية الراقية؛ من إقامة السدود والمساكن والحدائق الغناء.

(٥) ينظر في ذلك: فقه اللغة ص٧٥، ٧٦ د. على عبد الواحد وافي.

(٦) ينظر في الوثائق القضائية البالغة الدقة التي أوردها الدكتور جواد على في المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: وثيقة في قانون جباية الضرائب ٢/ ٢٠٣. وثيقة قانون ينظم الأرض الزراعية ٢/ ٢٠٨ ـ وثيقة قانون العقوبات ٢/ ١٩٣.
يقول د. جواد على معلقًا على نص قانوني قتباني: (فنحن هنا أمام نص قانوني صدر باسم ملك من الملوك، أمر هو بإصداره ودون أمامه، وشهد هو بنفسه عليه ووقعته يده، دلالة على شهادته بصحته، وبأنه نص شرعي ملكي معترف به، فعلي أتباعه السير وفقًا لأحكامه، ولما جاء فيه، وفي مثل هذه العبارات القانونية دلالة على وجود فهم للقانون، وإدراك له عند العرب الجنوبيين. المرجع السابق ج٥ ص٤٧٤.

والسياسية والاقتصادية والزراعية[1] ... إلى آخره، وكان نظام تنفيذ الأحكام الصادرة عن مجالس شوري الولايات الخاضعة لمملكة قتبان يتم بطريقة في غاية الدقة والديمقراطية حيث تُعرض القضية على هذه المجالس لبحثها ثم تبدي ملاحظاتها وترفعها إلى مجلس شوري المملكة في «تمنع» وتعتمد من قبل الملك، وترسل إلى المقاطعات التابعة إلى المملكة[2]، وتعلق على باب حاكم المقاطعة[3]، ويعمل بها في وقت واحد من تاريخ فتح رسالة الملك وليفتح هذا الأمر ويقضي به من تاريخ فتحه على باب المدينة ويمهر هذا القانون بتوقيع الملك عليه بنفسه وتوقيع أعضاء المزود[4] وكبار الموظفين.

ويبدو لي من خلال النقوش القتبانية - والله أعلم - أن كلمة الفتاح أطلقت أول الأمر على الموظف الذي يخوله الملك تنفيذ القانون الصادر من جهة الملك في حق الرعية،

---

(١) يوضح الدكتور جواد على أن أهم ما تميزت به الكتابات القتبانية مبينًا أهم أغراضها، وقد وردت في إصلاح الأرض، أو شراء ملك أو تعمير دار أو نذر، وما شابه ذلك... ويقول: "غير أننا نري في الذي وصل إلينا منها أنه يمتاز عن غيره من الكتابات العربية الجنوبية بكثرة ما ورد فيه من نصوص رسمية تتعلق بالضرائب أو القوانين أو التجارة، بالقياس إلى ما ورد من مثله في الكتابات المعينية أو الحضرمية أو السبئية. ينظر: المفصل في تاريخ العرب ٢/ ١٧٤.

(٢) يري الدكتور (جواد علي) في الوثيقة القانونية الخاصة بالملك القتباني (يدع ابن ذبيان بن شهر) أنها وثيقة عالمية فيها روح التشريع الحديث وفلسفة التقنين حيث ترينا أن الملك هو المرجع الأعلي للدولة، هو وحده الذي يملك حق إصدار القوانين ونشرها، والأمر بتنفيذها وترينا هذه الوثيقة أن مجالس الشعب وهي المسماه بـ(المزود)، وتتكون من ممثلي المدن ومن رؤساء القبائل والشعاب، هي التي تقترح القوانين وتضع مُسودات اللوائح إذا وافقت المجالس عليها عرضتها على الملك لإمضائها ولنشرها. المفصل في تاريخ العرب ٢/ ١٩٢، وينظر الوثيقة الموقعة من قبل أعضاء المزود والرؤساء وكبار الموظفين والملك. المفصل ٢/ ١٩٣.

(٣) ينظر قيمة إعلان الوثيقة القانونية على باب حاكم القاطعة أو في الساحات العامة. المفصل ٥/ ٤٧٧.

(٤) (المزود) بالزاي نقلا عن المفصل في تاريخ العرب ٢/ ١٩٢، وشرح مهمتها في الهوامش السابقة، و(المذود) بالذال بدلا من الزاي في اللسان ٣/ ١٥٢٥ من معانيه اللسان لأنه يذاد به عن العرض، قال حسان بن ثابت:

لساني وسيفي صارمان كلاهما ... ويَبْلُغُ ما لا يبلغ السيف مذودي

ويبدو لي - والله أعلم - أن هذه المجالس التي تمثل طوائف المملكة المختلفة هي بالذال (مذود) فهي التي تذود عن مصالح الناس، وهي لسان حال الشعب وإذا ثبت ذلك فإن هذا يدل أكبر دلالة على أن الرقي الحضاري لبلاد اليمن كان له أكبر الآثار في الرقي الدلالي للألفاظ العربية التي اعتمدتها اللغة الفصحى من لغات اليمن.

فهو الذي يفتح الأمر للإعلان والتنفيذ، وبالتالي فهو الفاتح والفتاح، وبالتالي يتفاتح عنده الناس بناء على القانون الموضوع، وقد صدر النقش الذي تحدثنا عنه بالعبارة التالية (قانون أصدره وأمر به شهر هلال بن ذرأ كرب ملك قتبان لشعب قتبان ومعين وذي علشن وذي عشم أصحاب أرض شدو)، وقد نظم هذا القانون هذه الشعوب الأربعة في كيفية استغلال الأرض، وعين الأعمال المترتبة عليها، وأنذر المخالفين بفرض العقوبات عليهم، وأشار - كما بينا - إلى الموظف الذي خول حق تنفيذ ما جاء فيه(١)، وقد اكتسب هذا الموظف بلا شك مكانة كبيرة عند الناس، فهو الذي يفتح أمر الملك للإعلان به وللحكم في نفس الوقت، وقد أصبحت هذه الصفة من علامات الشرف والسيادة التي رددها الشعراء، وشعراء الجنوب على وجه الخصوص، وذاع مضمون هذه الكلمة في كل أنحاء الجزيرة العربية - مع معرفة هذه البيئة التي صدرت عنها هذه الدلالة(٢) وكانت قريش مع فصاحتها، وحسن لغاتها، ورقة ألسنتها، إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسنَ لغاتِهم، وأصفى كلامهم، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى نحازهم وسلائقهم التي طُبعوا عليها فصاروا بذلك أفصح العرب(٣) ، وينطبق ذلك على لفظة الفتاح الدالة على الشرف والسيادة والحكم والحكمة فتلقفته قريش، وكذلك فصحاء العرب في كل الجزيرة، ونقلت بالتالي أصل الكلمة (فتح، يفتح، فاتح والفتاح والفتاحة والمفاتحة والمفاتحات) وأخذت معنى الحكم والقضاء.

إلى جانب الدلالة الموجودة عند كل العرب وهي إزالة الإغلاق والتي بقيت مقصورة على إزالة الإغلاق في الأمور الحسية(٤)، وأصبح لدينا دلالةٌ جديدةٌ لمادة فتح

---

(١) ينظر: المفصل في تاريخ العرب ٢/ ٢١٢، ٢١٣.

(٢) يقول ابن فارس في هذا المضمون ـ بعد أن يورد أمثلة لاختلاف لغات العرب ـ: (وكل هذه اللغات مسماة منسوبة إلى أصحابها... وهي وإن كانت لقوم دون قوم، فإنها لما انتشرت تعاورها كل) [ذهب آرثر جفري إلى أن المعاني الخاصة ـ الواردة في القرآن ـ في مادة فتح ربما يكون مصدرها اللغة الحبشية وانتقلت إلى الفصحي من خلال عرب الجنوب، وما توصلنا إليه يؤكد أن ذلك بعيد؛ بل التطور قد حدث في البيئة الجنوبية ذاتها. ينظر:

Arthur, jeffery، foreign vocbulary of the Qur'an 221 - 222.

(٣) ينظر: الصاحبي ص٣٣، ٣٤.

(٤) وهنا ملاحظة جديرة بالاهتمام وهي استخدام مادة بلق في معنى الفتح الحسي في النصوص القتبانية ويبدو أنه لما كثر استخدام فتح في الأمور المعنوية مالت اللغة إلى استخدام مادة مخالفة في الصورة لمادة

وهي حكم وقضى.

وواضح من النقوش الكنعانية - وما شابهها من النصوص العبرية - والبابلية[١] والنقوش العربية، أن مادة (فتح) تضرب بأصالتها في عمق التاريخ القديم للمعجم السامي.

فنجد منها (صيغة الفعل الماضي، المجرد والمزيد).

في اللغة العربية فتح = (Fataḥa)

وفي العبرية[٢] פָּתַח= (pāṯaḥ).

وفي الآرامية[٣] ܦܬܰܚ = (pṯaḥ) (فتْح)

وفي الأكدية[٤] [إِپْت] = Iptē (Iptu)

والحبشية[٥] (fatḥa) و(tefteḥ)

فتح وهي مادة بلق والتي ربما كان أصل دلالتها إغلاق الشق أو النفق ـ للدلالة على الفتح في الأمور الحسية وهذا يفسر لنا لماذا مادة بلق عدت من الأضداد حيث تدل على الفتح والإغلاق (اللسان ١/ ٣٤٧). وقد وردت بلق بمعنى فتح طريق ومبلقة بمعنى نفق أو فتحة في جبل. انظر النص الذي يحمل هذا المضمون في/ المفصل في تاريخ العرب (٢/ ١٩١، ١٩٢). ولمعرفة العلاقة بين مادة (فتح) و(بلق) من حيث الترادف والتضاد انظر: ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه (٤٠) ومختصر شواذ القرآن (١٦٥، ١٦٦) وعلم الدلالة (٢٠٦)

(١) وردت مادة فتح في الآداب البابلية في ما يعرف في كتب التاريخ بأسطورة جلجامش الشهيرة حيث أسند فتح طاقة الفلك إلى رجل شوروباك أو رجل الإله. وذلك في معرض حديث (أوتنا بشتيم) إلى جلجامش وتذكيره بقصة الطوفان الذي أذهب الحياة.

«وتوقف الطوفان ففتح رجل شوروباك طاقة من السفينة فسقط الضوء على وجهه فسجد وبكي ورست السفينة ...».

انظر قصة الطوفان في ملحمة جلجاميش (٨٧، ٨٨) ومادة فتح (٥١ و ١٠٤).

(٢) انظر في تصريف وأوزان هذا الفعل: في قواعد الساميات (٤٤ ـ ٤٦) وانظر الأساس في الأمم السامية (٢٦٩) والمفصل في قواعد اللغة السريانية (١٩٤).

(٣) المدخل إلى علم اللغة (٢١٤) وانظر المفصل في قواعد السريانية (١٩٤) وتاريخ اللغات السامية (٢٩٠)، وفي قواعد الساميات (٢٦١، ٢٦٣).

(٤) تاريخ اللغات السامية (٢٩٠).

(٥) في قواعد الساميات (٤١٨).

وقد أورد «برجشتراسر» كما رأينا صيغة الفعل المضارع (يفتح) في اللغات السامية وقد ورد في النقوش صيغة الأمر وليفتح كما رأينا في النقش الجنوبي، وبالإضافة إلى الصيغ الزمنية لمادة فتح فقد وردت صيغ أخري اشتقاقية كثيرة من هذه المادة.

فنجد اسم الفاعل (pētū) بمعنى فاتح في اللغة الآشورية [١] وهو في العربية فاتح[٢] (fātiḥun).

وصيغة اسم المفعول = (fetūḥ) فُتُوح بمعنى مفتوح في اللغة الحبشية[٣] وكذلك في العبرية[٤] פָּתוּחַ= (paṯūwaḥ mafttēaḥ) بمعنى مفتوح أيضًا، وصيغة اسم الآلة مفتاح[٥] מַפְתֵּחַ وقد وردت المادة علما على اسم شخص مثل يفتاح الجلعادي[٦] יִפְתָּח = (yiftāḥ) وكذلك اسم فتحيا[٧] פְּתַחְיָה = (Fēṯaḥyā).

ووردت كذلك علما على مكان مثل (الفتيحا) ويبدو أنها تصغير (فتحاء) ثم قصرت همزتها في مثل (صنعا)[٨] من صنعاء وعد الهمداني (الفتيحا) من أودية عسير[٩].

ووردت كذلك علما لعين مياه عرفت بمنبع مياه مفتوح في التوراة[١٠] נֶפְתּוֹחַ = (Nēftōwḥ).

---

(١) فقه اللغات السامية (٦٥).

(٢) التطور النحوي (٦٤).

(٣) في قواعد الساميات (٤١٨) (A. Geffer Foreign vocbulary. 222).

(٤) سفر المزامير الإصحاح (١٥) وسفر أرمياء الإصحاح (١٦).

(٥) سفر أشعيا. الإصحاح (٢٢/ ٢٢).

(٦) لمعرفة أخبار يفتاح الجلعادي. انظر: سفر القضاة إصحاح (١١، ١٢).

(٧) سفر نحميا (١١/ ٢٤).

(٨) انظر: شذا العرف في فن الصرف (٩٢).

(٩) انظر: صفة جزيرة العرب (٢٥٦).

(١٠) سفر يشوع (١٥/ ٩).

مادة فتح بين اللغات السامية والحامية[1] (Hamito - Semitlc).

يبدو أن اللغة المصرية القديمة قد عرفت هذه المادة أيضًا منذ أقدم العصور، ربما لعلاقة اللغة المصرية الوثيقة بالساميات، ووجود هذه المادة في اللغة المصرية يدل على أن هذه المادة كانت متداولة في العالم القديم على نطاق واسع، حيث يمثل الساميون والمصريون القدماء أَعْرَقَ حضارات العالم على الإطلاق، وأهم مشتق نتوقف عنده من مشتقات هذه المادة - في المصرية القديمة هو اسم الإله المعروف لدي المصريين بـ(پتاح)[2] والذي يتردد كثيرا في الكتابات المصرية والقبطية القديمة[3]، وقد ظن بعض من تحدثوا عن أصول الكلمات العامية المصرية والمسميات والأعلام، أن كلمة (الفتاح) في اسم العلم (عبد الفتاح «هي مأخوذة من عبادة الإله (بتاح)[4] في المصرية

---

(١) انظر في الخصائص المشتركة للغات السامية ومجموعة اللغات الحامية: في التطور اللغوي (٢٥ـ٤١).

(٢) ذهب (A. Erman) و (H. Groper) إلى أن كلمة پتاح مستعارة من السامية بمعنى يفتح فيما يلي:

١ـ العين. ٢ ـ الفم. ٣ ـ العالم السفلي. ٤ـ يستنبط الماء.

ـ انظر في هذا الرأي:

A. Erman، H. Groper، Worterbuch der Agyptischen Spraeh Berin، 1971 2. 565 / 9 - 15.

(٣) وفي القبطية (بْتَاح) = (Ptāḥ) أو = (Phtāḥ) (فْتاح).

انظر آلهة مصر العربية (١/ ٣٤١).

وقد اشتهر هذا العلم في المصرية القديمة في فترات تاريخية مختلفة حيث يشغل الترتيب الثاني بعد (رع) في بردية تورين انظر في هذه البردية معالم تاريخ وحضارة مصر الفرعونية (٢٧، ٢٨).

وعلم على معماري ووزير في الأسرة الخامسة (واش بتاح) انظر المرجع السابق نفسه (١١٩) ونجده اسما لحكيم مشهور في عهد الملك جد كارع أمسي يعرف بـ(بتاح حتب) المرجع السابق نفسه (١٢٥، ١٢٦، ١٣٧) وانظر في حكمه ومواعظه. المرجع السابق (١٥٦ ـ ١٥٨).

(٤) تتبع الأستاذ «هلمبرغ» تطور الاسم في مختلف العصور وما ألحق بهذا المعبود من صفات الإلوهية بحسب الزمان والمكان وأكد أن هذا الاسم سامي الأصل وقد أنكر عليه الدكتور على فهيم خشيم ذلك وحاول إثبات أن (ب ت ح) في المصرية مبني ومعنى يقابل العربية: فتاح وأورد دلالة فطر وبرأ في بعض استخدامات الفعل (فتح) ليبرهن على أن (الفتاح) بمعنى الخالق الذي يبتدأ الخلق وهو كذلك في العربية ثم أورد معناه في التفسير بأنه (المؤيد بالفتح) أي النصر و(فاتح أبواب السماء) أو (أبواب الجنة) ... إلخ ليصل بذلك إلى أن أصل الكلمة مصري قديم.

وقد توقف «هلمبرغ» في كيفية تطور ذلك الاسم (بتاح ـ فتاح) في دلالته على معبود يقول:

«ومن المؤكد أن اسمًا بدون مدلول لم يطلق قط على معبود ولكن من الجائز أن اسم (ب ت ح) لا صلة له بأي من الكلمات المقترحة من العلماء السابقين وأن المشكلة المتعلقة باسم (ب ت ح) قد=

القديمة[1]. وهي كما نرى مجازفة لا تستند على أية حقائق لغوية أو تاريخية فرغم التشابه المغري بين اللفظتين فإن دلالة لفظة (الفتاح) العربية والتي مرت بمناسبة تاريخية خاصة حيث ولدت في مملكة قتبان ونمت وازدهرت في الجنوب العربي ثم دخلت اللغة القرشية الممتازة[2] ثم جردت تجريدا كاملا بعد أن استخدمها القرآن الكريم كصفة من أسماء الصفات العلي، ثم أضيفت إليها كلمة (عبد) بما ورد في الآثار أن خير الأسماء ما عبد وما حمد[3]، فأصبحت علما خاصًا بالمسلمين دون غيرهم كعبدالله وعبدالواحد هذه المسيرة العربية الإسلامية تختلف تماما عن مسيرة كلمة (بتاح) المصرية حيث ارتبطت هذه الكلمة بعقيدة طقسية خاصة بالمصريين تعرف بـ(عقيدة فتح الفم)[4] وهي باختصار شديد عبارة عن احتفال طقوسي يقام عقيب الانتهاء من تصميم تمثال ملك من الملوك ويقام فيما يعرف بالبيت الذهبي حيث يتم تطهير التمثال ويقوم الكاهن باسم الإله (بتاح) بأداء الشعائر الطقسية ثم يلمس الفم والعينين والأذنين بآلات مختلفة ثم يردد قائلا: (أنا أفتح فمك لكي تتكلم، وأفتح عينك لكي تري رع، وافتح أذنيك لكي تسمع تبجيلك...)[5].

=يعثر على حل لها مستقبلا في نصوص لم تكشف بعد» آلهة مصر العربية (١/ ٣٤١ ـ ٣٤٢).
والحقيقة أن الدكتور على فهيم لم يتتبع دلالة (الفتاح) في العربية تتبعًا دقيقا ولذلك لم يشر من قريب أو من بعيد بأن المصادر العربية قد تواترت على ذكر معنى (الفتاح) بأنه الحاكم الذي لا يرد حكمه ولا أدري من أين أتي بدلالات مثل (المؤيد بالفتح) و(فاتح أبواب الجنة) ونسي الحكم والحاكمية وهي الدلالة العربية التي انفردت بها دون الساميات ودون المصرية القديمة وربما ما وقع إلينا من نصوص سامية ومصرية قديمة قد يحقق رغبة «هلمبرغ» في الوصول إلى تفسير مقبول لكلمة (الفتاح) في العربية وكلمة (يتاح) المصرية وهذا ما كشفته تلك الدراسة.

(١) العادات المصرية بين الأمس واليوم (٨٣).

(٢) انظر في سيادة اللغة القرشية لسائر اللهجات: فقه اللغات السامية (٣٠)، وانظر كذلك: الشعر الجاهلي مراحله واتجاهاته الفنية: دراسة نصية (١٩ ـ ٢٢).

(٣) انظر الجامع الصغير للسيوطي (٢/ ١٠) وكنوز الحقائق للمناوي (١/ ١٢٦).

(٤) للتعرف على هذه العقيدة المصرية. انظر: الموسوعة المصرية (تاريخ مصر القديم) (١٩٣، ٢٨١، ٣١٥، ٣٢٥). وانظر كذلك معالم تاريخ وحضارة مصر الفرعونية (٢٧، ٢٨).

(٥) الموسوعة المصرية (٣١٥) وانظر ما نقلناه عن (Ermen ،Groper) في الآراء السابقة وقد وردت الكلمة في نشيد آتون المنقوش على مقبرة «آي» تل العمارنة بنفس الدلالة التي نتحدث عنها (في اليوم الذي يُولد فيه الطفل تفتح فمه». انظر قراءة الدكتور عبدالمنعم أبو بكر لهذا النقش في معالم تاريخ وحضارة مصر الفرعونية ص(٣٠٦).

وقد ارتبط اسم (بتاح) كما رأينا بهذه العملية الاحتفالية الطقسية والتي أطلق عليها (عقيدة فتح الفم)، ويمكن إرجاع هذا التشابه اللفظي بين (لفتاح)، و(بتاح) إلى احتمالين.

الأول: أن اللغة المصرية القديمة من فصيلة اللغات السامية[1] وعليه فإن الكلمة من المشترك اللفظي بين عناصر اللغة السامية الأم.

الثاني: أن الكلمة أو المادة (ب ت ح) قد انتقلت إلى المصرية القديمة إما عن طريق الآشوريين أو الكنعانيين وقد عرفت بهذا النطق الصوتي عندهم[2] وقد وجدت علاقات وطيدة بين الآشوريين[3] والكنعانيين والمصريين القدماء[4] ولكن على كل حال فإن كلمة (الفتاح) قدمت إلى مصر مع الفتح الإسلامي لمصر بنطقها العربي الحالي ودلالتها في العربية التي تحدثنا عنها في النقش العربي الجنوبي فلا توجد علاقة دلالية بين الفتاح وبتاح وقد اختفت كلمة (بتاح) مع اختفاء اللغة المصرية القديمة من الاستعمال وبقيت كلمة (الفتاح) ببقاء اللغة العربية.

* * *

(١) انظر في الصلة بين اللغات السامية والحامية: فقه اللغة (٢٢ـ ٢٤) وانظر رأي إرمان (Erman) في علاقة المصرية القديمة باللغات السامية بالمرجع السابق وكذلك فقه اللغات السامية (١٣).

(٢) انظر تاريخ اللغات السامية (٢٩٠).

(٣) انظر في تغلب أشور بانيبال على مصر تاريخ اللغات السامية (٤٦) وانظر في علاقات المصريين بأمراء سورية وفلسطين ومملكة أشور: معالم تاريخ وحضارة مصر الفرعونية (٣٩٤ـ ٣٩٥).

(٤) انظر في علاقات اللغات السامية والحامية:

(S. Moscati، An introduction، ..p. 17)

وانظر في الرسائل المتبادلة بين أمراء كنعان وملوك مصر وما تضمنته من إشارات لغوية، والمرجع السابق (٥٤) وفقه اللغات السامية (١٧).

الفصل الثاني
مادة فتح بين العبرية والعربية
دراسة مقارنة

- موقف الدراسة من التوراة وتحديد الفترة الزمنية وأساس توزيع الوحدات الدلالية.
- الوحدة الدلالية الأولي في العهد القديم (الفتح بمعنى إزالة الإغلاق).
- الوحدة الدلالية الثانية (ما يتعلق بالحواس).
- الوحدة الدلالية الثالثة (معان في سبيلها إلى التجريد والكناية).

الدراسة التقابلية لمادة الفتح:

نموذج مادة الفتح بين العبرية والعربية:

نظرا للعلاقات اللغوية، والتاريخية التي تربط بين اللغتين العربية والعبرية، سنقوم بمطالعة دلالة مادة الفتح في أسفار العهد القديم وعلاقتها الدلالية المختلفة، مع الاستئناس بدلالتها المقابلة في اللغة العربية، ولكن قبل الخوض في هذا الأمر، نؤكد على عدة حقائق يجب وضعها في الحسبان[١] وهي:

أولاً: الاعتراف بوجود توراة أصلية موحي بها من عند الله - سبحانه وتعالي - وتلقاها النبي موسي عليه السلام ، وأن هذه التوراة اختلف فيها وتعرضت لكثير من ألوان التغيير والتبديل في نصوصها، استنادا إلى قوله - تَعَالَى -: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾[٢].

ثانيًا: أن هذه التوراة الأصلية قد تعرض نصها لكثير من التعديلات التي ضيعت ملامحه الرئيسية[٣]، استنادا إلى التحدي الإلهي الذي أعلنه القرآن الكريم: ﴿قُلْ فَأْتُوا

(١) انظر في تفصيل هذه المواقف المبدئية للمسلمين تجاه التوراة: علاقة الإسلام باليهودية (٣٩ ـ ٤١).

(٢) سورة هود: ١١/ ١١٠.

(٣) انظر في الوسائل التي اتبعها اليهود في نص التوراة: علاقة الإسلام باليهودية (٤١ ـ ٤٧) كذلك انظر: معركة الوجود (١٢٣ ـ ١٣٤).

بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾(1).

ثالثا: الإقرار بوجود مصادرَ إنسانية عرفت طريقها إلى نص التوراة واختلطت به قال – تَعَالَى –: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾(2).

ودخول تلك المصادر الإنسانية إلى نص التوراة هو سبب للاختلاف فيها(3) وهذا مبدأ نقدي قد أقره القرآن الكريم، قال – تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾(4).

رابعًا: أن كل الحقائق السابقة لا تحول دون دراسة هذه الأسفار، دراسة لغوية مقارنة، حيث دونت تلك الأسفار في مراحل تاريخية، لا نجد للغة العربية فيها أية نصوص مدونة.

خامسًا: ثم إن هناك ملاحظة جديرة بالنظر، وهي أن بعض المستشرقين(5). قد

---

(1) آل عمران: ٣/ ٩٣، ٩٤.

(2) سورة البقرة: ٢/ ٧٩.

(3) انظر ـ في قضية الاختلاف والتناقض في التوراة ـ: التوراة والإنجيل والقرآن والعظيم (٢٨٤) وانظر: دراسة الدكتور محمد قاسم عن التناقض في تواريخ التوراة ـ من آدم حتى سبي بابل: القاهرة (١٩٩٢).

وانظر كذلك تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب (٢٢٢) وبيان محقق الكتاب لاهتمام علماء المسلمين بتلك القضية انظر هامش المرجع السابق والمراجع هناك.

(4) سورة النساء: ٨٢.

(5) من هؤلاء المستشرقين يهود وآخرون متعاطفون معهم، من أمثال:

(Abraham Gelger) في كتابه الذي ترجم للانكليزية تحت عنوان (Judaism and islam)

ومثل إبراهام السابق نجد أسماء أخرى:

("Judaism in islam"،- Abraham Katch)

("The influence of Judaism on Islam،- Alfred Guillaume)

("The Jewish Foundation Of Islam،- C. C. Torrey)

("Jews and Arabs: The Contacts The through،the ages - S. D. Goitein)

ويتضح من عنوانين تلك المؤلفات الحكم المبدئي للمؤلفين على تأثير اليهودية في الإسلام. =

اعتقدوا - عن عمد واضح أو عن شبهة - أن وجود تشابه لفظي أو تركيبي أحيانا، أو الاتفاق في بعض الأسماء والأحداث - بين التوراة والقرآن الكريم، هو دليل على التأثير الشامل لليهودية على الإسلام بل قال بعش المشتغلين منهم بعلم مقارنة الأديان بأن المسيحية والإسلام ما هما إلا بنتان صغيرتان لليهودية، وهم بذلك يهدفون إلى محو الإسلام نظريا وعمليا[1]، ولذلك سنعقد مقارنة بين مثالين متشابهين في التوراة والقرآن على المستوي اللفظي والتركيبي أو إن شئت قل على المستوى السطحي (Surface Stucture) من حيث المنطوق اللغوي والحدث والمناسبة، ولكنهما يختلفان اختلافا كليا على مستوي المضمون الدلالي العميق فهذا التشابه السطحي يخفي خلفه تناقضًا واضحًا وهو لا يدل إلا على انتماء اللغتين - العبرية والعربية - إلى فصيلة واحدة أو وجودِ أصل الخبر على الحقيقة، وبخاصة أن القرآن الكريم قد جزم بوجود توراة موحي بها من قبل الله - تَعَالَى - لكنها تاهت وضاعت في خضم التحريف والتبديل الذي تعرضت له - كما أشرنا منذ قليل - ثم إن قضية التأثير لا تقوم على مجرد التشابه السطحي دون إبراز الأدلة المقنعة[2].

وتقتصر الدراسة على العهد القديم بالنسبة للغة العبرية والنصوص الفصيحة في اللغة العربية.

اللغة العبرية والعهد القديم:

اجتازت اللغة العبرية مراحل كثيرة، تأثرت في كل مرحلة منها بعدة مؤثرات، من أهمها الشئون السياسية، وقد نظر العلماء للغة العبرية على أساس طورين مختلفين:

الأول: عبرية العهد القديم أو العبرية القديمة.

والثاني: عبرية ما بعد العهد القديم[3].

وسنقتصر في الدراسة التقابلية على الطور الأول وهو عبرية العهد القديم.

= انظر في هذه القائمة: علاقة الإسلام باليهودية (٧٩، ٨٠).

(١) علاقة الإسلام باليهودية (١٤).

(٢) انظر: الأدب المقارن (١٠٢) وانظر في دحض إسرائيل ولفنسون لفكرة الاقتباس والتأثر بناء على التشابه في الألفاظ والأساليب بين العبرية والعربية عند بعض المستشرقين: تاريخ اللغات السامية (٩٢).

(٣) انظر في المراحل التاريخية للغة العبرية: فقه اللغة (٤٩: ٥٣).

العهد القديم:

يبدأ هذا العصر من نشأة اللغة العبرية[1]، أي حوالي القرن الثالث عشر قبل الميلاد إلى أواخر القرن الرابع قبل الميلاد، وهي المرحلة التي كانت اللغةُ العبريةُ في أثنائها لغة حية في التخاطب، وسميت بعبرية العهد القديم لأن أهم ما وصل إلينا آثارها في هذا العصر هي أسفار العهد القديم[2] أو ما يعرف عند اليهود باسم[3] תְּנָךְ:

وينقسم هذا العصر بدوره إلى قسمين: العصر الذهبي للغة العبرية والذي ينتهي بسبي بابل (٥٨٧ قبل الميلاد) ، والعصر الثاني يبدأ بالسبي البابلي، وينتهي باختفاء اللغة العبرية من لغة التخاطب، وسيطرة اللغة الآرامية[4]، وبقاء اللغة العبرية في الطقوس، والشعائر اليهودية وهي بداية الطور الثاني للغة العبرية.

وقبل التعرض للوحدات الدلالية المختلفة لمادة פתח في العهد القديم يجدر بنا أن نوضح الأساس الذي سيتم بمقتضاه هذا العرض ويتلخص ذلك في الإيجاز التالي:

---

(١) انظر في المراحل التاريخية المختلفة للغة العبرية: فقه اللغة (٤٩-٥٣) وكذلك:
Moscati , An Introduction، P. 10.

(٢) تبلغ أسفار العهد القديم في النسخة المطبوعة تسعة وثلاثين سفرا وتتوزع على الأقسام التالية:
أ ـ التوراة: (خمسة أسفار) التكوين/ الخروج/ اللاويين/ العدد/ التثنية.
ب ـ الأنبياء الأولون: (ستة أسفار) يشوع/ القضاة/ صموئيل الأول/ صموئيل الثاني/ الملوك الأولى/ الملوك الثاني.
ج ـ الأنبياء المتأخرون (خمسة عشر سفرا) أشعياء/ إرمياء/ حزقيال/ هوشع/ يوئيل/ عاموس/ عوبديا/ يونان/ ميخا/ ناحوم/ حبقوق/ صفيا/ حجى/ زكريا، ملاخي.
د ـ المكتوبات: (ثلاثة عشر سفرا) أخبار الأيام الأولى/ أخبار الأيام الثاني/ عزرا/ نحميا/ دانيال أستير/ أيوب/ المزامير/ الأمثال الجامعة/ نشيد الإنشاد/ راعوث/ مراثي أرمياء. انظر في هذا التقسيم/ الترجمة السبعينية للعهد القديم بين الواقع والأسطورة (٣٢)، وانظر: دراسات في الحضارات السامية (١ـ١٣).
وانظر كذلك: תורת נביאים וכתובים لندن (١٩٨٠)

(٣) وانظر الكتابة من أقلام الساميين (٨١، ٨٢) وكلمة (تناخ) اختصار من أسماء أقسم العهد القديم توراة، نبيئيم، كتوبيم. انظر الكتابة من أقلام الساميين (١٨).

(٤) انظر في سيادة اللغة الآرامية لكل بلاد الشرق الأدنى القديم. غرائب اللغة (٧) وانظر كذلك: دراسات في اللغتين السريانية والعبرية (٧).

وكما أشرنا في مقدمة الكتاب أن أي امتداد من الكلام، أو منطوق لغوي، يمكن أن نتحدث عنه من جانبين، إما كوحدة معجمية (Le Xical unit)، أو كوحدة دلالية (Semantic unit)، فحينما يكون التركيز على صيغة معينة، فنحن بإزاء الوحدة المعجمية وعندما نركز على معنى الصيغة، يمكن للمرء أن يستعمل ما يسمي بالوحدة الدلالية[1] وسنسلك في هذا العرض التركيز على معنى الصيغة أي الوحدة الدلالية التي يمكن أن نرتب على أساسها الوحدة المعجمية بعد ذلك.

مفهوم الوحدة الدلالية:

في تعريف بعض اللغويين، هي الوحدة الصغرى للمعنى، وفي تعريف آخر هي أي امتداد من الكلام، يعكس تباينًا دلاليًا[2]، وهذا بالطبع في لغة واحدة، أما في إطار الدراسة التقابلية فيكون التركيز على الصيغة أو معنى الصيغة من ناحية التطابق الدلالي أو التشابه الدلالي - في الوحدات الدلالية والمعجمية - بين اللغتين المتقابلتين، وقد قسم بعض اللغويين[3] الوحدة الدلالية على أساس الكلمة المفردة (Word) فهناك وحدة دلالية تساوي كلمة وهناك وحدة دلالية أكبر من كلمة[4] وهناك وحدة دلالية أصغر من كلمة[5].

(١) علم الدلالة (٣١).

(٢) المرجع السابق نفسه.

(٣) انظر في تقسيم نيدا(Nida) .

(٤) أكبر من كلمة مثل الجملة (Sentence) والتركيب (Clause) والعبارة (Phrase).

(٥) وهو المورفيم (Morpheme) المتصل وسنقتصر على الكلمة وما هو أكبر من كلمة.

(الوحدة الدلالية الأولى): الفتح بمعنى إزالة الإغلاق.

١. فتح أبواب السماء في قصة نوح عليه السلام:

المنطوق اللغوي في العهد القديم[1]	المنطوق اللغوي في القرآن الكريم[2]	المناسبة
הַשָּׁמַיִם נִפְתָּחוּ = (Haššāmayim niftāḥū) وانفتحت طاقا السماء السياق/ في التوراة وحدث بعد السبعة الأيام أن مياه الطوفان صارت على الأرض في سنة ست مئة من حياة نوح في الشهر الثاني في اليوم السابع عشر من الشهر في ذلك اليوم انفجرت كل ينابيع الغمر العظيم وانفتحت طاقات السماء، وكان المطر على الأرض أربعين يوما وأربعين ليلة ... في ذلك اليوم عَينِهِ دَخَلَ نُوحٌ وسام وحام ويافث بنو نوح وامرأة نوح وثلاث نساء بنيه معهم إلى الفلك.	﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾ السياق/ في القرآن الكريم ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴾.	مناسبة عقاب لقوم نوح

(١) التوراة/ سفر التكوين/ الإصحاح (٧).

(٢) سورة القمر: ٥٤/ ٩ـ ١٧.

الإطار الدلالي لسياق العهد القديم[1]:

شمل الحديث عن نوح وقصة الطوفان الإصحاحات (٦، ٧، ٨، ٩) من سفر التكوين وتضمن المعاني والأفكار التالية:

ـ كثرة الناس وكثرة الشر	الإصحاح ٦	(١ - ٨)
ـ كان نوح رجلا بارا	الإصحاح ٦	(فقرة ٩) فقرة واحدة
مواليد نوح وقرار إهلاك العالم		(١٣، ١٤)
ـ استعداد نوح للطوفان	الإصحاح السادس	(١٤ - ٢٣) نهاية الإصحاح
	الإصحاح السابع	(١ - ٩)
ـ حدوث الطوفان ووصف ما حدث	الإصحاح السابع	(١٠ - إلى نهاية الإصحاح)
مدة الطوفان - كميته	الإصحاح الثامن	(١ - ١٩)
ـ بناء مذبح وندم الرب على الطوفان	الإصحاح الثامن	(٢٠ - ٢٢)
ـ تحريم أكل اللحم بدمه وسفك الدماء والتأكيد على عدم حدوث الطوفان مرة أخري مهما حدث من الإنسان.	الإصحاح التاسع	(١ - ١٨)
ـ نوح يعود إلى فلاحة الأرض وشرب الخمر وتنكشف عورته وتنزل اللعنة على كنعان.	الإصحاح التاسع	(١٨ - حتى نهاية الإصحاح)

ونلحظ على السياق التوراتي عدة ملحوظات.

ـ نلحظ سيطرة حدث الطوفان على القصة ثم التهوين من أثرها بالتعهد بعدم حدوثها بعد ذلك.

(١) التوراة/ سفر التكوين، الإصحاح (٦ ـ ٩).

ـ خلو السياق من أية إشارة تدل على أن نوحا قد بذل جهدا في دعوة قومه.

ـ وصف نوح بالبر قبل الطوفان وفي أثنائه ثم تختم له ولأحد أبنائه بخاتمة غير سارة حيث ضربت أخلاق النبوة في مقتل.

ـ لا توجد أية عبارة تدل على أن الطوفان قد حدث استجابة لدعاء نوح بل كثر الشر ونوح هو الرجل الذي وجد نعمة في عين الرب فلا يوجد دعاء نوح أو دعوة نوح -عليه السلام- من الأصل.

الإطار الدلالي لسياق القرآن الكريم:

ذُكرت إشاراتٌ كثيرة إلى قصة نوح -عليه السلام- وحدث الطوفان، في عديد من سور القرآن الكريم، إشادة بدعوته، أو تذكيرا بما حدث لقومه[1]، لكن القصة قد ذُكرت بشيء من التفصيل في ست من سور القرآن الكريم وهي يونس وهود والشعراء والصافات والقمر ونوح[2]، وقد سلك القرآن الكريم منهجا مختلفا تمام الاختلاف عن الطريقة التي تناول بها العهد القديم هذه القصة، فقد اهتم القرآن الكريم في عرض المعاني المتعلقة بهذه القصة وهذا الحدث، بالتركيز على شرح دعوة نوح -عليه السلام- ووسائلها وتزكية صاحب الدعوة في نزاهته وأخلاقه وإخلاصه لربه، وبيان جهده في الدعوة وصبره، وبيان موقف قومه من الكفر والبغي والعناد وأشار القرآن خلال ذلك العرض الشامل الذي ينسجم مع نسق القرآن ومع دعوة الإسلام - إلى حدثِ الطوفان كنوعٍ من أنواع العقاب الإلهي الذي يُجريهِ الله على الكافرين من الخلق. فنلحظ في السياق القرآني لقصة نوح -عليه السلام- وحدث الطوفان في سورة[3] القمر المعاني التالية - مع قصر الآيات -:

ـ تكذيب قوم نوح (الآية: ٩)

ـ اتهامه بالجنون ومحاولات منعه من الدعوة (وازدجر)

ـ دعاؤه لربه واستغاثته وطلب النصرة (الآية: ١٠)

(١) انظر الملحق رقم (٢).

(٢) انظر الصفحات (٢١٣- ٢٣٢) بالبحث بنفس الملحق السابق.

(٣) [القمر: ٥٤/ ٩ـ١٦]. الملحق (٢) ص (٢٢٠).

- الاستجابة الإلهية للدعاء (الآيات: ١١، ١٢)
- نجاة نوح وعناية الله بوسيلة النجاة (الآيات: ١٣، ١٤)
- لفت الأنظار إلى مواضع الحظة والاعتبار (الآيات: ١٥، ١٦، ١٧)

وعلى هذا النحو ذكرت القصة في سورة يونس[١] وهود[٢] والشعراء[٣] والصافات[٤] ونوح[٥].

٢. فتح المتاع في قصة يوسف عليه السلام:

المنطوق اللغوي في العهد القديم	المنطوق اللغوي في القرآن الكريم	المناسبة
١- וַיִּפְתַּח יוֹסֵף אֶת כָּל אֲשֶׁר בָּהֶם= Wayyiftah yōs'ēf ēt kol ăšer behem وفتح يوسف جميع ما فيه طعام[٦]	٥- قال - تَعَالَى -: ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾[٧].	ورد المنطوق اللغوي في سياق قصة يوسف -عليه السلام- وفي إطار معنى إزالة الإغلاق وهي مناسبة سرد قصصي
٢- וַיִּפְתַּח הָאֶחָד אֶת־ שַׂקּוֹ= (Wayyiftaḥ hā eḥād et Saḳḳō) فلما فتح أحدهم متاعه[٨]		

(١) انظر الملحق رقم (٢) ص (٢١٤).
(٢) الملحق رقم (٢) ص (٢١٥ - ٢١٧).
(٣) الملحق رقم (٢) ص (٢١٨).
(٤) الملحق رقم (٢) ص (٢١٩).
(٥) الملحق رقم (٢) ص (٢٢١ - ٢٢٢).
(٦) سفر التكوين (٤١/ ٥٦).
(٧) يوسف: ١٢/ ٦٥.
(٨) سفر التكوين (٤٢/ ٢٧).

٣ـ וַנִּפְתְּחָה אֶת־ אַמְתְּחֹתֵינוּ (Wānniftěhā et amtahṯēnū) = ولما فتحنا أمتعتنا(١)		
٤ـ וַיִּפְתְּחוּ אִישׁ אַמְתַּחְתּוֹ (Wayyeftěḥū iš amtaḥtō) وفتحوا كل واحد متاعه(٢)		

وهذا التشابه اللفظي السطحي لا يغر الباحث المدقق، ولكنه أُعْتُمِدَ من قبل بعض المستشرقين - كما أشرنا - في الوصول إلى نتائج خاطئة - عند إجراء مقارنة أو عند البحث عن تأثيرات يهودية مزعومة في إطار القرآن، وذلك مرده إلى عزل النصوص عن السياق الدلالي العام الذي وردت فيه كما رأينا في آية الفتح التي وردت في قصة نوح عليه السلام، ويطول بنا المقام لو تناولنا قصة يوسف بنفس التفصيل وبخاصة أننا في إطار دراسة تقتصر على مقابلة وحدات معجمية ودلالية محدودة ولسنا في مجال الدرس الديني المقارن ولكن هذه الإشارات اللغوية لا بد أنها تفتح المجال أمام علماء مقارنة الأديان من المسلمين إلى التحري من التشابه السطحي المضلل.

٢.الوحدة الدلالية الثانية: (ما يتعلق بالحواس)

وردت في العهد القديم صيغ معجمية ودلالية لمادة (فتح) مرتبطة بالحواس الإنسانية الفم والعين والأذن واليد بينما لم يستخدم هذا الفعل مع تلك الحواس في القرآن الكريم، وإنما استخدمت أفعال أخري مع هذه الحواس تدل على إزالة إغلاقها

- **فتح الفم**(٣):

١ـ וַיִּפְתַּח יְהוָה אֶת־פִּי הָאָתוֹן =

Wayyiftaḥ ădōnāy et pt hāaṯon ففتح الرب فم الأتان

(١) سفر التكوين (٤٣/ ٢١).

(٢) سفر التكوين (٤٤/ ١١).

(٣) سفر العدد (٢٢/ ٢٨)، وسفر حزقيال ١٦/ ٦٣ .

٢ـ עוֹד פִּתְחוֹן פֶּה = (cōd piṯhōn pē)

ولا تفتحي فاك.

٣ـ וַיִּפְתַּח אֶת־ פִּי [١] = وَفَتَحَتْ فَمِي - أي يد الرب (Wayyeftaḥ ēt pi).

ويظهر أن فتح الفم في العربية لم يصل إلى مرحلة كنائية أو تجريدية تجعله تعبيرا شائعًا في الأدب العربي فإذا ذكر فإنه يدل على مجرد عملية الفتح الحسي وهو إزالة انطباق الشفتين ويستخدم مع الإنسان.

قال الشاعر البدوي[٢] (البسيط)

ارْضَي مِنَ العيشِ ما لم تُحْوَجِي مَعَهُ   أنْ تفتحي لسؤالِ الأغنياءِ فَمَا

وقد يستخدم الفعل مع الحيوان مجازا - إذ الفعل المستخدم مع الحيوان هو (فغر)، وقد وقع التبادل بين (فتح) و(فغر) في رواية بيت من الشعر لِحُمَيدِ بن ثَورِ الهلالي (الطويل)

عَجِبْتُ لَهَا أَنَّى يَكُونُ غَنَاؤُهَا   فَصِيحًا وَلَمْ تَفْتَحْ لِمَنْطِقِهَا فَمَا[٣]

وقد روي (ولم تفغر) مكان (ولم تفتح)

٢ـ فتح العين والأذن.

ترد مادة פתח = (pāṯah) مرادفة لمادة פקח = (pāḳaḥ) في اللغة العبرية في كل السياقات التي وردت فيها المادتان في العهد القديم[٤]، وقد اجتمعت المادتان في سياق واحد مع حاستي العين والأذن[٥].

---

(١) سفر حزقيال (٣٣/ ٢٢).

(٢) قيل لأعرابي يخاطب زوجته. انظر أمالي المرتضي (٢/ ١٤١).

(٣) روي هذا البيت (ولم تفتح) في كتاب الفرق لقطرب (٤٦) وزاد المسير (١/ ٣٣) وروي (ولم تفغر) في كتاب الفرق والشاء للأصمعي (٣٤، ٥٥، ٥٦).
انظر تاج العروس مادة فغر (١٣/ ٣٣٢).

(٤) فقد وردت פקח (pāḳaḥ) مع العين في سفر التكوين الإصحاح الثالث مرتين وفي الإصحاح (٢١) من نفس السفر وسفر أشعياء الإصحاح (٣٧) وسفر المزامير المزمور (١٤٦) وسفر الأمثال الإصحاح (٢٠). وردت פתח وפקח مع حاسة الأذن في سفر أشعياء الإصحاح (٤٢).
פָּקוֹחַ אָזְנַיִם וְלֹא יִשְׁמָע = (Pāḳōwaḥ oznayim wĕlō yišmā) مفتوح الأذنين ولا يسمع.

(٥) سفر أشعياء (٣٥/ ٥).

אָז תִּפָּקַחְנָה עֵינֵי עִוְרִים וְאָזְנֵי חֵרְשִׁים תִּפָּתַחְנָה =

āz tippaḳaḥna ēnēy corim waoznē hersim tippataḥna

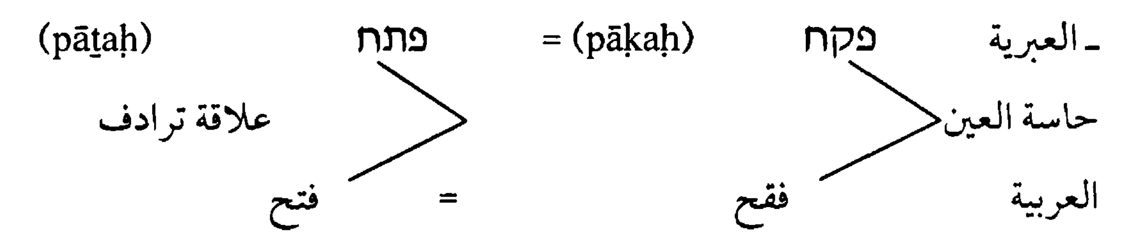
حينئذ تتفتح عيون العمى وآذان الصم تنفتح.

وقد ظلت مادة (فقح) في العربية مسندة لحاسة العين في اللغة الفصحى، وإن كانت غير مستخدمة في العربية المولدة وقد تردد أصحاب المعاجم في جعلها - فقح - مرادفة لـ(فتح) أم أن التفقح خاص بالكلام كما قال الأزهري : هو ما يطلق على الجرو أول ما يفتح عينه وهو صغير[1] وقد وجدتُ أن مادة فتح وفقح في العربية قد تبادلتا موقعا واحدا في سياق واحد مع حاسة العين، فقد رُوِيَتْ جملة (ففتح لكحلك) التي وردت في بيت من الشعر بإبدال (فقح) مكان (فتح) وذلك في قول الشاعر الهذلي أبي المُثَلَّم الخُناعي (المتقارب)[2].

وَأَكْحُلْكَ بِالصَّابِ أَوْ بِالجَلَا ... فَفَتِّحْ لِكُحْلِكَ أَوْ غَمِّضِ

ذكره الزبيدي في تاج العروس[3] (ففتح) وذكره صاحب تأويل مشكل القرآن[4] (ففقح) وكذلك في الجمهرة[5].

ويمكن صياغة العلاقة الدلالية بين اللفظتين وبين اللغتين العربية والعبرية على هذا النحو:



٢. فتح اليد في العهد القديم:

١ـ פָּתֹחַ (תִּפְתַּח) אֶת־יָדְךָ לְאָחִיךָ לַעֲנִיֶּךָ =

pāṯōwaḥ (tiftaḥ) ēt yādĕḵā lĕ ahiḵā la ăniyeḵā

---

(١) انظر تاج العروس مادة فقح (٢/ ١٩٨)، وانظر مادة فتح وفقح في اللسان (٥/ ٣٣٣٧، ٣٤٤٣).

(٢) انظر شرح ديوان الهذليين ق (١٩/ ١٠) (١/ ٣٠٧).

(٣) انظر: تاج العروس (١/ ١٢٥) مادة حلأ.

(٤) تأويل مشكل القرآن (١١٩ـ ١٢٠). (٥) الجمهرة (٣/ ٢٨٨).

افتح يدك لأخيك المسكين(١).

٢ـ תִּתֵּן לָהֶם יִלְקֹטוּן תִּפְתַּח יָדְךָ יִשְׂבְּעוּן טוֹב =

Titēn lāhem yilḳoṭūn tiftaḥ yādĕka yisbĕ yn tōb

تعطيها فتلتقط، تَفتَحُ يَدَكَ فَتُشْبَعُ خيرا(٢).

٣ـ פּוֹתֵחַ אֶת־יָדֶךָ וּמַשְׂבִּיעַ לְכָל חַי רָצוֹן =

pōtēyaḥ ēt yādekā ūmasbīya lĕkol ḥay rāṣōn

تَفْتَحُ يَدَكَ فَتُشْبعُ كُلَّ حَيٍّ رِضىً(٣).

وقد عدلت اللغة العربية عن استخدام الفعل، فتح، مع حاسة اليد في المعاني السابقة التي وردت في العبرية، والتي تدل على البذل والعطاء أو الامتداد بالعمل أو بالمعروف واستخدمت فعلا آخر هو بسط(٤).

ـ بسط إلى يَدَهُ بِمَا أحب وَأَكْرَه (مدها)(٥).

﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ﴾(٦) (مسلطون عليهم).

﴿إِلَّا كَبَـٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ﴾(٧) (تدل على الطلب).

﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾(٨) (للبذل والعطاء).

وقد وردت مادة (بسط) بمعنى (فتح) في اللغة العبرية ولكن مع الفم.

מִן הָאֲדָמָה אֲשֶׁר פָּצְתָה אֶת־פִּיהָ לָקַחַת אֶת־דְּמֵי אָחִיךָ מִיָּדֶךָ =

min hā ŏdāmā ăšer pāsṭā et piā lakaḥat ēt dĕmē aḥīkā miyyādĕkā

من الأرض التي فتحت فاها لتقبل دم أخيك من يدك.

---

(١) سفر التثنية (١٥/ ١١).

(٢) المزامير (١٠٤/ ٢٨).

(٣) سفر المزامير (١٤٥/ ١٦).

(٤) انظر اللسان مادة بسط (١/ ٢٨٢) ومقاييس اللغة مادة بسط (١/ ٢٤٧) اقتصرنا على بعض الأمثلة التي توضح العلاقة الدلالية ولم نهدف إلى الاستقصاء.

(٥) تاج العروس (١٩/ ١٤٢).

(٦) [الأنعام: ٦/ ٩٣].

(٧) [الرعد: ١٣/ ١٤].

(٨) [المائدة: ٥/ ٦٤].

תִּפְתַּח־אֶרֶץ וַתִּבְלַע דָּתָן וַתְּכַס עַל־עֲדַת אֲבִירָם=

Tiftah ēres Wattibla dātān wattkas' ădat obat obīram

فَتَحَتْ الأَرْضُ وابتلعتْ داثان وأطبقت على جماعة أبيرام[١].

وقد وردت (بسط) نيابة عن (فتح) في نفس السياق ونفس القصة في النص التالي[٢]:

פָּצְתָה הָאָרֶץ אֶת־פִּיהָ וַתִּבְלַע אֹתָם וְאֶת־בָּתֵּיהֶם וְאֵת אָהֳלֵיהֶם=

pāstā hā āres ēt wattibla ēm wĕ ēt bātēm wĕ ēt ohŏlehem.

فتحت الأرض فاها وابتلعتها مع بيوتهما وخيامها[٣].

علاقة/ قبض - بسط - فتح/ في العبرية والعربية.

وقد وردت مادة (قبض) ضدا لمادة (بسط) في العربية وضدا لمادة (فتح פתח).

في العبرية[٤]:

וְלֹא תִקְפֹּץ אֶת־יָדְךָ מֵאָחִיךָ הָאֶבְיוֹן כִּי־פָתֹחַ (תִּפְתַּח) אֶת־יָדְךָ לוֹ =

Wĕlō tikpos ēt yādĕkā Mē ahikahā ebyōn kī pātiyah (tiftah) ēt yādĕkā lō

ولا (تقبض) يدك عن أخيك الفقير بل (افتح يدك) له[٥].

وقد ورد (اقبض) ضدا للبسط في اللغة العربية، فقد جاء في اللسان[٦]: والبسط نقيض القبض، وفي تاج العروس[٧] بسطه ضد قبضه.

قال – تَعَالَى-: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾[٨].

---

(١) سفر المزامير (١٠٦/ ١٧).

(٢) التوراة/ سفر العدد/ الإصحاح (١١، ١٦/ ٣، ٣٢).

(٣) هما بيت داثان وبيت أبيرام. انظر المرجع السابق نفسه.

(٤) انظر في دلالة الفعل (قبض) و(قبص) في اللغة العربية ودلالة المادة في اللغات السامية ـ تحليل الدكتور حلمي خليل لهذه المادة المولد (٤٢٤) وانظر ما نقله عن جزينيوس (Gesenius) في هذا الشأن بالمرجع نفسه.

(٥) سفر التثنية (١٥/ ٨، ٩).

(٦) اللسان مادة بسط (١/ ٢٨٢).

(٧) تاج العروس (١٩/ ١٤٢).

(٨) الإسراء: ١٧/ ٢٩.

وغل اليد قبضها وقال - تَعَالَى - في آية أخرى:

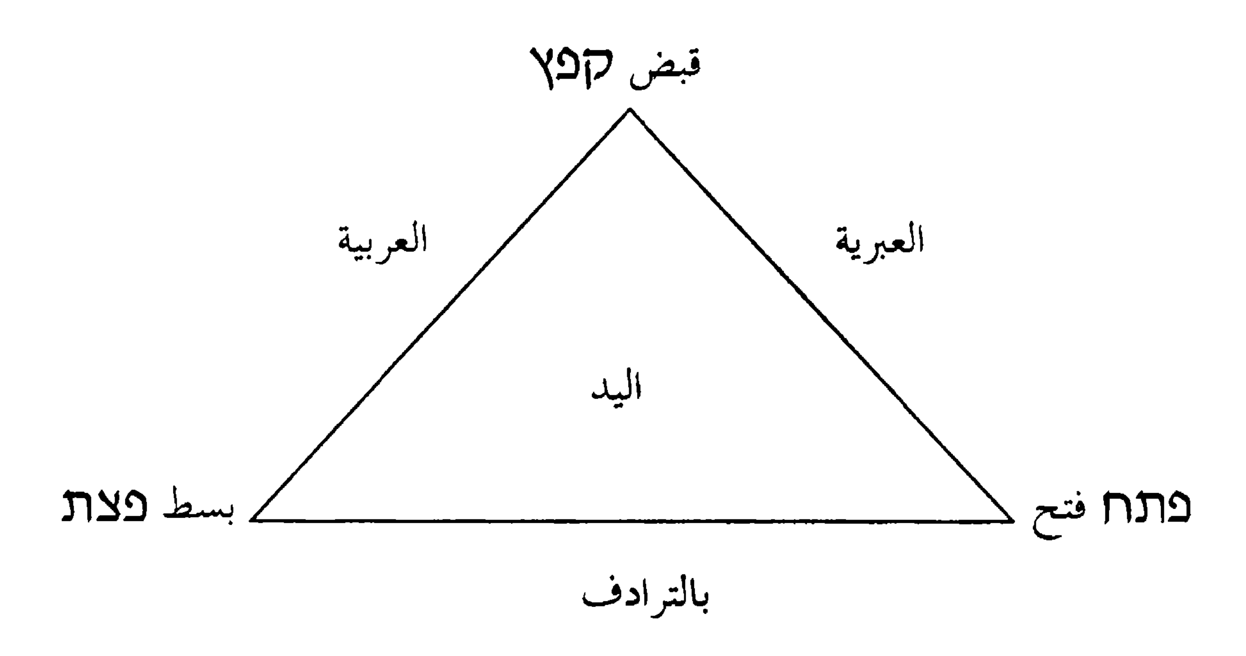
﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ (١) وتأتي קפץ في العبرية بمعنى سد وأغلق وضم وأطبق(٢).

وقد اجتمع القبض والبسط في قوله - تَعَالَى -: ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(٣).

وفي قول ذي الإِصْبَعِ العدواني: (البسط)

إِنَّ الَّذِي يقْـبِضُ الـدُّنْيَا وَيَبْـسُطُهَا   إِنْ كَـانَ أَغْنَـاكَ عَنِّـي سَـوفَ يُغْنِيِنـي(٤)

ويمكن أن نعبر عن العلاقة الدلالية التي تربط بين الوحدة المعجمية العربية (فتح) والوحدة المعجمية العبرية (פתח) من واقع النصوص في اللغتين ومن خلال إدراك العلاقات الدلالية المختلفة الخاصة بالوحدتين على هذا النحو.. بالتضاد.



* * *

(١) المائدة: ٥/ ٦٤.

(٢) قاموس قوجمان (٨٢٩). ما يشير إليه الهامش في الصفحة السابقة.

(٣) البقرة: ٢/ ٢٤٥.

(٤) شعراء النصرانية (٦٣٦).

الوحدة الدلالية الثالثة:

. معان في سبيلها إلى التجريد.

نلحظ في أسفار الأنبياء المتأخرين، وسفري المزامير والأمثال[١] ميلا نحو التجريد في مادة פתח، أو ما يمكن أن نسميه الاستخدام الكنائي وهو نوع من الاستخدام الدلالي يجمع بين الدلالة الحسية المباشرة وبين دلالة بعيدة مقصودة من العبارة اللغوية ولكنها لا تصل إلى التجريد الكامل.

שִׁמְעוּ כִּי־נְגִידִים אֲדַבֵּר וּמִפְתַּח שְׂפָתַי מֵישָׁרִים[٢] =

šim ū kī nĕgīdōm orabbēr ūmiftaḥ sēfāṯay mēšārīm

والمعنى: اسمعوا فإني أتكلم بأمور شريفة، وافتتاح شفتي استقامة (كناية، عن حسن الحديث)[٣].

efthā bmāšāl pī = אֶפְתְּחָה בְמָשָׁל פִּי

أَفْتَحُ بِمَثَلٍ فَمَي - (كناية عن قول الحكمة).

פֵּתַח דְּבָרֶיךָ יָאִיר מֵבִין פְּתָיִים[٤] =

pēṯaḥ dĕḇārēḵā yā īr meḇīn pĕṯayīm.

فَتْحُ كَلَامِكَ يُنِيرُ يُعقِّلُ الجُهَّالِ - (كناية عن الفتح العلمي)[٥].

פְּקַח עֵינֶיךָ שְׂבַע־לָחֶם

pĕkaḥ ēneḵa sĕḇa lāḥem[٦]

افتح عينيك تشبع خبزا - كناية عن السعي وحسن البصيرة فيه.

---

(١) انظر في تقسيم أسفار العهد القديم ص (٣٣) من البحث.

(٢) سفر الأمثال (٨/ ٦).

(٣) سفر المزامير (٧٨/ ٢).

(٤) سفر المزامير (١١٩/ ١٣٠).

(٥) ونلحظ في هذه الفقرة اختفاء الوسيط الحسي مع المادة فلم يذكر الفم ولا الشفتان وإنما ذكر الكلام وهي من أعلي حالات هذه الوحدة ميلا نحو التجريد في هذا السفر وفي العهد القديم على الإطلاق بناء على الجرد الذي قمت به لمادة الفتح في العهد القديم، ويبدو أن هذه الكناية اشتهرت بين اليهود وقد ذكرها القرآن الكريم عندما تحدث عن كتمانهم للعلم عن المسلمين حقدا وحسدا وستتعرض لذلك في بابه - إن شاء الله - تَعَالَى -.

(٦) سفر الأمثال (٢٠/ ١٣).

קֳדָמוֹהִי יקוּמוּן דִּינָא יְתִב וְסִפְרִיו פְּתִיחוּ [1]
= kạdāmohī yk.ūmūn dīnā yĕtib wĕ s'ifrin pĕtihū.

وقوف قدامه، فأقيم الدين وفتحت الأسفار - كناية عن حالة الاستقرار والتمكين حيث أقيم الدين وعاد الناس إلى مراجعة العلم (وفتحت الأسفار).

وأما الفتح بمعنى الغلبة فلم يرد في العهد القديم إلا بالمعنى الحسي المباشر وهو التمكن من فتح أسوار المدينة أو حصونها وتعد هذه العملية - فتح الأسوار والحصون - أهم نقطة في مسار المعارك القديمة، ولم يرد هذا الاستخدام إلا في سفر التثنية وأسفار الأنبياء المتأخرين، واستخدام مادة الفتح في هذا المعنى - في أسفار العهد القديم - نادر ومحدود للغاية وسننقل السياق المحيط بالمادة وذلك لتوضيح المفهوم التوراتي للفتح بهذا المعنى[2].

כִּי־ תִקְרַב אֶל עִיר לְהִלָּחֵם עָלֶיהָ וְקָרָאתָ אֵלֶיהָ לְשָׁלוֹם וְהָיָה אִם שָׁלוֹם תַּעַנְךָ וּפָתְחָה לָךְ וְהָיָה כָּל־הָעָם הַנִּמְצָא־בָהּ יִהְיוּ לְךָ לָמַס וַעֲבָדוּךָ =

kī tik.rab ēl er
lĕ hillāhēm ālehā wĕk.ārātā ēlehā lĕ šālōm
wĕhāyah im šālōm tacankā ūfath.ā lāk wĕhāyā kol hā
am hannims.ā bāh yihyū lĕkā lāmas' wa ăbadūkā.

والمعنى: حين تقترب من مدينة لتحاربها، ادعها للسلام، فإن أجابتك إليه وَفَتَحَتْ لك، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير، ويستعبد لك[3]!

٢- עָרֵי הַנֶּגֶב סֻגְּרוּ וְאֵין פֹּתֵחַ [4] =

ārī hannēgeb śuggr.ū weyn potēyăh.

أغلقت مدن الجنوب وليس من يفتح.

---

(١) سفر دانيال (٧/ ١٠).

(٢) التوراة/ سفر التثنية/ الإصحاح (٢٠) فقرة (١٠).

(٣) هذا في حالة السلام أما في حالة الحرب وفتحت المدينة عن طريق الحرب فيجب قتل جميع ذكورها. انظر الفقرة (١٤) بنفس الإصحاح وهناك تفرقة بين الشعوب فإذا كانت المدينة «للحثيين أو الأموريين أو الكنعانيين أو الفرزيين أو الحويين أو اليبوسيين» (فلا تستبق منها نسمه ما).
انظر الإصحاح العشرين (١٦، ١٧، ١٨).

(٤) سفر أرمياء (١٣/ ١٩).

٣- בֹּאוּ־ לָהּ מִקֵּץ פִּתְחוּ מַאֲבֻסֶיהָ סלוּה כְמוֹ־ עֲרֵמִים וְהַחֲרִימוּהָ־ אַל־ תְּהִי־ לָהּ שְׁאֵרִית [1] =

Bō ū īah mikḳes pt̲hū ma ăb̲uśehā śollū kĕmō ărēmim wĕhaḥărīmū al tēhīlah śerit.

والمعنى:

(هلم إليها[٢] من الأقصى، افتحوا أهراءها، كوموها عراما وحرموها، ولا تكن لها بقية).

من خلال العرض السابق لمنطوق مادة פתח عند استخدامها في معنى الغلبة والانتظار نجد أنها ترتبط بمفهومين أساسيين.

الأول: التسخير والاستعباد إذا كان الفتح صلحًا.

الثاني: التخريب والإبادة إذا كان الفتح حربا.

وهاتان الدلالتان تتحكمان في النظرة الصهيونية للآخرين إذا ما عاشوا معهم سلما أو حربا[٣].

بعد هذه الرحلة اللغوية التقابلية بين العربية والعبرية، يجدر بنا أن نتوقف عند بعض الملاحظات العامة، التي رصدناها عبر هذه الرحلة أو الطرق لتي سلكتها الدلالة:

أولا: أننا قد اعتمدنا ثلاث وحدات دلالية لعرض الصيغة المعجمية لمادة الفتح في العبرية (عبرية العهد القديم).

الأولى: الفتح بمعنى إزالة الإغلاق.

والثانية: الفتح المتعلق بالحواس الإنسانية (الفم والعين والأذن واليد).

والثالثة: ما أطلقتُ عليه (معانٍ في طريقها إلى التجريد)، وهذه الوحدات كما نري

(١) سفر أرمياء (٥٠/ ٢٦).

(٢) المدينة المقصودة بذلك هي مدينة بابل حيث تحض التوراة بني إسرائيل على فتحها وتخريبها. انظر المرجع السابق نفسه.

(٣) قارن بين هذه الدلالة والدلالة الخاصة بالنصر والتمكين في آيات الفتح في القرآن الكريم في المبحث الدلالي.

متقاربة جدا ومع ذلك فهناك فروق دلالية أمكن إدراكها وتم على أساسها هذا التقسيم الدلالي التصاعدي الذي يبدأ بالحواس وينتهي بالمجردات وبمتابعة المراحل التاريخية المختلفة دونت فيها أسفار العهد القديم وجدنا أن الوحدة الدلالية الأولى (الفتح الحسي)، قد ذكرت أغلب أمثلتها في الأسفار الخمسة المعروفة بالتوراة[١] وأن الوحدة الدلالية الأخيرة (الميل نحو التجريد) قد وجدت معظم أمثلتها في أسفار (المزامير والأمثال والأنبياء المتأخرين وسفر دانيال)[٢].

وهذه العلاقات التصاعدية هي سمة من سمات السلوك الإنساني للتعبير عن نشاطه العقلي المستمر في مواجهة العالم المحيط به، حيث يميل الإنسان لاستخدام الرموز في التعبير عن هذا النشاط العقلي[٣]، وإذا نظرنا إلى الرموز نظرة عامة، نجد أنها تنقسم إلى ما يساوي عدد الحواس الإنسانية فهي إما لمسية، أو ذوقية، أو شمية، أو سمعية، أو بصرية[٤] فالحواس وسيلة لانتقال الدلالة نحو التجريد، وهو ما رأيناه في الوحدة الدلالية الثانية.

ثانيًا: أنه مع وجود تشابه لفظي بين بعض عبارات التوراة عن الفتح وبين بعض آيات الفتح في القرآن الكريم إلا أن هناك فروقا جوهرية في الدلالة قد أشرنا إلى بعضها

---

(١) الأسفار الخمسة الأولى التكوين، الخروج، اللاويين، العدد التثنية (وهناك خلاف على الفترة الزمنية التي دونت فيها سفر التثنية. انظر في ذلك علاقة الإسلام باليهودية ٢١)، وهي في اعتقاد الكثيرين أقدم ما كتب من أسفار العهد القديم.

(٢) ربما نجد تبريرا لغويا وتاريخيا لذلك، حيث نجد طبيعة السفر وفترته الزمنية تقوم بتحديد بناءه اللغوي ـ المزامير توجد بها عناصر قديمة وعناصر حديثة حيث صيغت في فترات زمنية مختلفة ثم إنها غلبت عليها الصياغة الأدبية.

- الأمثال هي خلاصة تجارب الحس والمشاهدة.
- الأنبياء المتأخرون وسفر دانيال لعل أبرز أسباب وجود الاستخدام الكنائي فيها هو تأخرهما الزمني حيث يصاحب نمو الجماعة البشرية ميل نحو الرمز الكنائي. انظر في تأخر الفترة الزمنية لسفر دانيال فقه اللغة (٥١) والمفصل في تاريخ العرب (١/ ٥٣).

(٣) والكلمات رموز للأشياء وبالتالي فاللغة سلوك إنساني قائم على الرمز في الأساس، ولكن العلاقة بين الكلمات والأشياء لا بد وإنها مرت بالارتباط الحسي المباشر قبل وصولها إلى المجردات. انظر في ـ الكلمات رموز والكلمات صفات للأشياء والكلمات أشياء: مدخل إلى علم النفس (١٢٨، ١٢٩).

(٤) اللغة بين المعيارية والوصفية (١٠٤).

وتتمتها عندما نتعرض لآيات الفتح في القرِآن الكريم، بالتفصيل.

ثالثًا: أنه لم ترد في أسفار العهد القديم أية إشارة تدل على أن من معـاني الفـتح، في العهـد القديم، الحكم أو القضاء.

* * *

الفصـــل الثالث

دراسة مادة الفتح في الأدب الجاهلي

- الأدب الجاهلي.
- الوحدة الدلالية الأولي (الفتح عندما يكون بمعني إزالة الإغلاق).
- الوحدة الدلالية الثانية (الفتح بمعني القصد وكثرة الرحلة).
- الوحدة الدلالية الثالثة (الفتح بمعني الحكم والقضاء).
- دراسة نسبة الدلالة لقبائل الجنوب العربي.
- العلاقات التاريخية والجغرافية بين القبائل المنسوب إليها دلالة الحكم والقضاء في المصادر المختلفة .

مادة الفتح في الأدب الجاهلي:

تمهيد:

الأدب الجاهلي اصطلاح يقصد به مجموعة الآثار الأدبية التي تركها الشعراء والحكماء والخطباء في عصر ما قبل الإسلام بحوالي قرن من الزمان، والشعر أهم أجناسه وقد ظل أدبًا شفاهيًّا قُرابةَ ثلاثة قرون يتوارثه الأبناء عن الآباء وصغار الشعراء عن فحولهم[١] - حتى تم تدوينه[٢] في عصر صدر الإسلام وهو يُعَدُّ الصورة الأولي النموذجية المثالية المعتمدة لدي اللغويين والنحاة في إرساء قواعد اللغة العربية والحكم علي مفرداتها، فهو يمثل قيمة تاريخية ثابت للغة العربية، وأول ما نلحظ علي لغة هذا الأدبِ، أنها لغة أدبية مختارة وراقية[٣]، وأنها لغة عامة مشتركة[٤] ولدت في ظروف اجتماعية وتاريخية مشهورة

---

(١) انظر في رواية الشعر الجاهلي: العصر الجاهلي (١٤٢) وما بعدها.

(٢) انظر في تدوين الشعر الجاهلي: العصر الجاهلي (١٥٨ ـ ١٦٣).

(٣) الشعر الجاهلي تطوره وخصائصه الفنية (١٣٤).

(٤) المرجع السابق (١٥).

وعبرت عن اللسان العربي بشكل عام وإن ظهرت خلال اصطناع الشعراء لها خصائص لغوية قبلية خاصة، ولكنها واضحة ومفهومة لجمهور الشعراء والفصحاء والحكماء العرب في تلك الحقبة وهذه العناصر اللغوية القبلية الخاصة هي الروافد الطبيعية التي أسهمت في تكوين اللغة الفصحى[1] التي نزل بها القرآن الكريم.

وإذا أردنا أن ندرس التطور الدلالي التاريخي عبر العصر الجاهلي لمادة الفتح فإنه من الواجب علينا تحديد الزمن الذي ظهرت فيه أقدم دلالة من دلالات الكلمة، ولما كانت الفترة الزمنية المعروفة لنا عن أقدم النصوص الأدبية في هذا العصر لا تتجاوز قرنين من الزمن علي غاية الاستظهار[2].

ولما كانت العرب تؤرخ بالحوادث التاريخية الكبرى في حياتها ولم تعتمد وسيلة لضبط الزمن التاريخي إلا بعد ظهور الإسلام - فإننا نعترف بأن تحديد الزمن تحديدًا دقيقًا أمر بعيد المنال، ولكن سنهتدي في ترتيب المادة ترتيبًا تاريخيًا بآراء العلماء في المراحل الفنية والتاريخية للشعر الجاهلي[3]، فقد جعل الدكتور يوسف خليف من «حرب البسوس»[4] حدًّا فاصلًا بين مرحلتين في الشعر الجاهلي، حيث أطلق علي ما قبل الحرب (عصر ما قبل التاريخ الأدبي) وأطلق علي ما بعدها (مرحلة التاريخ الأدبي) ثم قسم هذه المرحلة ذاتها إلى جيلين من الشعراء: جيل الحرب، وهم جيل الرواد، والجيل الثاني يبدأ بفحول الشعراء كامرئ القيس وعبيد وطرفة ويمتد هذا الجيل حتى ظهور الإسلام[5].

ثم إن هناك حقيقةً يجب الالتفاتُ إليها، ألا وهي: أن الشعر الجاهلي وإن كان ديوان

(١) انظر في ظروف تكون اللغة الفصحي ونموها وازدهارها وعوامل ذلك التكون وأهم خصائصها وأراء الباحثين العرب والمستشرقين في ذلك فصول في فقه العربية (٧٦ ـ ٩٥).

(٢) انظر في أولية الشعر الجاهلي وقضية تحديد الفترة الزمنية: الشعر الجاهلي مراحله واتجاهاته الفنية «دراسة نصية» (٦ ـ ٨) وكذلك ص (٢٤، ٢٥).

(٣) انظر في أولية الشعر الجاهلي، ومراحله التاريخية والفنية: دراسات في الشعر الجاهلي (٤٧) وما بعدها، وانظر كذلك الشعر الجاهلي تطوره وخصائصه الفنية (١٦).

(٤) لمعرفة أخبار حرب البسوس انظر المفصل في تاريخ العرب (٥/ ٣٥٥ ـ ٣٥٧). والعقد الفريد (٥/ ٢١٣ ـ ٢٢٣).

(٥) دراسات في الشعر الجاهلي (٤٧ ـ ٤٩).

العرب والمرآة الكاشفة لحياتهم، فإن ما ورد منه قليل بالنسبة لما لم يرد[1] فضلا عن أنني لا أزعم أنني قد استوعبت كل ما ورد. ووفقا لما تقدم من مفاهيم سأقوم بعرض دلالة الفتح في الشعر الجاهلي بطريقتين: الأولي عرض المادة بمفهوم الوحدة الدلالية[2]، والثانية عمل جدول دلالي للمادة مرتبا ترتيبًا تاريخيًا.

أولاً: الوحدة الدلالية الأولى:

ـ الفتح عندما يكون بمعني إزالة الإغلاق في الأدب الجاهلي ردد الشعراء في العصر الجاهلي وصفًا ذميًا من أوصاف البخلاء وهو أن يجعل البخيل بابه مغلقا أو رتاجا في وجه الأضياف، وامتدح الكرماء بنفي هذه الصفة عنهم، فالكريم يفتح بابه دائما، والبخيل بابه ذو غلق في وجه الضيفان والمكرمات يقول - النمر بن تولب في نفي الصفة الذميمة عن نفسه ومفتخرا بكرمه: (الوافر)[3]

وَلَسْتُ بِحَارِمِ الأَضْيَافِ مِنْهَا ... وَجَاعِلِ دُوْنَهُم بَابِي رِتَاجَا

وأنشد لبيدُ بن ربيعةَ العامريّ يهجو أحد بني حُرْثَان بإثبات هذه الصفة - الدالة علي البخل - يقول: (الكامل)[4]

وَلَدَتْ بَنُو حُرْثَان فَرْخَ مُحَرِّقٍ ... بلوي الوضيعةِ مُرْتَجَ الأَبْوَابِ

وقد صرَّح طرفة بن العبد البكري بمدح من يفتح بابه للمكرمات حين تشتد الحاجة وتُوصد الأبوابُ، فقال - في مدح قتادة بن مسلمة الحنفي وهو من أجواد العرب المشهورين. (الكامل)[5]:

أَبْلِغْ قتادةَ غَيْرَ سائِلِهِ ... مِنْ الثَّوابِ وعاجِلِ الشُّكْمِ[6]

---

(١) ظواهر لغوية من المسيرة التاريخية للغة العربية قبل الإسلام (١١).
وانظر كذلك الشعر الجاهلي مراحله واتجاهاته الفنية (٣٣).
(٢) انظر في مفهوم الوحدة الدلالية ص (٣٤) بالبحث.
(٣) شعر النمر بن تولب (٤٧).
(٤) شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري (٢١).
(٥) ديوان طرفة (٨٨).
(٦) الشَّكْمُ: العِوَض والجزاء. انظر اللسان (شكم) (٤/ ٢٣١٢).

أَنِّي حَمَـــدْتُكَ للعــــشيرةِ إِذْ ... جــاءت إليـــك مُرِقَّــةُ العَظْــمِ
أَلْقَــوا إِلَيَــك بِكُـــلِّ أَرْمَلَـــةٍ ... شَـــعْثَاءَ تَحْمِـــلُ مِنْقَـــعَ الـــبُرْمِ[1]
فَفَتَحْـتَ بَابَـكَ لِلْمَكَـارِمِ حِـينَ ... تَوَاصَـــتِ الأَبْـــوَابُ بِـــالأَزْمِ[2]

ولقد جعل ذو الإصبع العدواني تنزيه نفسهِ عن غَلْقِ بابه في وجه الصديق من مكارم الأخلاق التي تقدم على عِفَّةِ اللسان والفروسية يقول (البسيط)[3]:

إِنِّي لَعَمْـرُكَ مَـا بَـابِي بِـذِي غَلَـقٍ ... عَــنِ الــصَّدِيقِ وَلَا خَــيْرِي بَمَمْنُــونِ
وَلا لِــسَانِي عَــلَي الأَدْنَي بُمِنْطَلِــقٍ ... بالفاحـــشاتِ وَلَا فَتْكِـــي بِمَـــأْمُونِ

وقال سِنانُ بنُ حَارِثَة المُرِّيُّ[4] - مفتخرا بنفسه ومدلا بها على قومه (البسيط):

وَقَدْ يَعْلَمُ القَومُ إِذْ طَالَـتْ غَـزَاتُهُمُ ... وَأُرْمِلُـــوا الـــزَّادَ أَنِّي مُنْفِـــدٌ زادِي
وَلَا أجـــيءُ بـــسِوآتٍ أُعَيَّرُهَـــا ... حَتَّـــي يَجِـــيءَ مِـــنَ القـــبرِ ابـــنُ مَيَّـــادِ
أَثْنُوا عَلَيَّ فَكَائِنْ قَـدْ فَتَحْـتُ لَكُـم ... مِـــنْ بَـــابِ مَكْرُمَـــةٍ تُعْتَـــدُّ أَو وادِ[5]

فالشاعر يفخر بأنه قد فتح لقومه أبواب المكرمات المعتد بها التي ربما استعصي فتحها على قومه.

وإذا كان فتح الأبواب في وجوه الأضياف والأصدقاء، وفي وقت الشدائد من

---

(١) مِنْقَعُ البُرْمِ: تَورٌ صغير أو قُديرةٌ صغيرة من حجارة تكون للصبي يطرحون فيه التمرَ واللبنَ يُطْعَمَهُ ويُسْقاهُ.
انظر اللسان (نقع) (٦/ ٤٥٢٧). والبُرْمُ: القدور ومفرده بُرْمةٌ وتجمع علي بُرَمٌ وبِرَامٌ وبُرْمٌ. اللسان مادة برم (١/ ٢٦٩).
(٢) الأَزْمُ: إغلاق البابِ، وَأَزَمَ البَابَ أَزْمًا أغلقه. اللسان: مادة (أزم).
(٣) المفضليات (١٦٠) والبيت الأول بأمالي المرتضي (١/ ١٨٢).
(٤) هو سنان بن أبي حارثة بن مرة من ذبيان من قيس عيلان بن مضر وله مواقف مشهودة في يوم داحس والغبراء، انظر المفضليات (٣٥٠)، والأصمعيات (٢٠٩) وانظر الأبيات بالمرجعين السابقين.
(٥) كائن: صورة أخري لكأين بمعني كم للتكثير.
وقال أبو بكر السجستاني (كاين) و(كائن) و(كئن) ثلاث لغات بمعني كم انظر غريب القرآن (١٦٦).

أوصاف المروءة ومكارم الأخلاق فإن فتح الفم بسؤال الأغنياء أمر غير مقبول لدي الأعرابي الأبيّ، فقد رُوي لأعرابي يخاطب زوجته[1] (البسيط):

اِرْضَيْ مِنَ العيشِ مَا لمْ تُحْوَجِي مَعَـهُ ... أَنْ تَفْتَحِـي لِسُؤالِ الأَغْنِيـاءِ فَـمَا

واستشعِرِي الصَّبْرَ عَـلَّ اللهَ خَالِقَنَـا ... يَوْمًـا سَيَكْشِفُ عَنَّـا الـضُّرَّ والعَـدَمَا

وقد ذكر الفتح في الشعر الجاهلي في أبيات تحمل معني الحكمة أو المثل. قال حنظلة الطائي[2]: (الطويل)

كـذلِكَ زَيْـدُ الأَمْـرِ ثُـمَّ انْتِقَاصُـهُ ... وَتَكْـرَارُهُ فِي إِثْـرِهِ بَعْـدَمَا مَضى

تُـصَبِّحُ فَـتْحَ الـدَّارِ وَالـدَّارُ زِينَـةٌ ... وتـأبي الجِبَـالَ مِـنْ شَمَارِيخِهَا العُـلَى

فَلَا ذُو غَنَىَ تُرْجِينَ مِنْ فَضْلِ مَالِهِ ... وإنْ قَـالَ أَخِّـرْنِي وَخُـذْ رِشْـوَةً أَبَـى

وقد وردت صيغة اشتقاقية للمادة في مثل علي لسان أكثم بن صيفي وهو من حكماء العرب المشهورين[3] حيث قال: «العَجْزُ مِفْتاحُ الفقرِ»[4] وقد استخدمت صيغة (مفتاح) في هذا المثل استخداما مجازيا.

وذكر الأعشى[5] أن ممدوحه نال درجة عظيمة من العز والشرف حتى إذا استغلق

---

(١) ذكره الشريف الرضي رواية عن ابن أخي الأصمعي عن عمه الأصمعي لأعرابي من البادية. انظر أمالي المرتضي (٢/ ١٤١).

(٢) هو حنظلة بن أبي عفراء بن النعمان المعروف بحنظلة الطائي.
انظر شعراء النصرانية (قبله الإسلام) (١/ ٩٢).
تُرْجِينَ: تُؤخرن وأرجي الأمر: أخره، لغة في أرجأه، وأرجأتُ الأمرَ وأرجيتُه إذا أخرته يُهْمَزُ ولا يُهْمَزُ. اللسان (٣/ ١٦٠٤).

(٣) انظر قائمة حكماء العرب بالمفصل في تاريخ العرب (٥/ ٥٠٤).

(٤) العقد الفريد (٢/ ١١).

(٥) هو ميمون بن قيس من بكر بن وائل عاش في أواخر العصر الجاهلي وكل ما يعرف عن نشأته أنه ولد باليمامة لكنه اشتهر بشعره ولقب (بصناجة العرب) لمعرفة أخباره وأسفاره وأشعاره. انظر: العصر الجاهلي (٣٣٥ ـ ٣٣٩) وانظر المؤتلف والمختلفة (١٠، ١١) وله ديوان شرحه الدكتور محمد حسين (اعتمادا علي نشرة جاير) (١٩٥٠) ـ الإسكندرية.

عليه أمر من مكارم العز والشرف أعطاه رب العرش مفتاح بابها يقول: (من الطويل)[1]

وَلَوْ أَنَّ عِزَّ النَّاسِ فِي رأْسِ صَخْرَةٍ مُلَمْلَمَةٍ تُعْنِي الأَرْحَّ المُخَدَّمَا[2]

لَأَعْطَاهُ رَبُّ العَرْشِ مِفْتَاحَ بَابِهَا وَلَوْ لَمْ يَكُنْ بَابٌ لَأَعْطَاهُ سُلَّمَا

الوحدة الدلالية الثانية:

الفتح بمعني القصد والغزو وكثرة الرحلة في الشعر الجاهلي:

رأينا كيف وردت هذه الوحدة الدلالية في العهد القديم وأنها ارتبطت بإزالة إغلاق الحصون والأسوار في حرب المدن وهذا أمر طبيعي لبلاد الشام التي عرفت هذا النوع من الحرب حيث تعاورتها الدول والقبائل والشعوب من مصريين وبابليين وروم وفرس، أما الجزيرة العربية التي جُلُّ أهلها من القبائل البدوية، فإنها لم تعرف هذا النوع من الحرب إلا بعد ظهور الإسلام فليس للعرب حصونٌ أو أسوار في الأغلب وإنما الخيلُ حصونُ العرب فهم عندما يهدفون إلى الحرب لا يفتحون أسوارًا أو حصونًا، وإنما يقصدون إلى عدوهم، فيغيرون عليه ثم يعودون، وإنما يقصدون إلى عدوهم، فيغيرون عليه ثم يعودون أدراجهم ولذلك نجد أن ألفاظًا مثل القصد والغزو والإغارة والحرب والطلب أكثر استعمالا في هذا الغرض وهو الانتصار والظفر والغلبة ولذلك فإن دلالة الفتح في العصر الجاهلي علي النصر والغلبة، لا تتجاوز مفهوم الغزو[3] والقصد[4].

ويبدو أن مادة قصد أقدم في الدلالة علي الغلبة والانتصار من غيرها من الكلمات عند معظم الساميين فهي تناسب الحركة الطبيعية للإنسان في البيئة هذه الحركة التي تسبب الاحتكاك والاصطدام مع غيره، وهذا المعني نجده في اللغة العربية يقول ابن جني:

«أصل (قصد) ومواقعها من كلام العرب، الاعتزاز والتوجه والنهوض نحو

---

(١) شعراء النصرانية (٣٧٩) وانظر الأبيات في اللسان مادة خدم (٢/ ١١١٥).

(٢) الأرَحَ المُخَدَّمُ: الوعل الأعصم أو الوعل المُحَجَّل المُعْلَمُ.

(٣) وردت مادة الغزو في شعر امرئ القيس ثلاث مرات. انظر الديوان ص (٧٠، ٢٦٩، ٣٨٣).

(٤) وردت مادة القصد في ديوان امرئ القيس خمس مرات.
انظر الديوان (١٨٦، ٣٠١، ٣٣٣، ٣٣٨، ٣٩٦).

الشيء»[1] وهذا هو معني الغزو في دلالته الأصلية فَغَزْوِي كذا أن قصدي كذا[2] وهذا هو المعني الأول للغزو ثم اختص بالتوجه والقصد نحو الإغارة وطلب العدو حيث نجد في الآكادية[3] (ikšud) (يقصد) بمعني غزا أو فتح بلدا أو عزم والمصدر منها في الآشورية[4] (kašadu) وفي الحبشية = (kšta) بمعني وجد أو عثر عليه أو فتح[5] وقد وردت مادة الفتح تحمل ظلال تلك المعاني، وهذا ما نلحظه علي مادة (فتح) في الأبيات التي وردت فيها يقول أُمَيَّةُ بن أبي الصِّلْتِ[6] - في رثائه لقتلي المشركين في غزوة بدر- [7] (مجزوء الكامل):

أَلَّا بَكَيْــــتَ عَـــلَي الكِـــرَا ... مِ بَنِـــي الكـــرَامِ أولي المَــمَادِحْ

أَنْ قَـــدْ تَغـــيَّرَ بَطْـــنُ مَكَّـــ ... ـــةَ فهـــي موحـــشةُ الأبـــاطحْ

مِـــنْ كُـــلِّ بِطْرِيـــقٍ لبطريـــقٍ نَـــ ... قِـــــيِّ اللــــــونِ واضـــــحْ

دُعمـــوصِ أبـــوابِ الملـــ ... ـــوكِ وجائـــبِ للخـــرق فَـــاتِحْ[8]

ومعنى (فاتح) في هذه المقطوعة أي قاصدٌ وَغَازٍ أو كثيرُ الرحلة في الصحراء كثيرة

---

(١) انظر قول ابن جني في اللسان (قصد) (٥/ ٣٦٤٣) وانظر القاموس (١/ ٢٢٧).

(٢) اللسان (غزا) (٥/ ٣٢٥٣) والقاموس (٤/ ٣٦٩، ٣٧٠) ومقاييس اللغة (٤/ ٤٢٣).

(٣) ذكر موسكاتي أن معني هذا الفعل بالانكليزية (conquered).
بمعني غلب أو ظفر على. انظر ذلك: S.Moscati An introduction... p. 58

(٤) فقه اللغات السامية (١٢١، ١٢٢).

(٥) في قواعد الساميات (٤٠٤).

(٦) شاعر ثقيف، أكثر ما روي من شعره منحول عيه ما عدا مرثيته لقتلي بدر من المشركين (منها هذه الأبيات التي اشتشهدنا بها). انظر: رأي كل من هور (Hyart) والرد عليه وكذلك رأي تور أندريه (Tor Andrae) في أشعاره وفي توثيق كارل بروكلمان لهذه المرتبة. تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان (١/ ١١٣، ١١٤) وكذلك العصر الجاهلي (٣٩٤-٣٩٧).

(٧) شعراء النصرانية (٢٢٣).

(٨) (الدعموص): الدخَّال في الأمور الزوار الملوك. انظر اللسان (٢/ ١٣٨٤)، (والجانب): الجائب والجواب هو المعتاد لذلك، إذا كان قطاعا للبلاد سيارا فيها. انظر اللسان (١/ ٧١٧).
(الخَرْقُ): الأرض البعيدة والفلاة الواسعة وسُميت بذلك لانخراق الريح فيها. انظر مادة خرق اللسان (٢/ ١١٤٢).

المجاهل والمغيبات فهو يقصد إليها فَيُزِيلُ كلَّ ذلك بفتحه لها واختراقه لدروبها ومسالكها وَفَتْحُ مَهامِهِ الصحراء ليس للإقامة والاستقرار وإنما هو صفة من صفات الفروسية وعلامة من علامات النجابة والشجاعة وقد تغني بها الشعراء الفرسان في الجاهلية. يقول امرؤ القيس[1] متغنيا بهذا المعنى: (الوافر)

أَلم أُنــضِ المَطِــيَّ بِكُــلِّ خَــرْقٍ   أَمــقِّ الطــولِ لَمَّــاعِ الــسَّرابِ[2]؟

والمعنى: ألم أُهْزِلْ المطي بطول السفر ودءوب السير بكل فلاه وهو القائل أيضا:

وَقَــدْ طَوَّفْــتُ في الآفــاقِ حَتَّــى   رَضِــيتُ مِــنَ الغنيمــةِ بالإيــابِ[3]

وبناء علي ذلك يكون معني (للخرق فاتح) أي مخترقا الصحراء مزيلًا مجاهلها لنفسه وللآخرين وإذا كنا قد رأينا في الوحدة الدلالية السابقة إزالة إغلاق الباب في مجال الكرم فإن هذه الوحدة تكشف لنا إزالة إغلاق مجاهل الصحراء من باب المروءة والفروسية وهو تطوير دلالي نحو التجريد.

الوحدة الدلالية الثالثة في الأدب الجاهلي:

«الفتح عندما يكون بمعنى الحكم والقضاء».

وردت هذه الدلالة ـ فيما طالعت من الشعر ـ عند كبار الشعراء الجاهليين وقد اختص شعراء القبائل اليمنية بها دون سواهم، وذلك في الجيل الثاني من مرحلة التاريخ الأدبي في الشعر الجاهلي[4]، وأبرز الصيغ التي وجدتها ـ عند مطالعتي للتراث الشعري ـ هي صيغة (الفاتح) و(الفتاحة)، كما نرى من خلال عرض هذه الوحدة الدلالية، وتحقيق نسبتها للشعراء والبيئة التي ولدت فيها تلك الدلالة ودراسة الصلات اللغوية بين القبائل وأثر ذلك على اللغة المشتركة.

---

(١) الديوان (٩٨).

(٢) الأمق الطويل وأضافه إلى الطول لاختلاف اللفظين. ولماع السراب: هو الذي يلمع في نصف النهار وشدة الحر. الديوان(٩٨).

(٣) الديوان (٩٩).

(٤) انظر ما نقلناه عن العلماء في أول هذا المبحث والخاص بمراحل الشعر الجاهلي (عن الدكتور يوسف خليف).

١. الوثيقة الأولى:

- امرؤ القيس يفخر بجده عمرو الفاتح.

لا يعرف الأدب العربي في العصر الجاهلي أحدًا مِنْ قالة الشعر ومروضي القريض، سبق امرأ القيس فيما أتى به من مُقَلَّدَاتِ الشعر وغرر القصائد، وما تصرف فيه من فنون البيان، وابتكره من المعاني والأساليب واتخذه من مذاهب الكلام [١].

ثم هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار[٢] أبوه صاحب الملك المتوارث في كندة، وجده قرين الملوك الصيد من لخم وغسان وامرؤ القيس في جميع أطوار حياته، منذ حداثته وطراءة سنه، إلى آخر أيامه، قال الشعر وصاغ القريض وتناقلته الأسواق والمجامع وتسومع به في البوادي والحواضر [٣].

وبالطبع عندما نقول بأن امرأ القيس يفخر بجده الفاتح لا نعني بأن جده عمرا قد فتح البلاد والأمصار، بل نعني بذلك الدلالة المتداولة لدى العرب الجنوبيين، التي تعني الحاكم الذي لا يرد حكمه وقضاؤه لعدله ورفقه[٤] فهي صفة حكمة وقوة وشرف[٥].

يقول امرؤ القيس في قصيدته[٦] التي مطلعها: (الوافر).

---

(١) الديون ٥ وانظر في اسمه ولقبه وأخباره وقبيلته وديوانه وشعره وضروبه الفنية وسبقه وريادته: العصر الجاهلي من (٢٣٢ - ٢٦٥) وانظر الدراسة النصية لشعر امرئ القيس التي تكشف عن أستاذيته وجوانب مختلفة من إبداعه انظر: الشعر الجاهلي مراحله واتجاهاته (٦٤ - ٨١).

(٢) المؤتلف والمختلف ص٥.

(٣) الديوان ٦ وتاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان (١/ ٩٧، ٩٨).

(٤) (الفاتح) هو الأمير أو السيد - بحسب الحالة السياسية السائدة - القائم بقوته وشرفه - الذاتي والقبلي - أو المكلف، بالحكم في الأمور وإلزام أطراف الخصومة بتنفيذ حكمه، وقد وضحنا المناسبة والخلفية التاريخية لميلاد هذا المعنى عند دراستنا للنقوش العربية الجنوبية.

(٥) عرف هذا في الشعر العربي حيث كان الحكم الذي يتمتع بصفات العدالة والقوة التي تحمي تنفيذ ما يقضي به من أرفع المراتب في الجاهلية وقد عرف حكام أو قضاة بذلك ومدحت قبائلهم من أجلهم قال ذو الإصبع العدواني - في مدح عامر بن الظرب العدواني - (مجزؤ الوافر):

وَمِنْهم حَكَمٌ يقـضي فَلا يُنْقَضُ مَا يَقْضِي

شعراء النصرانية (٦٢٥).

(٦) القصيدة رقم (١١) في نسخة الأعلم الشنتمري برواية الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء الديوان ص (٩٩) والأبيات أرقام (١، ٢، ٥) بهذا الاقتباس فقد زادهما نسختا ابن النحاس وأبو سهل=

(١) أَرَانَـا مُوضِـعِينَ لِأَمْـرِ غَيْـبٍ وَنُـسْحَرُ بالطَّعَـامِ وَبِالـشّرابِ[١]
(٢) أَبَعْدَ الحارِثِ المَلِكِ بـن عمـروٍ وَبَعْـدَ الخَـيرِ حُجْـرِ ذِي القِبَـابِ[٢]
(٣) وَبَعْـدَ الفَـاتِحِ الوَهَّـابِ عَمْـرِو حَلِيفِ الجُـودِ ذِي الحَسَبِ اللُّبَـابِ[٣]
(٤) وَبَعْـدَ مُلُـوكِ حِمْـيَرَ قَـدْ تَوَافَـوا بِـأَكْرَمِ شِـيَمةٍ وَأَقَـلِّ عَـابِ[٤]
(٥) أُرَجِّي مِـنْ صُرُوفِ الـدَّهْرِ لِينًـا وَلَمْ تَغْفُـلْ عَـنِ الـصُّمِّ الهِـضَابِ

والشاعر في هذه الأنشودة الرائعة[٥]. يعبر عن ذاته تعبيرًا في غاية الشفافية والعمق فهو يبدأ أنشودته العاطفية الحزينة، بالإشارة بسمو نفسه وارتفاعها في الغايات والمقاصد[٦]، ثم يتبع ذلك بذكر آبائه وأجداده، ورهطه الملوك النبلاء قليلي العيب كرام الشيم[٧]، ويذكر كل هذا في إطار الحزن العميق لفقدهم ومحاولة تعزية نفسه على مواجهة الصعاب وركوب الخطر فهو لا يرجى لين العيش بل سيلقى ما لقي الآباء والأجداد كبار النفوس كبار الخطوب[٨].

وقد جاءت صيغة (الفاتح) في ذلك السياق الدلالي المشحون بالعواطف وصفا لأحد

= هي على الترتيب (١، ١٠، ١١) أما (٣، ٤) بعد البيت العاشر بهذه القصيدة وزادهما نهاية القصيدة انظر تحقيق المحقق لهذه الأبيات. الديوان ص (٩٧ ـ ١٠٠) ومن (٤٠٢ ـ ٤٠٤) وانظر في توثيق المحقق لنسخة الطوسي (١١، ١٢، ١٣) بالديوان وتوثيقه لنسختي ابن النحاس وأبي سهل من (١٥ ـ ١٧) المرجع نفسه.

(١) يقول في هذا البيت نرى أنفسنا مسرعين نحو أمر مغيب وهو الموت ونخدع عنه بالطعام والشراب ولا نفكر في هذا المصير المجهول.

(٢) الحارث بن عمرو جده وحجر بن حارث بن عمرو أبوه و(ذي القباب) يرى أنه ملك ذو قباب والقبة لا تكون إلا للملك. انظر/ الديوان (٩٩).

(٣) (عمرو) علم على جد أبيه وجد جده كذلك انظر نسبه في المؤتلف والمختلف للآمدي ص (٥).

(٤) عاب: قال ابن سيده: العاب والعيب والعيبة: الوصمة. قال سيبويه: أمالوا العاب تشبيها له بألف رمى؛ لأنها منقلبة عن ياء (وهو نادر)، والجمع أعياب وعيوب. انظر اللسان مادة/ عيب (٤/ ٣١٨٣).

(٥) انظر في روعة هذه المقطوعة: العصر الجاهلي (٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠).

(٦) انظر الأبيات (١ ـ ٨) من القصيدة الديوان (٩٧ ـ ٩٩).

(٧) انظر البيت رقم (١٠) بالقصيدة الديوان (٩٩) والزيادات المكملة (٤٠٣، ٤٠٤).

(٨) انظر الأبيات المعبرة عن ذلك من (١١ ـ ١٣) بالقصيدة الديوان (٩٩، ١٠٠).

الأجداد العظام وجاءت مطلقة غير مضافة، وهذا التجريد في الوصف يدل على أن هذه الصيغة قد عُرفت واشتهرت في دلالتها تلك المشار إليها، ومن يدري لعل امرأ القيس هو أول من جردها هذا التجريد ولكن تبقى المناسبة التاريخية التي وضّحناها سابقًا هي السلم الأول الذي سلكته اللفظة نحو التجريد.

الوثيقة اللغوية الثانية

الأسعر الجُعْفي لا يقبل فُتَاحة بني عُصْم.

ورد بيت من الشعر في هذا المعنى لشاعر من بني جُعف وهم حي من سعد العشيرة من مذحج، وقد تواترت كتب اللغة والمعجمات وكتب التفسير على الاستشهاد بهذا البيت في بيان هذه الدلالة الخاصة من دلالات مادة الفتح وهي الحكم والقضاء وربما لم يتعرض بيت من الشعر مثل هذا البيت، من كثرة الرواية والاختلاف في النسبة وفي الرواية كذلك، وما تبع ذلك من آراء العلماء في التحقيق والتمحيص، ولكنهم اتفقوا جميعًا على أن دلالة كلمة (الفُتَاحةُ) هي الحكم والقضاء، ولأهمية هذا البيت من ناحية التوثيق اللغوي في هذه الدلالة سنعرض بالتحليل لهذه الوثيقة من ناحية الرواية والنسبة والدلالة وعلاقتها بغيرها من الوثائق اللغوية التي تخص هذه الوحدة الدلالية.

البيت (الوافر)

أَلَا أَبْلِغْ بَنِي عُصْمٍ رَسُولًا ... فَإِنِّي عَنْ فُتَاحَتِكُمْ غَنِيُّ

وقد اختلفت المصادر في اسم العلم المُبَلَّغ بالرسالة على النحو التالي: بني عُصم[1]، بني عمرو[2]، بني وهب[3]، بني عوف[4]، بني بكر بن عبد[5] ثم (أبا عمرو، عمرا،

(١) هي رواية مجاز القرآن (١/ ٢٢٠، ٢/ ٨٧) وتهذيب اللغة مادة فتح (٤/ ٤٤٧) وزاد المسير في علم التفسير (٣/ ٢٣٢) وتفسير الماوردي (١/ ١٤٨، ٢/ ٢٤٠) والسمط (٢/ ٩٢٧) وفتح الباري (٨/ ١٤٩).

(٢) وهي رواية إصلاح المنطق ١١٢ وتفسير أسماء الله الحسنى ٣٩، وربما المقصود ببني عمرو هم بنو عصم وهو أحد أجداد عصم ففي نسب عصم أنه عصم بن عمرو بن زبيد. انظر نسب بني عصم في الأصمعيات ١٢١ الهامش.

(٣) وهي رواية أساس البلاغة مادة فتح (٢/ ١٨٢).

(٤) وهي رواية مقاييس اللغة مادة فتح (٤/ ٤٧٠).

(٥) ذكر الشيخ عبدالعزيز الميمني أنه في زيادات الجمهرة كذلك (بني بكر بن عبد). وفي النسخة المحققة (د. رمزي البعلبكي) (١/ ٣٨٦).

عصما)[1] برواية (ألا من مبلغ .. ومن مبلغ ..

وأما كلمة (فُتَاحة) فقد رويت بالضم فقط [2] أو بالفتح فقط[3] أو الضم والكسر[4] أو بالكسر والفتح[5] ورويت من ناحية الاشتقاق (فتاحة) وهي الكثرة ورويت (فَتَّاحِكُم)[6] على وزن فَعَّال ورويت (فِتَاحِكُم)[7] على وزن فِعَال بصيغة المصدر مع تغييرات أخرى بالبيت ليلائم الوزن.

وكما وقع الخلاف في الرواية، وقع الخلاف في نسبة البيت (الأسعر الجعفي[8] - الأشعر الجعفي[9]، الشويعر الجعفي[10] - الأعشى الكندي)[11] وتحقيق ذلك:

---

(١) (أبا عمرو) اللسان مادة رسل (٣/ ١٦٤٤) و(عمرا) المحكم (٣/ ٢٠٦) وكذلك اللسان مادة فتح (٥/ ٣٣٣٨) و(عصما) الصاهل والشاحج (٦٤٨) وروايته: (من مجزوء الكامل)

مَـــــنْ مُبْلِـــــغٌ عُـــــصْمًا بِـــــأَنْ ... نِي عَـــــنَ فَتَـــــاحَتِكُمْ غَنِـــــيْ

بتقييد القافية.

(٢) هي رواية مجاز القرآن (١/ ٢٢٠) وتهذيب اللغة (٤/ ٤٤٧) وزاد المسير (٣/ ٢٣٢) والسمط (٢/ ٩٢٧).

(٣) هي في تفسير أسماء الله الحسنى (٢٩) وهي من ضبط المحقق.

(٤) وهي رواية إصلاح المنطق وقد نص ابن السكيت على ذلك في باب الفُعالة والفِعالة بالضم والكسر (١١٢) وهي رواية مقاييس اللغة بضبط المحقق (٤/ ٤٧٠).

(٥) وهي رواية المحكم (٣/ ٢٠٦) وتاج العروس (٢/ ١٩٤).

(٦) رواية الماوردي انظر التفسير (٢/ ٢٤٠).

(٧) المرجع السابق نفسه (١/ ١٤٨).

(٨) في تهذيب اللغة مادة فتح (٤/ ٤٤٥) والفاخر (١٨٤) وانظر هامش التحقيق واللسان مادة رسل (٣/ ١٦٤٤).

(٩) اللسان مادة فتح (٥/ ٣٣٣٨) وتاج العروس مادة فتح (٢/ ١٩٤) وقال محقق الخزانة: «في النسخ الأشعر وحور الشنقيطي نقط الشين إلى سكون فوق السين وهو الصواب».

انظر هامش الخزانة (٤/ ١٥١) وكذلك (٩/ ١٨١) وهامش الأصمعيات (١٤٠).

(١٠) وهي نسبة (أبي محمد بن السيرافي) انظر هامش السمط (٢/ ٩٢٧) وكذلك نسبة الصاهل والشاحج (٦٤٨).

(١١) وفي زيادات الجمهرة (٢/ ٤) ... منسوبًا لأعشى قيس (ولم يروه له أحد)، وبطرته عن نسخة (الكندي) ولكن ليس ثمة أحد من العُشْو من كندة، فالأعشى فيه مصحف الأسعر.

انظر هامش السمط (٢/ ٩٢٧).

وذكر محقق (تفسير أسماء الله الحسنى لأبي إسحاق الزجاج) أنه قد تم التفتيش في ديوان الأعشى=

تناول عدد من العلماء المحققين والباحثين تقصي نسبة هذا البيت [1] وضبط اسم الشاعر، ويمكن أن نحصر الخلاف في أضيق نطاق فنقول كما قال العلماء بأن الأشعر هو تحريف للأسعر، وأما نسبة البيت لأعشى قيس في زيادات الجمهرة فهي نسبة غير صحيحة، لأنه قد ورد في إحدى الروايات منسوبًا للأعشى الكندي ـ وإن كان بعض العلماء قد أنكر أن يكون في كندة ثمة عُشْوٌ ـ فإنه لا يوجد مانع من أن يُلَقَّب الأسعر الجعفي بأعشى كندة حيث جُعْفٌ [2] بطن من كنده[3]. وربما لقب بالأعشى في آخر حياته ثم ميز عنه الأعشى المشهور بلقبه «أعشى قيس» حيث سَبَقَ الأسعرُ الجُعْفي أعشى قيس في الفترة الزمنية، فلا يوجد مانع من أن يلقب أكثر من شاعر بلقب الأعشى وإن اشتهرت ـ فيما بعد ـ في أعشى قيس[4].

= فلم يوجد به هذا البيت. انظر هامش تفسير أسماء الله الحسنى (٣٩).

(١) انظر الهوامش السابقة من هذا البحث الصفحة نفسها.

(٢) قال نشون الحميري: «جُعف بضم الفاء حي من اليمن، وهم ولد جعف بن سعد العشيرة بن مذحج» انظر منتخبات في أخبار اليمن (٢١) وقال أبو العلاء: جعفي حي من مذحج، وقال التبريزي في شرح الحماسة: فأما الجعفي فمنسوب إلى حي من القين يقال له جعفي بلفظ النسب أيضًا، فإذا نسبت إلى جعفي حذفت ياء النسب منه وألحقته ياءين مستحدثتين، وهو اسم مرتجل علما وتوهم بعضهم أن اسم الحي جعف، وأنكر عليه ثعلب، ونظير جعفي -اسم هذا الحي- في أنه بدئ وفيه ياء الإضافة كقولهم كرسي وله نظائر. انظر شرح ديوان الحماسة (٣/ ٥٩) وكذلك قول الجوهري وعبارته: «أبو قبيلة من اليمن وهي جعفي من سعد العشيرة ـ والنسبة إليه كذلك» قال الشاعر:

جُعْفٌ بنجرانَ تَجُرُّ القنا ليس بها جُعْفِيٌّ بِالمُشْرِعِ

انظر اللسان (جعف) (١/ ٦٣٦) وانظر في أخبار (جُعف والجعفيون ومواطنهم) صفة جزيرة العرب (١٤٧، ١٩٨، ٢٠٠).

(٣) جعف بطن من كندة. انظر سمط اللآلئ (٩٢٧).

(٤) قال الدكتور محمد حسين في مقدمة شرحه لديوان الأعشى:

«والملقبون بهذا اللقب من الشعراء كثير أحصى منهم الآمدي سبعة عشر شاعرًا بين جاهلي وإسلامي، وهم يميزون بينهم بنسبتهم لقبائلهم فيقولون أعشى همدان وأعشى باهلة، وأعشى تغلب وهكذا وأشهر هؤلاء جميعًا أعشى بني قيس بن ثعلبة الملقب بصناجة العرب..» انظر مقدمة ديوان الأعشى نشرة جاير شرح وتعليق الدكتور محمد حسين، الإسكندرية (١٩٥٠م). وقد رجعتُ إلى المؤتلف والمختلف فلم أجد من بين العُشْو أعشى كندة انظر المؤتلف والمختلف (١٠ ـ ٢١) (المؤلف).

وأما نسبة البيت للشويعر الجعفي، فيمكن أن نجد لها تفسيرا يتعلق برواية شعر الأسعر فاسم الأسعر في المصادر هو (مرثد بن أبي حِمْران الجُعْفيُّ) وله ابن أخ يُطْلق عليه الشويعر[1] وربما كان يروي شعر عمه الفارس الملقب بالأسعر واسم هذا الشويعر (محمد بن حمران بن أبي حمران الجعفي) وربما وقع الخطأ من النساخ حيث يتشابه كلاهما في الاسم الثاني فأبو الشويعر اسمه حمران.

وأبو الشاعر ـ الأسعر ـ لقبه أبو حمران وهو جد الشويعر ومما ساعد على هذا اللبس اشتراك الاثنين في الانتساب إلى جعف ووجود التصحيف في الأسعر حيث وجد الأشعر فاشتبه بالشويعر[2] وبناء على كل ما تقدم أكاد أجزم بنسبة البيت للأسعر الجعفي، وأنه ربما خاطب أول ما خاطب بني عصم، وسار هذا البيت في الناس مسيرة المثل، فمن تواجهه مثل تلك المواقف الاحتجاجية التي عبر عنها البيت المشار إليه في نزاع أو خصومة ويشعر بالحيف وعدم تحري الحق فما عليه إلا أن يحذف (بني عصم) ويضع (بني عمرو أو بني وهب أو بني عوف...) أو أي علم من الأعلام التي تقوم بمهمة الفِتَاحة ويُستغنى عن حكمها وقضائها في تلك الحادثة أو القضية وترديد البيت كالمثل السائر ـ من وجهة نظري ـ هو السر في تعدد الروايات ثم إن الذي جعلني أرجح أن الشاعر خاطب أول ما خاطب (بني عصم) هو أنني وجدت في أثناء مطالعتي للشعر الجاهلي، أن بني عصم هؤلاء كانوا من أقدم الأسر العربية التي تولت أمر الفتاحة في الجنوب وجباية نوع من الضرائب يدل على شرفهم وتقدير منزلتهم. قال الشاعر[3] يمدحهم: (الوافر)[4]

فَإِنْ تَنُبِ النَّوائبُ آلَ عُصْمٍ ... تَرى حَكَمَاتِهِمْ فِيهَا رُفُوعُ[5]

(١) انظر المؤتلف والمختلف (٢٠٨).

(٢) هذه المناقشة بناء على ما ذكره العلماء ودورنا الجمع والتوفيق والفحص انظر كل الهوامش السابقة في القضية والمراجع هناك.

(٣) هو عمرو بن عبدالله بن عمرو بن عصم بن عمرو بن زبيد من سعد العشيرة من مذحج وهو المعروف بعمرو بن معد يكرب. انظر الأصمعيات (١٢١).

(٤) الأبيات في الأصمعيات (١٧٥).

(٥) قال المحقق الرفوع بالضم مصدر بمعنى الارتفاع. المرجع السابق.

الحكمات: مفردها حكمة وهي حديدة في اللجام تكون على أنف الفرس وحنكه تمنعه عن مخالفة راكبه ورفع الله حكمته، قدره ومنزلته. انظر اللسان (٢/ ٩٥٤).

إذا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيئًا فَدَعْهُ وَجَاوِزْهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ

وقد عرفت حكومة قتبان ـ التي أشرنا إليها سابقًا ـ نوعا من الضرائب ـ يعرف (بالضرائب العُصْمية)[1]، وربما سميت بذلك لقيام بني عصم بتحصيلها، إذن العلاقةُ قائمة والرابطة قوية بين بني عصم ـ الوارد ذكرهم في هذه الوثيقة الأدبية ـ البيت الذي نحن بصدده ـ وبين حكومة قتبان ـ التي عثرنا في وثائقها القانونية على المناسبة التاريخية التي تطورت من خلالها دلالة الفتح إلى الحكم والقضاء ـ بل هناك تطابق في الأعلام بين اسم الشاعر صاحب البيت المذكور «مرثد» واسم أحد ملوك قتبان وهو «مرثدم بن نبط عم»[2]، وقد يدل ذلك على التأثر اللغوي والعلاقات اللغوية السائدة في منطقة قتبان حيث بنو عُصْم وبنو جُعْف وهما من سعد العشيرة من مذحج[3].

ومما يقوي حجتنا في نسبة البيت للأسعر الجعفي .. وبالتالي استنتاج تلك العلاقة الدلالية ـ أنني وجدت أن هذا الشاعر ـ الأسعر ـ له من الأبيات الشعرية أو أنصاف الأبيات ما يردد ترديد الأمثال والحكم فهو صاحب القول الذائع: «وَمِنَ اللَّجَاجَةِ ما يَضرُّ وَيَنْفَعُ» [4] والقول الذائع أيضًا: «أن الحصون الخيلُ لا مدرُ القرى»[5] وقد أخذ لقبه الأسعر من بيت سائر يقول فيه: (الطويل)[6]

---

(١) انظر معرفة هذه الضرائب ورأى (رود كناكس) في هذه اللفظة (عصم): المفصل في تاريخ العرب (٢/ ١٩٩).

(٢) انظر المفصل في تاريخ العرب (٢/ ٢١٥).

(٣) ينتمي كل من بني جعف وعصم إلى سعد العشيرة من مذحج كما مر منذ قليل.

انظر في نسب بني عصم الأصمعيات (١٢١) وفي نسب جعف وانظر منتخبات في أخبار اليمن (٢١).

(٤) وهو شطر من بيت للأسعر يقول فيه: (من الكامل)

أَهْلَكْتُ مَهْرِي فِي الرهانِ لَجَاجَةً وَمِنَ اللّجاجةِ مَا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ

انظر الفاخر (١٨٤).

(٥) وذلك شطر من بيت له (من الكامل)

ولقد علمت على تجنبي الردى أن الحصون الخيل لا مدر القرى

انظر الحيوان (١/ ٣٤٦) وانظر القصيدة في المؤتلف وشهرة أبياتها (٥٨) وانظر اللسان مادة حصن (٢/ ٩٠٣).

وانظر أمثلة للاستشهاد بشعره في الحيوان (١/ ٢٧٥) والكامل (٣/ ٤٠١).

(٦) انظر الأصمعيات (١٤٠) والمؤتلف والمختلف (٥٨) وهامش خزنة الأدب (٤/ ١٥١) واللسان مادة (سعر) ٣/ ٢٠١٦).

فلا يَـدْعُنِي قـومي لِسَعدِ بـنِ مالـك　　　لـئن أنـا لم أُسْـعِرْ علـيهم وأُثْقِـبِ

وكل ما سبق يوضع صحة النسبة للأسعر ويكشف لنا البيئة والجذور التاريخية لما يتعلـق بهذه الوثيقة اللغوية الهامة.

٣. الوثيقة الثالثة:

أين عِز عبادة الفتاح؟!:

وردت هذه العبارة في نص منسوب[١] إلى قس بن ساعدة الإيادي[٢] وفي بيت من الشعر مرتبط بهذا النص ذكر ذلك لويس شيخو [٣] حيث قال: ونقلنا من كتاب بخط قديم في المكتبة البريطانية ما يلي: ومن خطب قس بن ساعدة: أيها الأشهاد. أين ثمود وعاد أين الآباء والأجداد. أين ذهب أبرهة ذو المنار[٤] وعمرو ذو الإذعار [٥] هل تدرون إلى ما صار إليه عبادة الفتاح [٦] وأذينة الصباح [٧] وجذيمة الوضاح [٨] عزوا فقهروا

---

(١) مضمون الخطبة وأبيات الشعر التي أنشدها إنشاء أو استشهادا تشبه أسلوبه في المواعظ والخطب والرثاء يقول:

وعـلى الـذي مـلأ الـبلاد مهابـة　　　عمـرو بـن حـارِ القيـلِ ذُو صرواحِ

انظر منتخبات في أخبار اليمن (٦٠).

(٢) هو قس بن ساعدة الإيادي كان من فصحاء العرب وحكمائهم يضرب به المثل في البلاغة ويقال إنه أول من قال: (أما بعد في كلامه) وأول من قال في الكتاب: (من فلان بن فلان) إلى فلان إلى فلان. انظر منتخبات في أخبار اليمن (٨٦).

(٣) لم يذكر اسم الكتاب الذي نقل عنه. شعراء النصرانية (٢١٧).

(٤) هو أبرهة بن الحارث الرائش، الذي يقال له ذو المنار وهو ملك من ملوك اليمن. انظر اللسان (بره) (١/ ٢٧١). وقد عرف هذا الاسم في اليمن فهناك أبرهة الصباح أبو يكسوم الحبشي صاحب الفيل. المرجع السابق نفسه.

(٥) عمرو ذو الإذعار ملك من ملوك اليمن وقيل أنه جدُّ تبع والإذعار أي الذي يثير الذعر والخوف والفزع.

(٦) أحد ملوك النبط. انظر الهامش (٣، ٤) في الصفحة التالية.

(٧) أذينة: أحد ملوك تدمر (أدينت) في النقوش التدمرية. انظر: تاريخ اللغات السامية (١٣٢).

(٨) جذيمة الوضاح: هو جذيمة الأبرش التنوخي أحد ملوك الحيرة الذي حارب الزباء ملكة تدمر. انظر: تاريخ اللغات السامية (١٤٠).

ونهوا وأمروا وجددوا المصانع [1] والآثار، وجدلوا الأنهر وغرسوا الأشجار واستخدموا الليل والنهار فهجمت الآجال دون الآمال وأن كل شيء إلى الزوال ثم أنشد: (الكامل)

أَفَأَيْنَ عَلْكَدةُ [2] الهُمَامُ وَمُلْكُه أَمْ أَيْنَ عِزُّ عُبَادةَ الفَتَّاحِ [3]

وبمراجعة أسماء الملوك العرب الذين بسطوا سلطانهم على الجنوب نجد أن اسم عبادة قد عرف في مملكة النبط فهناك عبادة الأول وعبادة الثاني وعبادة الثالث [4]، وأظن أن المقصود بضرب المثل هذا هو عبادة الثاني [5] حيث عرف بقوته وشرفه وأنه لا ينقض حكمه ومعنى الصفة هنا (الفتاح) أنه الحاكم الذي لا يرد حكمه وهي أعلى درجات العزة والفخار.

ثانياً: العلاقات الدلالية بين اللغة الفصحى ولغات اليمن من خلال قراءة دلالة الحكم والقضاء:

عند معالجة هذه القضية أول ما يلْفِتُ الانتباه هو أن هناك مصادرَ لغويةً تذكرُ أن اليمن لا يحتج بلغاتها، ومصادر أخرى تؤكد أن لغة اليمن من اللغات التي نزل بها القرآن الكريم، وقد يبدو في ذلك شيء من التعارض ولكن عند التحقيق يجب أن نفرق بين أمرين:

الأول: هو أن اللغة اليمنية (بشعبها المختلفة) كانت رافدا مهما من الروافد التي أسهمت في تكوين اللغة الفصحى (اللغة المشتركة) حيث أمدتها بالعديد من الدلالات التي اشتهرت في اليمن وعرفت في نجد والحجاز [6] وفرسان ذلك الشعراء

---

(١) كل ما يصنع ويشيد، مفرده مصنعةٌ وتُطْلَقُ في القديمِ على القرى والحصون.
انظر: اللسان مادة صنع (٤/ ٢٥٠٩)

(٢) ربما يكون اسما أو لقبا لملك من ملوك النبط وقد عرفت النقوش النبطية (عكدي) بمعنى القوة.
انظر في ذلك بيان كلمات نقش النمارة في/ الشعر الجاهلي مراحله واتجاهاته (١٥، ١٦) وانظر مادة علكد في اللسان (٤/ ٣٠٧٨).

(٣)، (٤) انظر في تاريخ عبادة الأول المفصل في تاريخ العرب (٣/ ٢٢، ٢٦، ٢٨، ٤٠، ٤١) وفي تاريخ عبادة الثاني المرجع السابق نفسه (٢/ ٤٤)، (٣/ ٢٢، ٢٦، ٢٨، ٣٨، ٤٠) وفي تاريخ الثالث المرجع السابق نفسه (٧/ ٢٩٤).

(٥) حكم عبادة الثاني من (٢٨ ـ ٩) ق. م. انظر المفصل في تاريخ العرب (٢/ ٤٤).

(٦) مثل ما روى ابن الجوزي عن ابن القاسم أن الخمر في لغة عمان اسم للعنب قد نطقت قريش بهذه اللغة وعرفتها. =

والخطباء[1] والأعراب الفصحاء [2].

الثاني: هو أن هناك قطاعا من سكان اليمن لم يحتكوا بعرب الشمال وإنما اختلطوا بغيرهم من الأحباش والفرس واحتفظوا بتعبيراتٍ وخصائصَ لهجيةً محليةً لم تَرْقَ إلى اللغةِ العربيةِ المُشْتَرَكةِ في نجد والحجاز ولم يستخدمها شعراء العصر الجاهلي عند اصطناعهم اللغة الفصحى فبقيت هذه الخصائصُ المحليةُ ـ معزولةً عن حركةِ التأثيرِ التي تَتِمُّ في رحابِ نجدٍ والحجازِ والبيتِ الحرامِ في الفترة التي سبقت الإسلام بقليل، ولذلك تحرز العلماءُ في عصور الاحتجاج اللُّغويِّ ممن تنطبق عليه هذه الصفة من بلاد اليمن [3] كما تحرزوا من غيرهم من العرب، وهذا ـ في ظني ـ ما عناه أبو عمرو بن العلاء بقوله: «ما لسان حمير وأقاصي اليمن اليوم بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا»[4] وما تبع ذلك من

= انظر: زاد المسير (٤/ ٢٢٣).

(١) كان الشعراء من أهم الأدوات التي شكلت اللغة الفصحى وبخاصة إذا كانوا من الطوافين في الصحراء لطلب النجدة أو التوسط لقبيلته أو المدح والنوال أو للمفاخرة في الأسواق، والخطباء في الغالب هو حكماء العرب يُصلحون بين القبائل أو ينصحون ويذكرون وغالبا ما كانت تُحفَظُ خُطَبُهُم عن ظهر قلب هذا فضلا عن الشعر.

(٢) وفي ظني أن الأعرابَ الرُّحَّلَ كانوا من الوسائل التي تبادلت القبائلُ من خلالها الألفاظ والدلالات، حيث يُقيمون فتراتٍ طويلةً يختلطونِ فيها بِمَنْ حولهم من القبائل ودليل ذلك ما يرويه العلماء بأنه ما كان يَعْرِفُ معنى هذه اللفظة أو تلك حتى سَمِعَ أعرابيًا أو أعرابية أو ما شابه ذلك دون تحديد هُويَّةَ هذا الأعرابي ومثالُ ذلك دلالةُ فتح بمعنى حكم.
انظر إعراب ثلاثين سورة من القرآن (١١٨)، وغريب الحديث للهروي (١/ ٢٤٨) ونزهة الأعين النواظر (٤٦١) وقد عُقدت أبوابٌ خاصة بحديث الأعراب في كتب اللغة والأدب.

(٣) كشف بيان الهمداني الصلات اللغويةَ في جنوبِ الجزيرةِ العربيةِ في نهاية القرن الثالث الهجري وَوَضَّحَ من خلال ما قدمه من ملاحظاتٍ لغويةٍ تتعلقُ بمقارنةِ هذه اللغات المحليةِ بمستوى اللغة الفصحى ـ التطور اللغوي الذي أدى في النهاية إلى تلاشي لغات الجنوب واعتماد اللغة الفصحى، ويقرر يوهان فك بناء على تلك الملاحظات أن اللغة الحميرية الأصلية ـ نهايةَ القرنِ الثالثِ الهجريِّ ـ كانت لا تزالُ تُمعِنُ في الاختِفاء أمام عربيةِ الشمال، ويقول الهمداني: «إن اللغة الحميرية القُحَّةَ المُتعقِّدةَ كانت سائدةً بعد في المنطقة الممتدة من حقل قتاب إلى ذمار، وقد كانت هذه هي المنطقة المحيطة بظفار عاصمة دولة حمير القديمة». انظر في ملاحظات الهمداني وتعليقات فك العربية (١٦١) وما بعدها وانظر صفة جزيرة العرب (٢٧٨).

(٤) انظر في قول أبي عمرو طبقات فحول الشعراء (١/ ١١) والخصائص (١/ ٣٨٦).

نصوص تفرق بين لغات اليمن والقبائل النجدية في درجة الفصاحة[1] والحق أن الهمداني كشف لنا هذه الحقيقة في بيانه عن الصلات اللغوية في جنوبي الجزيرة العربية[2] حيث يقول:

(أهل الشحر والاسعاء ليسوا بفصحاءَ، مهرةٌ غُتْمٌ يشاكلون العجم حضرموت ليسوا بفصحاء، وربما كان فيهم الفصيح وأفصحهم كندة وهمدان وبعض الصدف.

سرو مذحج ومأرب وبيحان[3] وحريب فصحاء ورديء اللغة فيهم قليل سرِو حمير وجعدة ليسوا بفصحاء وفي كلامهم شيء من التحمير ... لحج وأبين ودثينة أفصح والعامريون من كندة والأوديون أفصحهم عدن لغتهم مولدة رديئة.

بنو مجيد وبنو واقد والأشعر لا بأس بلغتهم)[4].

هذا في نهاية القرن الثالث وهو يعبر بجلاء عما عناه علماء اللغة من عدم الاحتجاج بأشعار اليمن في عصر الاحتجاج فهو كما نرى من بيان الهمداني ليس على إطلاقه[5].

ونعود إلى الأمر الأول وهو أن اللغة اليمنية شكلت عنصرا مهما من عناصر اللغة الفصحى، وبخاصة في الجانب الدلالي حيث تحمل الكلمات نوعا من الرقي الدلالي الذي عاشته في بيئة حضارية مثل اليمن وهذا القول قائم على الشواهد والرواية الصحيحة، ثم إنه مدعوم بأقوال العلماء، ويمكن أن نوجزه فيما يلي:

اتفقت آراء العلماء على أن اللسانَ العربيَّ[6] لا يُقْصَدُ به لِسَانَ قبيلةٍ بَعَينِهَا بَلْ يُقْصَدُ به اللغةَ العامةَ المشتركةَ التي وُلِدَتْ في رحاب البيت الحرام. يقول أبو أيوب السختياني في تفسير قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ أراد العربَ

(١) انظر القراءات القرآنية (٢٦٩ ـ ٢٧٠) والمحرر الوجيز (١/ ٢٧ ـ ٣٠).

(٢) العربية ليوهان فك ترجمة الدكتور رمضان عبدالتواب ص (١٦١).

(٣) المنطقة التي عاشت فيها قتبان ومراد وسعد العشيرة وجعف وهي من القبائل التي درسنا دلالة الفتح عند شعرائها ونسبت المصادر اللغوية تلك الدلالة إليها.

(٤) انظر صفة جزيرة العرب (٢٧٧).

(٥) عرفت قبيلة من قبائل شمال اليمن بالفصاحة بمقياس اللغة الشمالية تلك هي قبيلة جِرْم.
انظر ديوان عمرو بن معد يكرب (٨، ٩) كذلك قبيلة كندة العربية المشهورة.

(٦) انظر في صفة اللسان العربي المفصل في تاريخ العرب (٨/ ٥٤٢ ـ ٥٤٣)

كُلِّهم[1]. ويقول الإمام الشافعي: «لا نعلمه يحيط باللغة إلا نبي»[2].

ويقول القاضي الباقلاني:[3] «معنى قول عثمان[4]: فإنه نزل بلسان قريش، يريد معظمه وأكثره ولم تقم دلالة قاطعة على أن القرآنَ بأسره منزلٌ بلغةِ قريشٍ فقط، إذ فيه كلماتٌ وحروفٌ هي خلافُ لغةِ قريشٍ وقد قال الله ـ تَعَالَى ـ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾[5] ولم يقل قُرشيا، وهذا يدل على أنه منزلٌ بجميعِ لسان العربِ، وليس لأحدٍ أَنْ يَقُولَ إِنَّهُ أرادَ قريشًا من العرب دُونَ غيرهَا، كما أنه ليس له أن يقولَ أراد لُغَةَ عدنانَ دون قحطانَ، أو ربيعةَ دون مُضَرَ، لأن اسم العرب يتناول جميع هذه القبائل تناولا واحد»[6].

فالذي يقول إنه بلغةِ قريش يحتاط من القصرِ والتخصيصِ بقوله في الأغلب[7] أو الأكثر ولا ينكر وجود لغات القبائلِ الأخرى[8].

ومَنْ ينفي اختصاص لغة قريش دون غيرها لا ينكر فضلها وغلبتها وكثرتها[9]. ومضمونُ كلام العلماء في هذه القضية يكادُ يكون واحدا وهو أن القرآن الكريم نزل بلغة

---

(١) المرشد الوجيز (٩٤) والآية من سورة إبراهيم: الآية ٤.

(٢) لأن لغة العرب متسعة جدا وهي اللغة المشتركة التي نزل بها القرآن.
انظر قول الشافعي في البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٨٤).

(٣) أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني توفي (٤٠٣هـ).

(٤) هي عبارة عثمان بن عفان ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ للجنة المكلفة بجمع القرآن الكريم من كبار الحفاظ وعظماء الصحابة، حيث أمر زيد بن ثابتٍ وعبدالله بن الزبير وسعيدَ بنَ العاصِ وعبدَالرحمن بن الحارثِ بنَ هشامٍ ـ رضوان الله عليهم ـ إذ اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنه إنما أنزل بلسانهم ففعلوا...».
انظر: دراساتٌ في القرآن الكريم. د. يوسف خليف (٤٧، ٤٨).

(٥) سورة الزخرف: من الآية ٣.

(٦) انظر الجامع لأحكام القرآن (١/ ٤٤).

(٧) انظر قول ابن عبدالبر في ذلك/ الجامع لأحكام القرآن (١/ ٤٤) ومعترك الأقران (١/ ٢٠٥) والإتقان (٢/ ١٠٣) والبرهان في علوم القرآن (١/ ٢٨٤).
وانظر رأي ابن مالك في معترك الأقران (١/ ٢٠٥).

(٨) يقول ابن عطية وذلك عندي إنما هو فيما استعملته عربُ الحجاز من لغة اليمن كالعَرِمِ والفَتَّاحِ فأما ما انفردوا به كالزخيخ والقلوبي ونحوه فليس في كتاب الله منه شيء. المحرر الوجيز (١/ ٢٨).
وانظر فصول في فقه العربية (٧٧) وما بعدها.

(٩) انظر الجامع لأحكام القرآن (١/ ٤٤) والبرهان في علوم القرآن (١/ ٢٨٤).

أدبية راقية رَفَدَتْها أغلبُ قبائلَ العرب[1] وَتَشَكَّلَتْ قُبيل الإسلام وولدت في رحاب البيت الحرام حيثُ تسود قريشُ وبناء على ذلك فلا غرابة أن يُصرح العلماء ان لغاتِ اليمن من اللغات التي نزل بها القرآن الكريم روي ذلك عن أبي عبيدالقاسم بن سلام والمبرد وحكاه القرطبي واختاره ابن عطية وهو ما استقر عليه رأي القاضي الباقلاني[2] وما أيدته الشواهد، والقبائل التي نسب إليها العلماء دلالة الحكم والقضاء في معاني مادة الفتح ـ وهي قبائل كندة وسعد العشيرة وجعف وأزد عمان ومراد ـ قبائل موصوفة بالفصاحة في بيان الهمداني حتى أواخر القرن الثالث الهجري كما أن المصادر اللغوية ذكرت دلالاتٍ خاصة بتلك القبائل في القرآن الكريم إلا أننا سنقتصرُ على الدلالةِ الخاصةِ بلفظة الفتح وتنطلق من خلال ذلك لدراسة الصلاتِ اللغوية بين تلك القبائل بناء على دراسة الوثائق السابقة ويتلخص ذلك في أمرين:

ـ الأول: دراسةُ نسبةِ الدلالة إلى قبائلِ الجنوب.

ـ الثاني: دراسةُ الصلاتِ اللغوية في ضوء اللغة المشتركة.

أ- دراسة نسبة الدلالة لقبائل الجنوب:

١ـ لغة اليمن:

قال الأزهري في تهذيب اللغة:[3]

والفتاح في صفة الله معناه الحاكم، وأهل اليمن[4] يقولون للقاضي الفتاح، ويقول

---

(١) اختلف العلماء في تحديد هذه القبائلِ وعَدَدِهَا حتى وصل بها أبو بكر الواسطي إلى اثنتين وأربعين لغة من لغات القبائل وأكمل الخمسين من غير العربية. انظر القراءات القرآنية (٢٧٣)، والإتقان (١/ ١٣٥) أما أغلب المصادر فقد ذكرت أنها سبع لغات واختلفت في معنى السبع والقبائل التي حظيت باختيار القرآن لغاتها. انظر الرشد الوجيز (٩١) والمحرر الوجيز (١/ ٢٧) والصاحبي (٤١) وما بعدها والجامع لأحكام القرآن (١/ ٤٣) وغيرها.

(٢) الصاحبي (٤١) وانظر المحرر الوجيز (١/ ٢٧)، والجامع لأحكام القرآن (١/ ٤٣ ـ ٤٤)، والمرشد الوجيز (٩١).

(٣) تهذيب اللغة مادة فتح (٤/ ٤٤٥).

(٤) وهذه النسبة موجودةٌ كذلك في/البحر المحيط (١/ ٢٦٩)، والمحرر الوجيز (١/ ١٦٩)، (١٢/ ٧١)، و(١٣/ ١٣٨)، والقرطبي (٢/ ٣، ٤). وانظر معجم لغات القبائل (١/ ١٢٤). وقد أسنده السيوطي في الدر المنثور قال: وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي. قال: الفتح لغة يمانية إذا قال أحدهم تعال أقاضيك القضاء قال: تعال أفاتحك. انظر الدر المنثور (٣/ ١٠٣).

أحدهم لصاحبه: تعال حتى أُفَاتِحَكَ إلى الفتَّاح.

٢ـ لغة حمير:

قال الزبيدي في تاج العروس[(١)]: «الفتاح الحاكم بلغة حمير» وذكر ذلك صاحب المحرر الوجيز.

٣ـ لغة لامرأة من كندة:

قال أبو بكر[(٢)]: قال ابن عباس: كنت لا أدري ما فاتحة الكتاب حتى قالت لي الكندية: «هلم فاتحني أي حاكمني». وروي صاحب تأويل مشكل القرآن عن ابن عباس ـ رَضِيَ الله عَنْهُمَا ـ في قوله – تَعَالَى –: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [(٣)] كنت أقرؤها ولا أدري ما هي حتى تزوجت بِنْتَ مِشْرح[(٤)] فقالت: «فَتَحَ اللهُ بيني وبينك» أي حكم الله بيني وبينك[(٥)]. وقد دأبت كتب اللغة والتفسير على ذكر مقولة ابن عباس هذه عند التعرض لهذه الدلالة [(٦)] حتى سَمِعْتُ ابنة ذي يزن تقول تعال أُفاتِحْكَ يعني أقاضيك[(٧)].

(١) تاج العروس (٢/ ١٩٤)، والمحرر الوجيز (٧/ ١١٣).
وهي المصادر التي صرحت بلغة حمير وقد تداخلت النسبة في رواية بن عباس عندما يذكر الراوي أن المرأة صاحبة العبارة المشهورة هي ابنة ذي يزن الحميري. كما هي كذلك في البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٩٢) وهامش تحفة الأريب (٢٢).

(٢) معجم لغات القبائل (١: ٢٢٤)ـ وأبو بكر هو ابن الأنباري. انظر الهامش رقم (٥).

(٣) الفتح: ٤٨/ ١.

(٤) اسمها زَرَعةُ بنت مِشْرح الكندية كما قال ابن قتيبة في المعارف (٥٤) وفي جمهرة أنساب العرب لابن حزم (١٩) زهرة بنت مشرح الكندية وفي المرجع نفسه (٤٠٢) (زرعة بنت مشرح) وكذلك في نسب قريش وفي الإصابة (٨/ ١٠٠) (زرعة بنت مِحُرّش) انظر تأويل مشكل القرآن، (٤٩٢).

(٥) تأويل مشكل القرآن (٤٩٢).

(٦) وقد أسنده السيوطي حيث قال: أخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن الأنباري في الوقف والابتداء والبيهقي في الأسماء والصفات عن ابن عباس قال: ما كنت أدري ما قوله: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾ سورة الأعراف: من الآية ٨٩ حتى سمعت ابنة ذي يزن تقول تعال أفاتحك عند الفتاح.

(٧) الدر المنثور (٣/ ١٠٣) وانظر كذلك التكملة والذيل والصلة (٣/ ٧٣) ومنتخبات في أخبار اليمن ص (٨١)، والفاخر (١١٣) وعبارته كنت لا أدري ما الفتاح حتى سمعت ابنة ذي يزن تقول لخصم لها هلم فاتحني، أي حاكمني فعلمت أن الحاكم: الفتاح. وانظر تاج العروس (٢/ ١٩٤)=

وقد روى ابن خالويه قال: «حدثنا ابن مجاهد عن السمري عن الفراء عن الكسائي أنه سمع أعرابية تقول لزوجها بيني وبينك الفتاح تريد القاضي»[1] ونسب لأعرابي ينازع آخر فقال: «بيني وبينك الفتاح»، يعني الحاكم دون تحديد قبيلته أو بيئته في بعض المراجع وإنما وصف بأنه أعرابي أو أنها أعرابية[2].

٤ـ لغة مراد:

قال صاحب مجاز القرآن: «والقاضي يقال له الفتاح وهو لبعض مراد» وذكر ذلك الماوردي في تفسيره[3] حث نسب إلى غير الفراء[4] قوله هي لغة مراد الفتاح: «الحاكم».

٥ـ لغة عُمان (أزد عُمان):

قال الفراء في معاني القرآن [5]: «وأهل عُمان يسمون القاضي الفاتح والفتاح» وذكر ذلك الزجاج في معاني القرآن[6] والفيروزآبادي في تنوير المقباس[7] وابن الجوزي في زاد المسير[8] منسوبا للفراء كذلك، وتراوحت نسبة هذه المراجع بين أهل عُمان وأزد عُمان ولغة عُمان ومن المعروف أن بطونا من قبيلة الأزد العربية قد هاجرت إلى منطقة عمان قبل الإسلام وبعده وحكمت عُمان في فترات تاريخية متعددة.

=والإتقان (١/ ١٥٠) غرائب القرآن (٩/ ١٠) وتفسير الماوردي (٢/ ٢٤٠) ومعجم لغات القبائل (٢/ ٦٤) ونقل ابن حجر العسقلاني الإسناد عن ابن جرير عن طريق قتادة ومن طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس بعبارة قريبة مما سبق. انظر فتح الباري (٨/ ١٤٩).

(١) إعراب ثلاثين سورة من القرآن (١١٨).

(٢) ذكر ذلك في نزهة الأعين التواظر (٤٦١) وغريب الحديث للهروي (١/ ٢٤٨) وقد رأينا أن المرأة التي نسب إليها هذا القول من كندة.

(٣) تفسير الماوردي (٢/ ٢٤٠).

(٤) ربما يقصد «بغير الفراء» أبا عبيد معمر بن المثنى صاحب مجاز القرآن. وانظر منتخبات في أخبار اليمن ص (٨١).

(٥) (١/ ٣٨٥) انظر هامش تحفة الأريب (٢٤٤) ومعجم لغات القبائل (١/ ٢٢٤)

(٦) (٢/ ٣٥٧).

(٧) (٣٦٧).

(٨) (٣/ ٢٣١) وانظر كذلك تفسير الماوردي (٢/ ٢٤٠) وانظر منتخبات في أخبار اليمن (٨١).

ب- العلاقات التاريخية[1] والجغرافية بين القبائل المنسوب إليها دلالة الحكم والقضاء - في المصادر العربية -.

نسبت المصادر العربية دلالة الحكم والقضاء على أنها لغةٌ يمانية أو لأهل اليمن وهو اصطلاح عام يشمل كل قبائل اليمن وقد تردد هذا المصطلح كثيرًا في نسبة الدلالات الخاصة بعرب الجنوب أو التي استعيرت من لغات اليمن [2] للغة المشتركة، وقد لجأت المصادر العربية إلى هذا الاصطلاح عندما تنقل الرواية النسبة لأكثر من قبيلة حيث يجمع هذا المصطلح بين الروايات المختلفة ولذلك نجد هذا المصطلح أكثر استخداما من غيره في لغات قبائل الجنوب العربي في القرآن الكريم، وتنافس قبيلة (حمير) اليمانية شهرة اليمن في نسبة خصائص لغويةٍ دلاليةٍ إليها في القرآن الكريم وفي اعتقادي أن قبيلة حمير قد نسبت إليها هذه الدلالات على سبيل التغليب، فهي من أشهر قبائل اليمن وقد أصبحت علما على مساحات شاسعة من اليمن بما عقدته من تحالفات قبيلة، وبما أظهرته من عصبية لعرب الجنوب فقد كانت هذه القبيلة العربية هي التي تتزعم قبائل الجنوب[3] ضد الشمال فهي تمثل قريش الجنوب وربما كان قول العلماء (حتى سمعت بنت ذي يزن الحميري) لا يدل على أنها ابنته على الحقيقة فقد نقلت المصادر أنها (ابنة مشرح الكندي) فربما أطلق عليها ذلك على سبيل التشريف والتغليب وأما عن علاقة (قتبان) و(حمير) فينقل لنا الزبيدي [4] عن كتب الأنساب أن قتبان بطن من رعين من حمير ويقول (كذا في كتب الأنساب) ويرى الدكتور جواد على أن هذه النسبة ترجع إلى تغلب حمير على قتبان[5]، وسواء اعتمدنا ما نقله الزبيدي أو ما رآه الدكتور جواد فإن العَلاقةَ بين حميرَ

---

(١) لا نرمي بذلك إلى تفصيل تلك العلاقات وإنما هي نظرة عامة بما يفيد في توضيح الصلات اللغوية بين القبائل العربية وأثر ذلك في نشوء اللغة الفصحى وتطورها.

(٢) انظر الملحق الخاص باليمن في لغات القرآن الكريم.

(٣) انظر مثلا في زعامة حمير لقبائل الجنوب في واقعة يوم السُّلّان المشهورة بين نزار (ربيعة ومضر) وحمير (حمير ومذحج وهمذان). معجم قبائل العرب (١/ ٣٠٦).

(٤) انظر تاج العروس (١/ ٤٢١).

(٥) يقول: (وعندي أن هذا النسب بين حمير وقتبان ـ مع أنه لا صلة بينهما في النصوص الحميرية أو القتبانية ـ أنما وقع بسبب ضعف قتبان التي اندمجت بعد فقد استقلالها في حكومة سبأ (سبأ وذوريدان) وهي الحكومة التي يطلق عليها المؤرخون اسم (حمير) ولكون حمير القبيلة الرئيسية التي قاومت الأحباش وتركت أثرا في القصص العربي البطولي قبل الإسلام بقليل، لذلك عدت=

وَقَتَبَان وثيقةٌ ووطيدةٌ. وعلاقة حمير وقتبان بقبيلة (مراد) لا تنكر فقد كانت منازل هذه القبيلة اليمانية تقع إلى الغرب الجنوبي من مأرب [1] وهي المنطقة التي شملها نفوذ مملكة قتبان فقد ذكر المؤرخون أنه في عهد ملك قتبان (يدع أب ذبيان) قد اتسعت المملكة فشملت مراد وحتى حدود مملكة سبأ [2] وإذا نظرنا إلى بقية القبائل ـ التي نسبت إليها دلالات خاصة في اللغة المشتركة ـ وهي أزد عمان وسعد العشيرة وكندة ـ وجدنا أنها عند النسابين العرب، من فرع كهلان القحطاني[3]، ولا بد أن هذا النسب مدعوم بعلاقات مصاهرة وتحالف وجوار حيث فرضت طبيعة الحياة العربية قبل الإسلام إيجاد نوع من التوازن بين تحالفات القبائل، مما جعل النسب عاملا مهما في الولاء القبلي، وكانت العرب تحفظ أنسابها.

وتَعد قبيلةُ كِنْدَةَ[4] اليمانيةِ من أهمِّ القبائل التي نقلت خصائص لغوية يمانية لعرب الشمال فمن المعلوم أنه قد هاجر فريق من هذه القبيلة إلى شمالي الجزيرة العربية حيث أسسوا إمارة كندة شمالي نجد [5] وقد بسطت هذه الإمارة اليمانية نفوذها على قبائل شمالية منها بكر وتغلب وأسد وقيس عيلان [6] في نفس الوقت الذي كانت لها علاقاتٌ قويةٌ بقبائلِ اليمن التي تربطها بها وشائجُ القُربى والدَّمِ وقد مَثَّل امرؤ القيس ذلك أروع تمثيل فهو في شعره يتغنى بأصوله اليمنية [7] وأرومته من أزد شنوءة وأزد عمان ومراد، وعندما

= معظم القبائل التي كانت خاضعة لها من حمير ونسبت إليها وفي جملتها (قتبان). انظر: المفصل في تاريخ العرب (٢/ ١٧٣).

(١) انظر معجم قبائل العرب (٣/ ١٠٦٥).

(٢) انظر المفصل في تاريخ العرب (٢/ ١٩١).

(٣) انظر جدول رقم (٣) في المجموعة القحطانية معجم لغات القبائل والأمصار (٢/ ١٤).

(٤) لمعرفة مواضع كندة ونسبها وبطونها ولغتها. انظر قرة العيون بأخبار اليمن الميمون ص (٤١) وما بعدها وديوان الأدب (١/ ١٩٦) وصفة جزيرة العرب (٢٧٧).

(٥) العصر الجاهلي (٤٨).

(٦) أقام الحارث بن عمرو بن حجر (جد الشاعر امرئ القيس) ابنه شرحبيل على (بكر) وابنه معد يكرب على (تغلب) وابنه حجرا على (أسد). وهو أبو امرئ القيس الشاعر حيث قتله بنو أسد عندما تغلبت مملكة الحيرة على مملكة كندة وحظيت برضا فارس ـ وابنه سلمة على (قيس عيلان). انظر العصر الجاهلي (٤٨، ٤٩).

(٧) انظر الديوان (٨٢) (إنا معشر يمانون) وانظر فخره بقبيلته كندة والأزد أزد شنوءة وعمان وقبيلة مراد. انظر الأبيات (١٢ ـ ١٥) من القصيدة رقم (٧٥) بالديوان (٣١٠) وانظر في فخره بملك=

قتل بنو أسد أباه طوف بين هذه القبائل يطلب منها النجدة والمساعدة فهذا الشاعر يمثل العلاقات اللغوية في اليمن فضلا عن أنه من المشاركين في صناعة اللغة المشتركة بمعنى أنه خير من يمثل العلاقات اللغوية الجنوبية ـ الشمالية وذلك بفضل العوامل التاريخية والجغرافية التي ينتمي إليها الشاعر ذات الأصول اليمانية والإمارة الشمالية.

وبالإضافة إلى قبيلة كندة فإن منطقة عمان (١) قد مثلت مركزا من المراكز الجغرافية الذي شهد اختلاطا عربيا من الجنوب والشمال حيث هاجرت بطون من قبيلة الأزد اليمانية الشهيرة(٢). وبعد أن ملكت الأزد في عمان (٣) هاجرت قبائل جنوبية وأخرى شمالية (٤) وحدثت هجرات مستمرة من عمان وإليها من الجنوب والشمال على حد سواء بسبب الحروب والتحالفات والمصاهرة إضافة إلى أسواق عمان المشهورة مثل سوق (دبا) وسوق (أدم) التي كانت العرب يقصدونها من كل مكان(٥).

إن هذه الصلات السياسية والاقتصادية والتاريخية بين القبائل العربية الجنوبية والشمالية مهد الطريق لميلاد لغة عربية موحدة تشترك فيها عناصر لغوية تمثل الشمال والجنوب، وفي نقل العلماء للخصائص الدلالية المعزوة إلى قبائلها المختلفة ـ دليل على أن هذه اللغة المشتركة كانت في طور التكوين قبل الإسلام ثم إنها أتمت نضجها وتمامها بنزول القرآن الكريم بها مقرونا بتحدي الفصحاء والبلغاء أيا كانت قبائِلُهم ومواطِنُهُمْ، ولا شَكَّ أن الصلات اللغوية التي أحدثها نزول القرآن الكريم بين العرب لا مثيل لها في تاريخ العرب، وباختيار القرآن الكريم لهذه اللغة تثبتت أركانها، وعز سلطانها.

= أبيه من العراق إلى عمان البيت (١) في القصيدة (٢٦) بالديوان (١٤٣) وانظر قصيدة رقم (٧٠) التي تجمع بين هذه القبائل. الديوان (٢٨٨ ـ ٢٨٩).

(١) انظر في أصل عمان فتح الباري (٨/ ٩٥ ـ ٩٦) وقال ابن حجر: قال عياض: عمان فرضة بلاد اليمن لم يزد في تعريفها على ذلك فتح الباري (٧/ ٦٩٨). وانظر في سكان عمان وأصولهم العربية الجنوبية والشمالية حصاد ندوة الدراسات العمانية (٢٠ـ ٣٢).

(٢) انظر في أخبار الأزد وهجراتها. معجم قبائل العرب (١/ ١٥ـ ١٨). وفي منازل الأزد انظر صفة جزيرة العرب (٣٧٤) وانظر شمس العلوم (١/ ١٢٤).

(٣) وذلك بعد أن استقر الأمر لمالك بن فهم الأزدي في عمان وتقوض نفوذ الفرس. انظر أزد عمان في القرنين الأول والثاني رسالة ماجستير جامعة القاهرة (٢٨).

(٤) من هذه القبائل (بنو سأمة بن لؤي) (وفروع من بني تميم) وناس (من بني الحارث بن كعب). انظر أزد عمان (٢٨ ـ ٣١).

(٥) انظر في خبر هذه العلاقات وتلك الأسواق أزد عمان (٥٠).

الباب الثاني

[الدراسة الدلالية]

- مقدمة في المنهج: وتشمل: علم الدلالة ومنهج التحليل وبعض المصطلحات.
- الفصل الأول: دراسة آيات الفتح في ضوء مفهوم المشترك اللفظي وغريب القرآن الكريم والمعجم العربي.
- الفصل الثاني: الوحدات الدلالية المختلفة لآيات الفتح في القرآن الكريم.
- الفصل الثالث: ظاهرة التغير الدلالي في ضوء المبحثين التاريخي والدلالي.

* * *

١. علم الدلالة:

إذا طرحنا سؤالًا مبدئيًا، ما المقصود بعلم الدلالة؟ فإن الإجابة على هذا السؤال لا تكون مباشرة، أو متفقًا على عناصرها، بل تمثل مشكلة معقدة في علم اللغة، ومع ذلك سنحاول الاقتراب من المشكلة الدلالية من عدة زوايا يمكن أن تقدّم أضواء كاشفة لعناصرها، وبالتالي الاقتراب من أبعاد السؤال المطروح والإجابة المنشودة.

لقد قام فريق من اللغويين بالتمييز بين ثلاثة عناصر يمكن عن طريق دراستها تحصيلُ المعنى وهي: الرمز أو اللغة، والشيء المشار إليه، والعلاقة بينهما، ولكنهم لم يتفقوا على كيفية الدراسة، هل تكون عن طريق دراسة الرمز والمشار إليه ويكون معنى اللفظة هو ما تشير إليه؟ (وهو ما يعرف بالنظرية الإشارية) أم عن طريق دراسة العلاقة بينهما؟ ويشمل المعنى في هذه الحالة دراسة العناصر الثلاث[١].

وانطلق بعض أنصار هذا الفريق في الوصول إلى المعنى من نظرة فلسفية مؤداها، أن اللفظة تحمل معنىً لأنها تدل على صورة عقلية فهي تمثيل خارجي ومعنوي لحالة داخلية وبعبارة أوضح «اللفظة أداة لتوصيل الثمرة» وتُسمى بالنظرية التصورية فالمعنى في هذه النظرية هو الفكرة والتصور والإدراك[٢] يقول عنه بالمر[٣] (palmar) «ولا شك في أن هذا وجه من وجوه المعنى لا بد من تأمله وهو ما يسمى بالمعنى الإدراكي (cognitive) أو التصوري (Ideational) غير أنه ليس على الإطلاق النوع الوحيد للمعنى فكثير من المعاني ليست تصورية على الإطلاق فلا يمكن وصفها بالصحة أو الكذب أو أنها تعدنا بمعلومات».

---

(١) تعرف هذه النظرية بالنظرية الإشارية وقد وجدت بدايتها في الفلسفات اليونانية ثم عرفت عند دي سوسير باسم نظرية العلامة (sugn) وقد طورت عند أوجدن وريتشارد في كتابها المشهور (The Meanig of meanlng) وصيغت فيها يعرف بمثلث العلامات (semiatic trlangl) انظر في مفاهيم هذه النظرية وأهم أراء المنادين بها ـ علم الدلالة (٥٤ ـ ٥٦) وعلم الدلالة إطار جديد (٤٦ ـ ٤٨) وانظر دور الكلمة في اللغة (٧٠ ـ ٧٣). وانظر في أوجه النقد الموجهة لهذه النظرية ـ علم الدلالة (٥٦). وعلم الدلالة إطار جديد (٤٧).

(٢) انظر في ذلك علم الدلالة (٥٧، ٥٨) وعلم الدلالة إطار جديد (٥٥، ٥٦).

(٣) انظر علم الدلالة ـ إطار جديد (٥٨).

أمَّا المدرسة السلوكية فإنها تتجه في دراسة المعنى اتجاهًا نفسيًا ينطلق من ملاحظة السلوك الظاهري المحكوم بقوانين الطبيعة الآلية، فالمعنى عند السلوكيين يتألف من ملامح الإثارة ورد الفعل القابلة للملاحظة والموجودة في المنطوقات أو الأحداث الكلامية(١). ولكن الاعتراض يأتي من وجود كلماتٍ كثيرةٍ لا تدل على أشياءَ أو خصائصَ قابلةٍ للملاحظة(٢).

وهناك قسم رابع من اللغويين يرى أن المعنى يحدده السياق، فمعنى الكلمة هو استعمالها في اللغة(٣)، والوحدة الدلالية يتحدد معناها بالنظر إلى الوحدة الأخرى التي تلازمها في السياق أو ما يعرف بتوافق الوقوع(٤). وحاول بعض العلماء تحديد مفهوم علم الدلالة عن طريق التفريق بين جانبين في هذا العلم، يمكن على أساسهما إدراكُ العلاقات والمفاهيم، وهما جانبُ النظرية، وجانب التطبيق(٥)، ففي الجانب النظري تُحدد المصطلحاتُ والمناهج، وفي الجانب التطبيقي تُقَدَّمُ مستوياتٌ متعددةٌ من التحليل، فهناك

---

(١) انظر علم الدلالة (٥٠ ـ ٥٦) وانظر كذلك علم الدلالة إطار جديد (٨١ ـ ٨٣).
وانظر (leanurd Bloomfleld, language, p.148- 157).

(٢) انظر في أوجه النقد للمدرسة السلوكية: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة (٣٢١) ـ وتعليقات الدكتور كمال بشر حول تعريف المعنى (دور الكلمة في اللغة ٧٤، ٧٥) وعرض الدكتور أحمد مختار عمر لجملة الاعتراضات على التفسير السلوكي علم الدلالة (٦٢ ـ ٦٧) ومناقشة بالمر للنظرية في إطارها الأول والمعدل على يد سكنر ورفضه لنتائج الطريقتين. انظر علم الدلالة إطار جديد (٨٣ ـ ٨٥).

(٣) علم الدلالة (٦٨) وما بعدها.
وانظر علم الدلالة إطار جديد (١٤١) وما بعدها.

(٤) وتعرف هذه النظرية الفرعية بظاهرة التلازم أو المصاحبة أو التضام.
انظر في ذلك المصاحبة في التعبير اللغوي (١٣) وما بعدها وعلم الدلالة إطار جديد (١٤٥ـ ١٤٩) وعلم الدلالة (٧٤).

(٥) من خطوات تحديد المعنى عند أولمان أننا يجب أن ندرس الكلمة في واقع عملي (inoperation) ونستخلص من مجموع الوقائع العملية المعنى العام ونستمر في ذلك ـ أي جمع المعنى العام من سياقات مختلفة ـ وحينما يتوقف أي جمع آخر للسياقات عن إعطاء أية معلومات جديدة يأتي الجانب العملي إلى نهايته ويصبح المجال مفتوحا أمام المنهج التحليلي. علم الدلالة (٧٢).

تحليل المعنى الواحد إلى عناصره الأولية، وهناك تحليل المعنى المتعدد إلى فصائله المختلفة وهناك تحليل الحقول الدلالية[1].

وقد صرح كاتز (J.J. katz) وفودر (J.A. Fodor) في مقالة شهيرة لهما بعنوان (The Struce Of Semantic Theory) بأن النظرية الدلالية تصف قدرة المتكلمين على التأويل وتحللها عن طريق تفسير أدائهم بتحديد عدد قراءات الجملة عن طريق الكشف عن أي خروج عن القياس (Anology) الدلالي وحسم علاقات إعادة الصياغة بين الجمل، وتعيين كل خاصية أو علاقة دلالية أخرى تؤدي دورًا في هذه القدرة.

ويوضح بالمر هذا التصريح بقوله: «إن النظرية الدلالية يجب أن تفسر الغموض والخروج عن القياس وإعادة الصياغة»[2].

ويمكن أن نلخص ما قدمه اللغويون حول طرق الوصول إلى المعنى في بعدين أساسيين[3]:

الأول: بعد أفقي يدرس المعنى في ظل علاقة عنصر لغوي بعناصر لغوية أخرى في السياق اللغوي الموجود بالفعل.

الثاني: بعد رأسي وهو دراسة المعنى في ظل علاقة عنصر لغوي بعناصرَ أخرى خارج السياق اللغوي والذي يطرح بدوره سؤالًا عن علاقة اللغة بالحياة وأيهما يحدد شكل الآخر؟[4].

---

(١) انظر علم الدلالة (١١٤) وفي تحليل المعنى إلى عناصره التكوينية. انظر المرجع السابق (١٢١) وما بعدها وفي تحليل المعنى المتعدد. انظر دور الكلمة في اللغة (١٠٩ ـ ١٤٦) وفي تحليل المعنى داخل الحقول الدلالية. انظر علم الدلالة (٧٩ ـ ١١٣) وانظر كذلك (john lyons, semantics p. 250 - 269).

(٢) علم الدلالة إطار جديد (٥٤).

(٣) انظر المصاحبة في التعبير اللغوي (٣) وأشار بالمر (Palmer) إلى ما أسماه (Sense Relation Ships) وهو ما يخص العلاقات التي تنعقد بين العناصر اللغوية نفسها وقال بأن هذا لا يتحقق إلا داخل اللغة (intra linguistic) وأشار إلى نوع آخر ينظر في العلاقات الخارجية في اللغة أطلق عليه (Reference) انظر علم الدلالة إطار جديد (٥٢).

(٤) انظر في علاقة اللغة بالثقافة البشرية: اللغة بين المعيارية والوصفية ص (٥) وانظر علم اللغة بين القديم والحديث (٤٧ ـ ٥١) وعلم الدلالة إطار جديد (٥٦).
وانظر كذلك (John Lyons, Semantics, p. 252).

وفي ظل تلك الإجابات التي تطرح أسئلة مستمرة عن علم الدلالة وكيفية تحصيل المعنى، ندرك صعوبة الإجابة المباشرة على السؤال المشكلة المطروح في بداية هذا التقديم! ومع ذلك نستطيع أن نجد مبدئية لعلم الدلالة تحتوي على عناصر المشكلة الدلالية فنقول: بأنه دراسة المعنى أو العلم الذي يدرس المعنى أو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكونَ قادرًا على حمل المعنى[1] أو هو مجموعة من الدراسات التي تهدف إلى استخدام اللغة بالنظر إلى وجوه مختلفة وكثيرة من التطبيق، وإلى السياق اللغوي وغير اللغوي، وبالنظر إلى المشتركين في المحادثة، ومعرفتهم وممارستهم للأشياء والحالات التي تكون فيها المعلومة وثيقَة الصلة[2].

ونستطيع من خلال هذا التقديم أن نوضح معالم الدراسة الدلالية لآيات الفتح في القرآن الكريم، فنقوم أولًا ببيان منهج التحليل الدلالي وأدواته ثم نتبع ذلك بمستويات مختلفة من التحليلات التطبيقية التي ترتكز على معطيات علم الدلالة.

٢. منهجنا في التحليل الدلالي لآيات الفتح وأدواته:

لا شك أن تحليل النصوص اللغوية من الأعمال التي تختلف فيها النتائج من باحث لآخر وذلك لاختلاف المناهج والأساليب المتبعة في ذلك التحليل، فإذا ما أضفنا إلى ذلك ما تتميز به قضية المعنى من تعقيدات وتداخلات تشمل كل مستويات اللغة حيث المعنى هو غاية الدراسة اللغوية، (أدركنا حجم الخلاف) وعندما يتعلق التحليل بنصوص من القرآن الكريم، فإن الأمر يحتاج إلى دقة وعناية ثم إنه يحتاج إلى مراعاة الخصائص الفريدة للقرآن الكريم[3] وهو أنه كلام رب العالمين، وأنه كتابُ هداية للناس أجمعين، وبالتالي فإن أي منهج من مناهج التحليل مهما بلغت دقته وإحكامه لا يجب أن يكون هو الطريق

---

(١) علم الدلالة (١١).

(٢) علم الدلالة إطار جديد (٢٣٥).

(٣) يقول الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «خصوصية القرآن الكريم تقتضي عمل اعتبار للمنزل وهو الله ـ سبحانه ـ والمنزل عليه وهو النبي ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ والمخاطب به وهم الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ ومن بعدهم الناس أجمعون لهدايتهم وإصلاح شأنهم».
انظر منهج أهل السنة في تفسير القرآن الكريم (٦٢).

الوحيد لمعرفتنا بكتاب الله ذلك أنه يمكن أن تخضع آيات القرآن الكريم لأي منهج بصورة ما ومع هذا فإننا ننظر إلى منهج التحليل على أنه وسيلةٌ مساعدة للقرب من إدراك الحقائق، أو وسيلة مساعدة على تحصيل المعنى على وجه أفضل، ويبقى مع ذلك اجتهاد بشرى عرضة لما يسري على البشر فالقرآن الكريم معين فياض لا ينضب نبعه، ولا تنقضي عجائبه وتتفاوت العقول والأفهام في كشف أسراره ومقاصده على مر العصور والدهور(١)، ويبقى ـ مع ذلك ـ الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

والتعامل مع نصوص القرآن الكريم لا بد أن يستند إلى ضوابط خاصة بالقرآن الكريم (٢) إلى جانب العناصر والأدوات اللغوية المحضة. ولذلك سنشير بإجمال إلى أدوات التحليل الدلالي والخطوات المنهجية المتبعة وهي:

١ـ توزيع الآيات الخاصة بالفتح أو مرادفه في القرآن الكريم على وحدات معجمية أو دلالية كبرى (٣) يندرج تحتها وحدات تفصيلية أصغر، وتحديد تلك الوحدات يعتمد على محددات دلالية لغوية(٤)، ترجع إلى نفس الآية المخصوصة بالتحليل وما يناظرها من

---

(١) نقل عن مسروق بن الأجدع ـ وهو من كبار التابعين ـ أنه قال:
(جالستُ أصحاب محمد ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فكانوا كالإخاذ (أي الغدير) (مفردة) الإخاذة تروي الراكب، والإخاذة تروي الراكبين والإخاذة تروي العشرة والإخاذة لو نزل بها أهلُ الأرض لأصدرتهم).

(٢) مثل تفسير القرآن بالقرآن أو بالسنة الصحيحة واتساق ذلك مع منهاج القرآن العام وعدم الخروج على إجماع الأئمة وقبول الأمة ومقتضيات الإيمان.

(٣) لا يختلف مفهوم الوحدة الدلالية كثيرا عن مفهوم الحقل الدلالي (Semanticfield) في السياق العام الذي اخترنه للكتاب وآثرنا استخدام الوحدة الدلالية حتى يكون هناك اتساق مع المبحث التاريخي الذي لا يناسبه ـ مفهوم الحقل الدلالي لأن الحقل الدلالي كما يقرر ليونز (مجموعة جزئية لمفردات اللغة) ونحن هنا لا نتحدث عن مجموعة مفردات ولكن نتحدث عن مادة لغوية واحدة ومجموعة علاقات وهذه هي نقطة الالتقاء بين مفهوم الوحدة الدلالية والحقل الدلالي، فنظرية الحقول الدلالية تقرر أنه لكي تفهم معنى كلمة يجب أن تفهم كذلك معنى الكلمات الأخرى المتصلة بها دلاليا ومعنى الكلمة عندهم كما يقول ليونز (Lyons) هو محصلة علاقاتها بالكلمات الأخرى في داخل الحقل المعجمي أو الدلالي ومحور الالتقاء هذا انظر في هذه النظرية ومنهج التحليل فيها ـ علم الدلالة (٧٩) وما بعدها.

(٤) المحدد الدلالي هو مكون أولي للمعنى ونستخدمه كضابط لغوي لحصر المعنى وتحديده مثل التضاد أو الترادف أو المصاحبة اللغوية.

آيات أخرى، أو يعتمد على محدد تاريخي ـ سواء كان تاريخيا مقارنا مقتبسا من نتائج الباب الأول في الدراسة التاريخية، أو مرتكزا على مصطلح المكي والمدني المشار إليه في المقدمة المنهجية(١).

٢ـ اعتماد منهج التفسير الموضوعي (٢) عند شرح الوحدات المعجمية والدلالية على أن نتحرى في هذه الطريقة التفسيرية منهج أهل السنة والجماعة في التفسير. وقد اتفق جمهور كبير من العلماء الثقات الأثبات على أنه أحسن الطرق في التفسير(٣).

---

(١) مثل الفتح بمعنى النصر والتبشير بإظهار الرسالة المحمدية في الوحدة الدلالية (الثانية).

(٢) التفسير الموضوعي: مصطلح حديث في علم التفسير كتبت فيه عدة بحوث واجتهادات. انظر مقدمة في أصول التفسير (٢٩ ـ ٣١) وانظر عرض د. صبري المتولي لجهود ابن القيم في إرساء دعائم التفسير الموضوعي. منهج أهل السنة (١٣١ ـ ١٣٦). ولكن هذا المصطلح لم يتم وضع تعريف محدد له واعتماد منهج للبحث فيه بصورة شاملة إلا على يد نخبة من علماء الأزهر على رأسهم الدكتور عبدالستار فتح الله سعيد.
وتعريفه اصطلاحًا: علم يبحث في قضايا القرآن الكريم المتحدة معنى أو غاية عن طريق جمع آياتها المتفرقة، والنظر فيها على هيئة مخصوصة بشروط مخصوصة، لبيان معناها، واستخراج عناصرها، وربطها برباط جامع انظر في شرح هذا التعريف معنى واصطلاحا: المدخل إلى التفسير الموضوعي (١٩ ـ ٢٧) وفي نشأة هذا العلم وتطوره من خلال القرآن والسنة وجهود العلماء والأئمة على مختلف العصور وأسباب بروزه وأهميته وفوائده في حفظ جهود المفسرين وتأصيل الدراسات القرآنية ووفائه بحاجات العصر: المرجع السابق (٢٨ ـ ٥٥).
وفي منهج البحث وشروطه. انظر المرجع السابق (٥٦ ـ ٩٤).
والتفسير الموضوعي للشيخ أحمد الكومي (٢٢ ـ ٢٤).

(٣) قال الإمام ابن تيمية: (فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب: إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن فما أجمل في مكان فانه قد فسر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقط بسط في موضع آخر. فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحةٌ للقرآن، بل قال الإمام أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي: كل ما حكم به رسول الله ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فهو مما فهمه من القرآن: قال ـ تَعَالَى ـ ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ [سورة النساء: الآية ١٠٥]. انظر مقدمة في أصول التفسير (٩٣) والآية من سورة [النساء: ٤/ ١٠٥] وانظر اتفاق علماء أهل السنة على هذا لترتيب في الأفضلية: منهج أهل السنة (١٠٩) وما بعدها وانظر كذلك البرهان في علوم القرآن (٢/ ١٧٥، ١٧٦) وانظر دقائق التفسير (١/ ١١٠).

ويتلخص في تفسير القرآن بالقرآن ثم تفسير القرآن بالسنة الصحيحة[1]، ثم تفسير القرآن بما ثبت عن الصحابة[2] مما لا اجتهاد فيه [3] والاسترشاد بأقوالهم مما يكون فيه الاجتهاد وكذلك مقولات التابعين بإحسان ـ رَضِيَ الله عَنْهُمْ ـ أجمعين.

٣ـ اتباع طريقة تشذير المعنى وتحليله إلى عناصره الأولية [4] عندما تدعونا الحاجة إلى ذلك وهي طريقة لتحديد دلالة المشترك اللفظي، ولما كانت مادة الفتح من مواد المشترك اللفظي فإننا سنفيد من ذلك الطريقة في الشرح الدلالي أو إزالة الغموض الدلالي. مع الأخذ في الاعتبار ما بذله علماؤنا القدامى في هذا الأمر من جهد والإفادة منه ـ وتتلخص خطوات تلك الطريقة، طريقة تشذير المعنى، فيما يلي:

---

(١) يقول الإمام ابن القيم: (السنة كلها تفصيل للقرآن وبيان لمراد الله منه وتبيين لدلالته) وذلك في سياق شرحه لتحريم السنة الجمع بين المرأة وعمتها والمرأة وخالتها وكيف أن ذلك التحريم مأخوذٌ من تحريم الجمع بين الأختين لكن بطريقة خفية... فهو مستنبط من دلالة الكتاب. انظر زاد المعاد (٤/ 11) وانظر في المواقف التي تتخذها السنة إزاء القرآن عند ابن القيم وشيخه ابن تيمية: منهج أهل السنة في تفسير القرآن الكريم (٦١ ـ ٦٥) وانظر تفصيل ذلك عند علماء المسلمين: أصول الفقه للإمام محمد أبو زهرة (١٠٣ ـ ١٠٦).

(٢) يقول الإمام ابن القيم: (وكان الصحابة أحرص شيء على استنباط أحاديث رسول الله ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ من القرآن) زاد المعاد (٤/ ١١) ويقول في موضع آخر: (هم الجيل الوحيد الذي تلقى مُعْظَمُهُ ألفاظَ القرآنِ ومعانيه جميعها تلقيا مباشرا عن الرسول ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ بلا واسطة وفضلا عن ذلك فهم أصحابُ اللغة ومُلاكُ ناصيتها..).وكانت عنايتُهم بمعاني القرآن وأخذهَا عن النبي ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ عناية كبيرة فكانوا يأخذون المعاني قَبْلَ الألفاظِ. انظر في كل ذلك منهج أهل السنة (٦٧).

(٣) قول الصحابي مما لا اجتهادَ فيه كأسباب النزول والمكيِّ والمدنيِّ والإخبار عن أمور غيبية فإذا ثبتت صحتها تأخذ حكم الحديث المرفوع، أما ما جاء على سبيل الاجتهاد والاستنباط أو فيما للرأي فيه مجال للاجتهاد والقرآن لا يتخذ حجة ملزمة ولكن يستهدي به ويسترشد. انظر في ذلك ما لاحظه الدكتور صبري المتولي منهج أهل السنة (١٧٦، ١٧٧) وانظر إلى بسط القول في أقوال الصحابة في التفسير وغيره وحجيتها وفضلها: أصول الفقه للإمام محمد أبو زهرة (١٩٨ـ ٢٠٣).

(٤) قدم كاتز (Katz) وفودر (Fodar) هذه النظرية في تحديد دلالة الكلمات في المشترك اللفظي، ولكن يمكن أن تستخدم في إزالة الغموض الدلالي أو شرح الدلالة وتحديد عناصرها. انظر في هذه النظرية علم الدلالة (١١٥، ١١٦) وانظر وسائل تحديد المعنى علم الدلالة (١٣، ١٤).

أولا: تحديد المكونات الأولية للمعنى والتفريق بين ما هو أساسي وما هو غير أساسي وبين ما هو عام وما هو خاص[١] (Grammatical Marker).

ثانيًا: ميز اللغويون بين ثلاثة أنواع من العناصر والمكونات وهي:

١ـ المحدد النحوي أو ما يسمى.

٢ـ المحدد الدلالي (Gr.ammatical Marker) وهو عنصر يشترك بين وحدات معجمية مختلفة [٢].

٣ـ المميز (Distinguisher) وهو عنصر خاص بمعنى معين ويقع دائمًا في آخر السلسلة المعجمية ولا يوجد في وحدة معجمية أخرى إلا في حالة الترادف فقط[٣].

وقد لاحظ العلماء أنه لا يمكن لأحد معاني الكلمة أن يملك نفس العناصر أو المكونات التي يملكها معنى آخر لها[٤].

ثالثًا: عندما نصل إلى حل المشكل الرئيسي في معنى الكلمة وتحديد المراد منها فإننا بذلك نمهد الطريق للتفسير الدلالي الشامل وللسياق المقصود بالتحليل وعندئذ يجب مراعاة كل ما يساعد على إبراز المعنى من أجزاء البنية اللغوية [٥] وعناصرها مثل الأسلوب والتركيب الصرفي والوظائف النحوية للكلمات، وبيان المعاني المعجمية أو دلالة المفردات [٦]، ويمكن تضمين السياق التفسيري ذلك أو التمهيد بها أو أن يؤدي الهامش هذه المهمة حسبما تملي طبيعة العرض الدلالي.

---

(١) انظر الهامش رقم (٧) ص (١٢٧) من هذا المبحث.

(٢) علم الدلالة (١٣، ١٤، ١١٦).

(٣) علم الدلة (١٣، ١٤، ١١٦).

(٤) قدم بعض العلماء المحدثين ملامح دلالية عامة تميز بين المعاني المتعددة عن طريق تحديد درجة تشابه المعاني واختلافها مثل كائن حي وعاقل وبالغ ومتحيز ... إلى آخره سواء بالسلب أو الإيجاب. علم الدلالة (١٣٦ ـ ١٣٨).

(٥) انظر المولد (٥١٣).

(٦) انظر وسائل تحديد المعنى: علم الدلالة (١٣، ١٤) وانظر مفهوم الدكتور تمام حسان عن تشقيق المعنى أو الطيف اللغوي في كتابه اللغة بين المعيارية والوصفية (١١٦).

٣ـ المكي والمدني:

معرفة المكي والمدني من أهم العلوم المساعدة في تفسير[١] كتاب الله ـ تَعَالَى ـ فهي توقف المفسر على المتقدم والمتأخر من آيات القرآن الكريم، وتطلعه على الحكم والأسرار الإلهية من التدرج في التشريع أو الناسخ والمنسوخ [٢] أو النسء في بعض الأحكام، أما في مجال تحصيل المعنى فتمثل معرفة المكي والمدني أهمية خاصة، حيث تنقل القارئ في التفسير إلى أجواء الحلقة الزمنية والمكانية من مسيرة الدعوة الإسلامية [٣]، وهذه النقلة لو تمت ـ ولو بشكل تقريبي ـ لها الأثر البالغ في نقل إيحاءات الدلالة الخاصة بالآية في تلك الحلقة المعينة وهذا ـ بلا شك ـ له أعظم الآثار في تحصيل المعنى القرآني المراد على وجه أفضل، وبالتالي إزالة الإشكال الدلالي الذي يحدث من جراء لحوق الألفاظ دلالات أو إيحاءات دلالية مغايرة مرتبطة بأجواء الزمان والمكان الذي يعيشه القارئ في عصر ما من العصور غير عصر القرآن الكريم.

وفي إطار التحليل الدلالي لآيات الفتح لا بد لنا من الاطلاع على المرحلة التاريخية والظروف المكانية لما لذلك الأمر من أهمية في قضية تحصيل المعنى كما أشرنا منذ قليل في هذا التقديم، من ذلك ـ مثلا ـ أننا وجدنا أن آيات الفتح التي تحمل دلالة الحكم والقضاء كلها آيات مكية[٤]، بينما الآيات التي تحمل دلالة النصر والغلبة والتمكين كلها آيات

---

(١) بين الدكتور مناع القطان عدة فوائد جامعة للمكي والمدني ذكر منها: الاستعانة بهذا العلم في تفسير القرآن وتذوق أساليب القرآن والوقوف على السيرة النبوية المباركة فقد كان تتابع الوحي مسايرًا لتاريخ الدعوة. انظر مباحث في علوم القرآن (٥٨ ـ ٥٩).

(٢) انظر البرهان في علوم القرآن (١/ ١٨٧).

(٣) انظر منهج أهل السنة في تفسير القرآن الكريم (٣٧١).

(٤) عاشت الدعوة الإسلامية عهد الحصار والاستضعاف في مكة ولم يسمح للمسلمين بالجهاد في تلك المرحلة بل أمروا بالتزام الصبر والكف عن القتال ومداومة الطاعة ﴿كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء: ٤/ ٧٧] ومن بين الوسائل التي تساعد المسلمين على التزام الصبر تجاه إيذاء المشركين في هذه المرحلة ـ الدعاء ورد الأمور إلى الله والاحتكام إليه سبحانه وهذا هو الغرض المحتمل=

مدنية ولا شك أن هذه الدلالة تواكب طبيعة المرحلة [1] وتوضح المنهاج التربوي المتبع مع جماعة المسلمين الأولى.

***

=لآيات الفتح التي تحمل دلالة الحكم والقضاء كما سنرى ذلك في الوحدة الخاصة بذلك.

(١) انتقلت الدعوى الإسلامية إلى مرحلة دفع العدوان بالقوة ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٢٢/ ٣٩] والانتصار بعد الظلم ثم إعلان فريضة الجهاد ـ بعد انتقالها إلى المدينة وواكبت آيات الفتح التي تحمل دلالة التبشير بانتصار رسالة الإسلام على كل القوى المحاربة لمبادئه سواء كانت من المشركين أو من اليهود أو المنافقين ـ واكبت آيات الفتح ـ كما سنرى في الوحدة الدلالية الثانية ـ كل ذلك وعبرت عن هذه الأجواء الجديدة.

مفهوم المكي والمدني:

هناك عدة تعريفات لهذا المصطلح بعضها متفارق وبعضها متقارب[1] - ليس هنا مجال عرضها - وسنكتفي بتعريف واحد اختاره جمهور كبير من العلماء الأثبات، وأيدته الشواهد على أنه أوفق تعريف لهذا المصطلح يمكن الإفادة منه في علوم التفسير، ذلك التعريف الذي يعتمد الهجرة النبوية المباركة أساسا في تقسيم المكي والمدني[2] فما نزل قبل الهجرة فهو مكي اصطلاحًا وما نزل بعد الهجرة - حتى ولو نزل في مكة أو في حجة الوداع - فهو مدني اصطلاحا[3] وهو بذلك يعتمد على المرحلة التاريخية التي مرت بها دعوة الإسلام وتغير الظروف الأخرى تبعا لتغير المرحلة التاريخية. قال يحيى بن سلام: «ما نزل بمكة وما نزل في طريق المدينة قبل أن يبلغ النبي - صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - المدينة فهو من المكي، وما نزل على النبي - صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في أسفاره بعد ما قدم المدينة فهو من المدني».

يقول السيوطي: وهذا أثر لطيف يؤخذ منه أن ما نزل في سفر الهجرة مكي اصطلاحا[4] وهذا الاصطلاح هو أشهر الاصطلاحات في تعريف المكي والمدني.

وعند تعاملنا مع المكي والمدني سنضع ذلك في الحسبان، ونستقي معرفة المكي والمدني من خلال مصادر مختلفة، ونستعين بمتابعة أحداث السيرة المباركة[5].

---

(١) انظر في تفصيل ذلك البرهان في علوم القرآن (١/ ١٨٧ - ٢٠٤).

(٢) انظر منهج أهل السنة وموقف ابن القيم من ذلك منهج أهل السنة في تفسير القرآن (٣٦٩).

(٣) قال الزركشي في البرهان: أعلم أن للناس في ذلك ثلاثة اصطلاحات:

أحدها: أن المكي ما نزل بمكة والمدني ما نزل بالمدينة.

والثاني: وهو المشهور أن المكي ما نزل قبل الهجرة، وإن كان بالمدينة، والمدني ما نزل بعد الهجرة، وإن كان بمكة.

والثالث: أن المكي ما وقع خطابا لأهل مكة، والمدني ما وقع خطابا لأهل المدينة.

انظر البرهان في علوم القرآن (١/ ١٨٧).

وانظر في شرح ذلك والاعتبارات الخاصة بكل اصطلاح مباحث في علوم القرآن (٦٠).

(٤) الإتقان (١/ ٢٣).

(٥) اخترنا من مؤلفات علوم القرآن. الإتقان للسيوطي، والبرهان للزركشي، ومن مؤلفات التفسير. تفسير بن كثير والقرطبي وزاد المسير في علم التفسير لابن الجرزي ومن كتب السيرة سيرة ابن هشام والرحيق المختوم للمباركفوري وسنوضح ذلك في حينه إن شاء الله - تَعَالَى -

الفصل الأول

دراسة آيات الفتح في المؤلفات التراثية الدلالية

- دراسة آيات الفتح في ضوء مفهوم المشترك اللفظي.
- دراسة آيات الفتح في ضوء مفهوم غريب القرآن.
- دراسة تعريفات الفتح في ضوء المعجم العربي وعلاقة التضاد.

١. الفتح والمشترك اللفظي

نعالج هنا دلالة الفتح في تراث المشترك اللفظي وكتب الغريب، فإذا أردنا أن نتعرف تراث المشترك اللفظي سنجد أننا أمام عدة مصطلحات وتعريفات تبدو مختلفة، ولكن عند تأملها نجد أنها تؤدي مفهوما واحدًا هو المشترك اللفظي أو تعدد المعنى[١] (Polysemy) من هذه المسميات ما يعرف بكتب الوجوه والأشباه والنظائر، ومع ما قيل عن وجود فروق دلالية على مستوى الاصطلاح والمفهوم [٢] إلا أننا نجد مادة العلماء في

---

(١) يقول «بالمر» في تعريف المشترك اللفظي» هو عبارة عن كلمة لها مجموعة من المعاني المختلفة وهذا هو المشترك اللفظي، ومثل هذه الكلمة متعددة المعنى انظر علم الدلالة إطار جدد (١٠١).

وقد فرق «بالمر» بين الاشتراك أو «الهومونيمي» (وذلك عندما نكون أمام كلمات عدة لها الشكل نفسه) والتعدد أو «البوليزيمي» (وذلك عندما تكون كلمة واحدة لها معان عدة انظر في التفرقة بين النوعين علم الدلالة إطار جديد (١٠٤ـ ١٠٩) وانظر كذلك (Gohn Lyons, Semantics 2/235 - 236).

وقد أشار علماؤنا إلى هذا النوع الفرعي من المشترك اللفظي هو ما يعرف (بالهومونيمي) والذي يحدث نتيجة لتطور شكل لفظة ما إلى مطابقة لفظة أخرى يقول ابن درستويه في أثناء بيانه للأسباب التي تدعو إلى نشوء المشترك اللفظي في اللغة: «وإنما يجيء ذلك في لغتين متباينتين، أو لحذف واختصار قد وقع في الكلام حتى اشتبه اللفظان، وخفي ذلك على السامع وتأول فيه الخطأ» انظر فصول في فقه العربية (٣٢٥) وانظر ما قدمه أستاذنا الدكتور رمضان عبدالتواب من أمثلة هذا النوع في العربية. المرجع السابق (٣٣٢، ٣٣٣).

وانظر ما ذكره الدكتور إبراهيم أنيس في اللهجات العربية (١٩٧).

(٢) قالوا في تعريف الوجوه «اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان» والنظائر كالألفاظ المتواطئة=

تلك المؤلفات تكاد تكون واحدة[1]، وقد أفرد بعضها فقيل وجوه القرآن ونظائر القرآن، وجمعها بعضهم فقال علم الوجوه والأشباه والنظائر، وهناك كثير من المصطلحات التي تقوم على خدمة المشترك اللفظي ولذلك سنقوم بعرض تاريخي شامل وموجز تعالج فيه تطور دلالة الفتح في تلك المؤلفات مع محاولة تفسير ذلك، والإفادة منه في تقسيم الوحدات الدلالية لآيات الفتح في القرآن الكريم.

= التي تطلق على أشباء متغايرة بالعدد، ولكنها متفقة بالمعنى. البرهان في علوم القرآن للزركشي (١/ ١٢٠). وقالوا معنى النظير أن لفظ كل كلمة ذكرت في موضع نظير للفظ الكلمة المذكور في الموضع الآخر بينما تفسير كل كلمة بمعنى غير معنى الآخر هو الوجه (انظر نزهة الأعين النواظر في الوجوه والنظائر ٢ـ ٣) وقد ضعف الزركشي هذا الرأي لأنهم يذكرون اللفظ الذي معناه واحد في مواضع كثيرة (انظر البرهان ١/ ١٠٢)، ثم إن كلمة الأشباه تحمل معنيين معنى المثل والنظير ومعنى الاختلاط والاختلاف والإشكال فهي متشابهة الصورة مشتبهة المعنى (انظر في مادة شبه اللسان ٤/ ٢١٨٩ ـ ٢١٩١ ومقاييس اللغة ٣/ ٢٤٣) وهذا يوضح أنها عدة مصطلحات أريد بها مفهوما واحدا

(١) وقد توقف الدكتور أحمد مختار عمر عند الازدواج المصطلحي في الوجوه والنظائر وقدم ما بدا له في توضيح هذا الازدواج فبعد أن نقل تعريف العلماء للوجوه بقولهم: الوجوه: اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان كلفظ الهدى له سبعة عشر معنى في القرآن الكريم يضيف قائلا: «أما كلمة النظائر فتعني الألفاظ المتواطئة أو المترادفة أو على حد تعبير السيوطي «ما اختلف لفظه واتحد معناه» ولكن من يستعرض الكتب التي تحمل اسم «الوجوه والنظائر» لا يجد فيها حديثًا خاصًا عن المترادفات فلماذا حملت هذا الاسم المزدوج؟ ثم يقول: «يبدو لي أن كل مشترك لفظي يحمل في داخله ترادفًا فإذا قلنا إن اللسان في القرآن الكريم على أربعة وجوه: اللغة والدعاء والعضو المعروف والثناء الحسن، فمعنى هذا أن اللسان له أربعة وجوه أو أربعة معانٍ فهو مشترك لفظي. وهو في نفس الوقت يملك عدة نظائر أو مترادفات فاللسان مع اللغة يكون ترادفًا وهو مع الدعاء يكون ترادفًا ثانيًا وهكذا» ثم أضاف «فمن أجل هذا صح أن تحمل هذه الكتب اسم الوجوه والنظائر مشيرة بالوجوه إلى المعاني المتعددة للفظ وبالنظائر إلى الألفاظ المتعددة المعنى » علم الدلالة (١٤٩). ولكن الأمر البين في ذلك أن المشترك اللفظي يشمل اللفظ الواحد لا عدة ألفاظ ألا يمكن أن نقول أن اللفظ واحد وقد تتناظر معانيه في حالة الترادف وتتناقض في حالة الأضداد فالمشترك اللفظي مصطلح أعم يتضمن نوعًا من الترادف ونوعًا من التضاد بحسب ما يوجد من معان للفظ الواحد.

فلو قلبنا أن لفظة فتح من معانيها أرسل وأنزل وأطلق فالكلمة هنا تتضمن دلاليا مجموعة من الكلمات المتناظرة أو المترادفة فيما بينها. انظر الملاحظات التي سجلناها عند عرض جهود العلماء بهذا المبحث ص (١٢٣، ١٢٤) وما بعدها.

من أقدم المؤلفات المعروفة لدينا في تراث المشترك اللفظي[1]، كتاب الأشباه والنظائر[2] لمقاتل بن سليمان البلخي (توفي ١٥٠هـ) ثم كتاب التصاريف أو «تفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه» ليحيى بن سلام (توفي ٢٠٠هـ) وتوالت مؤلفات العلماء في هذا المجال [3] نجد ذلك عند أبي عبدالقاسم بن سلام (توفي ٢٢٤هـ) في كتابه (الأجناس من كلام العرب)[4] وأبي العميثل [5] (توفي ٢٤٠هـ) وعنوان كتابه (ما اتفق لفظه واختلف معناه) وأفرد ابن قتيبة (٢١٣ ـ ٢٧٦هـ) قسما كبيرا في كتابه (تأويل مشكل القرآن) للمشترك اللفظي)، وقام أبو الحسن الهنائي ـ المعروف بكراع، (توفي ٣١٠هـ) بوضع معجم شامل في المشترك اللفظي سماه (المنجد في اللغة)[6] وتراوحت التسميات الأخرى التي حوت المشترك اللفظي بين نظائر القرآن كما عند الحكيم الترمذي[7] (توفي ٣١٨) أو وجوه القرآن كما هي عند الضرير النيسابوري[8] أو الوجوه والنظائر كما هي عند الدامغاني[9] وأيضًا (الوجوه والنظائر) كما عند ابن الجوزي

---

(١) انظر البرهان في علوم القرآن (١/ ١٠٢) والإتقان (١/ ١٨٥).

(٢) مطبوع بتحقيق د. عبدالله محمود شحاته. القاهرة (١٩٧٥م).

(٣) انظر مقدمة تحقيق المنجد في اللغة بعناية د. أحمد مختار عمر.

(٤) لم أتمكن من الاطلاع على هذا الكتاب ولكن المراجع التي تحدثت عن المشترك اللفظي تذكر أنه نشر في بومباي (١٩٣٨) بعناية امتياز علي عرشي.

(٥) هو أبو العميثل الأعرابي، عبدالله بن خليد. توفي سنة ٢٤٠هـ وقد حقق كرنكو الكتاب تحت عنوان «المأثور عن أبي العميل الأعرابي» ونشره في لندن (١٩٢٥) انظر نزهة الأعين النواظر تحقيق محمد عبدالكريم كاظم (٣٥).

(٦) المنجد في اللغة، طبع بعناية د. أحمد مختار عمر وضاحي عبدالباقي ـ القاهرة ١٩٧٦م.

(٧) عنوان كتاب الحكيم الترمذي تحصيل نظائر القرآن وهو مطبوع بتحقيق حسني نصر زيدان (القاهرة ١٩٧٠م).

(٨) هو أبو عبدالرحمن إسماعيل بن أحمد الضرير النيسابوري الحيري توفي ٤٣٠هـ وعنوان كتابه «وجوه القرآن».
انظر نزهة الأعين النواظر (٥١).

(٩) هو أبو عبدالله الحسين بن محمد الدامغاني توفي ٤٧٨هـ وعنوان كتابه «الوجوه والنظائر في القرآن الكريم» وطبع في بيروت ١٩٧٠م بتحقيق عبدالعزيز سيد الأهل تحت عنوان «قاموس القرآن» أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن ويجري تحقيق الكتاب حاليًا بعناية المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بجمهورية مصر العربية.

(توفي ٥٩٧هـ) أو شاملة للمصطلحات الثلاث كما هو الحال عند ابن العماد (توفي ٨٨٧هـ) وقد استقر في النهاية عند مصطلح المشترك اللفظي كما نجده عند السيوطي (توفي ٩١٠هـ) في كتابه (معترك الأقران في مشترك القرآن)(١) هذا من ناحية المؤلفات، أما من ناحية المفهوم ـ مفهوم المشترك اللفظي ـ(٢) فقد عرف الأصوليون اللفظ المشترك بأنه «اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة(٣) وفرق التهانوي(٤) بين نوعين من المشترك: أحدهما: معنوي عندما يكون اللفظ المفرد موضوعا لمفهوم عام مشترك بين الأفراد والآخر لفظي. عندما يكون اللفظ المفرد موضوعًا لمعنيين معًا على سبيل البدل من غير ترجيح، والتهانوي في هذا التعريف الثاني يتفق مع تعريف الأصوليين(٥) لكنه يقصر المشترك اللفظي على معنيين لا أكثر، وتعريف الأصوليين المشار إليه منذ قليل يعبر عن اعتقاد فريق من اللغويين العرب القدامى، ومؤدى هذا الاعتقاد أن المشترك اللفظي عُمِدَ إليه في أصل الوضع اللغوي (٦) لأن الألفاظ ـ كما يقولون ـ متناهية والمعاني غير متناهية، ومع وجود هذه الرؤية إلا أن هناك رؤيةً أخرى ينكر أصحابها أن يكون المشترك اللفظي قد عُمِدَ إليه في أصل الوضع بل الأصل أن يوضع اللفظ الواحد لمعنى واحد(٧) لكن وجود المشترك اللفظي مرده إلى

(١) انظر الإتقان (١/ ١٨٥) سمي بذلك في الإتقان ووجد في مخطوطاته التي عثر عليها تحت اسم معترك الأقران في إعجاز القرآن. انظر تحقيقه تحت هذا الاسم لعلي محمد البجاوي. القاهرة سنة ١٩٧٣م مقدمة التحقيق.

(٢) انظر في بداية مفهوم المشترك اللفظي عند سيبويه وغيره وآراء علماء العربية في وجوده من عدمه وتفسيرهم لوجوده وأسباب ذلك وأمثلة المشترك اللفظي وتحليلها. فصول في فقه العربية ٣٠٨ ـ ٣٠٩ وكذلك ٣٢٤ ـ ٣٣٦.

(٣) فصول في فقه العربية (٣٢٤) ولمزيد من التفصيل عن المشترك عند الأصوليين. انظر أصول الفقه للشيخ محمد أبو زهرة (١٥٥ ـ ١٥٧) والمزهر (١/ ٣٦٩).

(٤) انظر: كشاف اصطلاحات الفنون (٨٥٤).

(٥) يتضح ذلك من قوله (اللفظ المفرد) وقولهم (اللفظ الواحد) وقوله (معا على سبيل البدل من غير ترجيح) وقولهم: (دلالة على السواء).

(٦) وذلك بتصريحهم بكلمة (الوضع) وهم يقصدون عملية المواضعة اللغوية.

(٧) انظر رأي ابن درستويه. فصول في فقه العربية (٣٢٥).

تداخل اللغات وانتقال الدلالات[1].

يقول أبو علي الفارسي في ذلك: «اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين، ينبغي ألّا يكون قصدا في الوضع، ولا أصلا، ولكنه من لغات تداخلت، أو أن تكون كل لفظة تستعمل بمعنى ثم تستعار، فتكثر وتغلب، فتصير بمنزلة الأصل»[2].

ومعنى هذا أن أبا علي الفارسي وأضرابه ممن يرون هذا الرأي يفسرون ظاهرة المشتركِ اللفظيِّ بحدوث تغير على مستوى الدلالة مع ثبات صورة اللفظ ولم يذهب علماء اللغة المحدثون بعيدًا عن هذا يقول«أولمان»: «لعلنا نتذكر أننا قد عرفنا المعنى بأنه علاقة متبادلة بين اللفظ والمدلول، ولسوف يفيدنا هذا التعريف في دراستنا عندما ننتقل من الصورة الثابتة إلى الصورة المتحركة لمعاني الكلمات، ويقع التغير في المعنى كلما وجد أي تغير في هذه العلاقة الأساسية، ويظهر التغير في هذه العلاقة في صورتين اثنتين: فقد يضاف مدلول جديد إلى كلمة قديمة أو كلمة جديدة إلى مدلول قديم»[3].

إذن مفهوم المشترك اللفظي عند القدماء والمحدثين هو وجود لفظ واحد له دلالات مختلفة، وهذا مرده إلى حركية الثروة اللفظية في مجالات دلالية مختلفة من الاستخدام اللغوي ويميز الدكتور أحمد مختار عمر بين أربعة أنواع من المشترك اللفظي عند المحدثين وهي:[4]

١ـ وجود معنى مركزي للفظ تدور حوله عدة معان فرعية أو هامشية.

٢ـ تعدد المعنى نتيجة لاستعمال اللفظ في مواقف مختلفة.

٣ـ دلالة الكلمة الواحدة على أكثر من معنى نتيجة لتطور في جانب المعنى.

٤ـ وجود كلمتين يدل كل منهما على معنى وقد اتحددت صورة الكلمتين نتيجة تطور في

(١) يفسر «بالمر» المشترك اللفظي في كثير من مفرداته بعملية الانتقال الدلالي.
انظر علم الدلالة إطار جديد (١٠٢).

(٢) المخصص (١٣/ ٢٥٩) وفصول في فقه العربية (٣٢٥).

(٣) دور الكلمة في اللغة (١٦٩).

(٤) علم الدلالة (١٦٢ ـ ١٦٣) وقد حدد صموئيل أولمان مصادر المشترك اللفظي في أربعة مصادر تغذي اشتراك المعنى وهي انحراف المعنى والعبارات المجازية والتأثيل الشعبي (اعتقاد وجود علاقة بين كلمتين لا علاقة بينهما) والتأثيرات الأجنبية انظر مدخل إلى الألسنية (١٩٧).

جانب النطق[١].

ولو تأملنا تعريفات المؤلفات العربية السابقة ـ التي اهتمت بالمشترك اللفظي لوجدنا أنها تصب في هذا الشأن وليس بينها وبين تعريفات علماء اللغة المحدثين كبيرُ خلاف، بل إنني أزعم أن الغربيين قد اطلعوا على هذه التعريفات وأفادوا منها فعبارات القدماء مثل ما اتفق لفظه [٢] وما اشتبه لفظه[٣] أو ما عمت مرائيها[٤] وترادفت مبانيها[٥] أو ما اشتبهت أسماؤه[٦] تدل على أن اللفظ على صورة واحدة وحركة واحدة[٧]، ثم إن عبارات مثل اختلف معناه وتصرفت معانيه أو خصت[٨] أو تنوعت أو خفي المقصود منه بنفس ذلك اللفظ أو أشكل معناه[٩] تدل على تعدد المعنى، وهذا بالضبط ما قدمه

---

(١) هو ما يطلق عليه الهومونيمي وقد أشرنا إليه في الهوامش السابقة منذ قليل.

(٢) انظر عبارة المبرد في رسالته القصيرة ما اتفق لفظه واختلف معناه ص (٢).

(٣) هي عبارة أبي عبيدالقاسم بن سلام.

(٤) هي عبارة كراع النمل (وعمت مرائيها) أي توحدت صورتها اللفظية واجتمعت حيث من معاني كلمة عم عند كراع الجمع انظر اللسان مادة عمم (٤/ ٣١١٢)، والمقاييس (٤/ ١٨).

(٥) هي عبارة الثعالبي.

(٦) هي عبارة يحيى بن سلام.

(٧) هذا هو الشق الأول من تعريف الوجوه والنظائر أو الأشباه والنظائر حيث إن مفهومها عند علماء التفسير أن تكون الكلمة واحدة وقد ذكرت في مواضع من القرآن الكريم على لفظ واحد وحركة واحدة وأريد بها في كل مكان معنى غير الآخر.
انظر في ذلك: كشف الظنون (٢/ ٦٢٨) ونزهة الأعين النواظر (١/ ٢ـ ٣).
انظر البرهان في علوم القرآن (/ ١٠٢). والأشباه والنظائر للثعالبي ص (١١).

(٨) وخصت معانيها أي انفردت هذه الصور بمعان خاصة فمن معاني كلمة خص كثر وتشعب والعموم بخلاف ذلك.
انظر المقاييس (٢/ ١٥٢ـ ١٥٣) ويتضح من عبارة كراع (عمت مرائيها وخصت معانيها) نَصُّ كراع على مفهوم محدد وواضح للمشترك اللفظي، ولا بد أنه قد حدث سهو من العالم الفاضل أحمد مختار عمر عندما قرر أنه لم يعثر على تعريف لكراع للمشترك اللفظي ولكنه استنتج من خلال مادة الكتاب أن المشترك اللفظي عند كراع يتحقق عندما تؤدي كلمة أكثر من معنى. وهو استنتاج سليم ولكن نقول بأن كراع قد نص على ذلك بالعبارة المشار إليها.
انظر مقدمة التحقيق ـ تحقيق د. أحمد مختار عمر المنجد في اللغة ـ ص (١٧).

(٩) هذه العبارات على الترتيب للمبرد ويحيى بن سلام وكراع النمل والثعالبي، وتعريف كشف الظنون لحاجي خليفة للفظ المشكل. انظر الهامش رقم (٦).

المحدثون في تعريف المشترك اللفظي.

٢. الفتح من كلمات غريب القرآن

ليس الهدف هنا هو استقصاء كتب المشترك اللفظي أو الغريب، وإنما القصد إلى إبراز نماذج ومحاولة تفسيرها ـ وبخاصة إذا كان بعضها ينقل عن بعض.

وإذا أردنا تحديد مفهوم الغريب، فسنجد أن الغريب من الكلام إنما هو الغامض(١) البعيد من الفهم، كما أن الغريب من الناس هو البعيد عن الوطن المنقطع عن الأهل والغريب من الكلام في عرف العلماء يقع على وجهين ـ كما يقول أبو سليمان الخطابي(٢):

أحدهما: أن يُراد به أنه بعيدُ المعنى غامضُه لا يتناوله الفَهْمُ إلا من بُعد ومعاناةِ فكر.

والوجه الآخر: أن يُراد به كلام من بَعُدَتْ به الدار من شواذ(٣) قبائل العرب فإذا وقعت إلينا الكلمة من كلامهم استغربناها.

وهذان الوجهان اللذان يحددهما أبو سليمان الخطابي في بيان مفهوم الغريب يتفقان مع المشترك اللفظي في تحقيق غاية هامة من غايات البحث الدلالي ألا وهي توضيح المعنى وتفسير غموضه(٤) سواء أكان هذا الغموض ناتجا عن انتقال الدلالة في إطار السياق اللغوي ذاته أم هو ناتج عن انتقال الدلالة في سياقها اللغوي من بيئة إلى أخرى وقد نص المؤلفون في غريب القرآن على تلك المقاصد يقول أبو الفرج بن الجوزي (٥) ـ في مقدمة

---

(١) قال صاحب اللسان: الغريب: الغامض من الكلام، وكلمة غريبة وقد غربت هو من ذلك اللسان غرب (٥/ ٣٢٢٦) وانظر مقاييس اللغة (٤/ ٤٢١).

(٢) كشف الظنون (٢/ ١٥٥) انظر غريب الحديث للخطابي (١/ ٧٠، ٧١).

(٣) قال علي بن محمد الجرجاني في التعريفات: «الذا ما يكون مخالفًا للقياس من غير نظر إلى قلة وجوده وكثرته والشاذ على نوعين: شاذ مقبول، وشاذ مردود، أما المشاذ المقبول هو الذي يجيء على خلاف للقياس ويُقْبلُ عند الفصحاء والبلغاء ...». أظن أن أبا سليمان أراد الشاذ وفق هذا المفهوم عندما قال (شواذ قبائل العرب حيث تُعد اللغة الفصحى (لغة قريش) هي نمط القياس ولغات القبائل التي يحتج بها هي الشاذ وفق هذا المفهوم.

انظر التعريفات للجرجاني (٧١).

(٤) انظر التقديم الذي تناولنا فيه مفاهيم علم الدلالة بهذا الكتاب.

(٥) هو عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي بن جعفر الجوزي ـ ونسب إلى جده الأكبر جعفر=

تذكرة الأريب في تفسير الغريب[1]:

«هذا كتاب أشرت فيه إلى ما يغمض علمه، ويدق عن ذوي اللب فهمه...».

ويشرح أبو حيان الأندلسي[2] ذلك في مقدمة كتاب تحفة الأريب يقول: «لغات القرآن العزيز على قسمين: قسم يكاد يشترك في معناه عامة المستعربة وخاصتهم، كمدلول السماء والأرض، وفوق وتحت، وقسم يختص بمعرفته من له اطلاع وتبحر في اللغة العربية وهو الذي صنف أكثر الناس فيه وسموه غريب القرآن، والمقصود في هذا المختصر أن نتكلم على هذا القسم»[3].

هذا من ناحية مفهوم مصطلح الغريب أما من ناحية المؤلفات في الغريب فإنها تبدأ بمقولات بن عباس[4] ـ رَضِيَ الله عَنْهُمَا ـ في ذلك الشأن فيما رواه عكرمة عن ابن عباس قال: «إذا سألتموني عن غريب اللغة فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب»[5] وقد أحصى محقق كتاب العمدة في غريب القرآن مؤلفات غريب القرآن مبتدئًا (بإجابات ابن عباس على سؤالات نافع بن الأزرق) ومنتهيا بـ(كلمات القرآن تفسير وبيان) للشيخ حسنين محمد مخلوف مفتي الديار المصرية السابق وقد بلغ عدد المؤلفات قرابة مئة مؤلف

= «الجوزي» حيث تولى جوزة وهي محلة في البصرة أو بغداد وتوارثها أبناؤه فنسبوا إليه ـ وهو واعظ وحافظ ومؤرخ ولغوي ومفسر ولد (٥١٠هـ) وتوفي (٥٩٧هـ) وصلت مؤلفاته المنشورة أربعين مؤلفًا غير المخطوط والمفقود. انظر في نسبه وصفاته وعلمه ومؤلفاته ومصادر ذلك مقدمة تحقيق كتابه نزهة الأعين النواظر (٢١ ـ ٣١).

(١) (١/ ٤٩).

(٢) هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الإمام أثير الدين أبو حيان الأندلسي الغرناطي ولد في مدينة من أعمال غرناطة سنة (٦٥٤هـ) وتوفي بالقاهرة سنة (٦٧٨هـ) وترك وراءه ثروة ضخمة من المؤلفات النافعة. انظر ارتشاف الغرب بتحقيق رجب عثمان (المقدمة).

(٣) تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب (٤٠).

(٤) انظر مقولة ابن عباس الخاصة بالغريب والأمثلة التي ذكرها في مقدمة تحقيق كتاب تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب (٢٢).

(٥) البرهان في علوم القرآن للزركشي (١/ ٢٩٣).

مـا بـين مطبـوع ومخطـوط ومفقـود[1] وتـضمنت قائمـة الغريـب كتبـا مثـل معـاني القرآن[2] ومجاز القرآن[3] لاحتوائها غريب القرآن بالمفهوم السابق.

وبينما نشعر عند مطالعة كتب المشترك اللفظي أننا أمام مبحث دلالي يعمد إلى دلالة رئيسية أو أكثر ثم يرتب الدلالات الأخرى بناء على ذلك مستشهدا بآيات القرآن الكريم، نجد في كتب غريب القرآن الاتجاه مباشرة إلى الآيات الكريمة وتوضيح أن المادة اللغوية مقصود منها دلالة ما في تلك الآية ودلالة أخرى مغايرة في غيرها ولكن كتبا تقع ضن دائرة الغريب مثل معاني القرآن حاولت شرح الدلالة وتفسيرها كما نجد ذلك عند الزجاج[4] ولأخذ تلك المؤلفات بعضها عن بعض سنقوم بتوزيع دلالات آيات الفتح كما وردت، ولكن عن طريق الإجمال والإشارة إلى الفروق الدلالية إن وُجدتْ ليس قصدًا إلى الاستقصاء، وإنما لإعطاء صورة مناسبة عن تناول تلك المؤلفات لمادة الفتح ثم محاولة تفسير ذلك وتحليله وفق ما قدمنا من مفاهيم. نلحظ من خلال دراستنا لكتب المشترك اللفظي والغريب عدة ملحوظات.

أن هذه المؤلفات ينقل بعضها عن بعض وإن وجدت اختلافات يسيرة فيما بينها.

حرصت مؤلفات المشترك اللفظي على جمع المادة في مكان واحد وساقت الآيات استشهادا على الدلالات والتزم بعضها بترتيب المواد هجائيا[5] وترتيب المادة الواحدة

---

(١) انظر مقدمة تحقيق كتاب العمدة في غريب القرآن (١٩ ـ ٣٨).

(٢) من معاني كلمة المجاز عند أبي عبيدة الغريب، فقد يعني بعبارته «مجازه كذا» أي غريب كذا فالمجاز عنده عبارة عن الطرق التي يسلكها القرآن الكريم في تعبيراته فعبارة مجازه تعني تفسيره أو معناه أو غريبه وهذا المعنى الخاص للمجاز عند أبي عبيدة أعم ـ بلا شك ـ من المعنى الذي حدده علماء البلاغة بعد ذلك للمجاز. انظر مجاز القرآن مقدمة التحقيق (١٨، ١٩).

(٣) هناك من كتب معاني القرآن ما يغلب عليها النحو والإعراب مثل معاني القرآن للأخفش وهناك كتب أخرى يغلب عليها التفسير وشرح الدلالات مثل معاني القرآن للزجاج وهناك مؤلفات حاولت المقاربة بين كل ذلك مثل معاني القرآن للفراء.

(٤) مثل قوله في شرح دلالة الفتح عندما يكون بمعنى النصر يقول في ذلك: «والفتح بمعنى النصر والظفر بالمكان والمدينة والقرية، كان بحرب أو بغير حرب، أو كان دخول عَنْوة أو صلح، فهو فتح لأن الموضوع إنما يكون منغلقًا فإذا صار في اليد فهو فتح».
معاني القرآن (٥/ ١٩).

(٥) كما يتضح ذلك عند كراع في المنجد.

ترتيبًا دلاليا داخليًا مع تفسير تلك الدلالة[1] كأن يبدأ بالمعنى الأساسي ثم يفرع بقية المعاني تبعا لذلك المعنى، ولم يلتزم بعض آخر منها بذلك بل كان يرتب المادة كيفما اتفق له[2].

اتبعت كتب الغريب نهج المفسرين بأن اتبعت ترتيب القرآن الكريم بذكر السورة ثم ما فيها من الغريب وركزت في مادة الفتح على التفريق بين الآيات التي بمعنى النصر وتلك التي بمعنى الحكم والقضاء.

ويمكن إجمال الدلالات الخاصة بآيات الفتح في تلك المؤلفات على النحو التالي:

١ـ الفتح بعينه أو إزالة الإغلاق[3].

٢ـ الفتح عندما يعني الإرسال والإطلاق والإنزال.

٣ـ الفتح عندما يعني النصر والمظاهرة والفرج[4].

٤ـ الفتح عندما يعني الحكم والقضاء.

وقد سلكت كتب التفسير مسلكا آخر عند تعرضها لتفسير آيات الفتح حيث نقلت في الآية الواحدة هذه المعاني المختلفة المأثورة عن كتب الأشباه والنظائر والغريب المتقدمة عنها من الناحية الزمنية ـ ثم ذكرت ـ أي كتب التفسير بالمأثور[5] ـ روايات نقلية تؤيد

---

(١) مثل «تأويل مشكل القرآن» ومثل «نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر والذي رتب فيه ابن الجوزي مادة الفتح ترتيبا داخليًا ثم يُبَيِّن الدلالة بالتفسير الذي يراه مناسبًا فهو يحمل المعاني الجزئية على معنى أساسي تفرعت منه تلك الدلالات فالفتح ضد الإغلاق، والفتح النصر لأنه يفتح بابًا مغلقًا، والفتح القضاء لأنه فتح ما أشكل من الأمور.

(٢) نجد ذلك عند مقاتل بن سليمان البلخي الذي بدأ بمعنى القضاء والفتح بمعنى الإرسال والفتح بعينه ثم الفتح بمعنى النصر وتابعه في ذلك يحيى بن سلام في التصاريف وابن العماد في كشف السرائر.

(٣) انظر الجدول الخاص بالمعجم العربي.

(٤) انظر تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (١٤٤)

(٥) ناقش الدكتور صبري المتولي في كتابه ـ منهج أهل السنة في تفسير القرآن الكريم (دراسة موضوعية لجهود ابن القيم التفسيرية) ناقش الفرق في التسمية بين ما يعرف لدى المشتغلين بالتفسير باتجاه التفسير بالمأثور وما يختاره هو ويسميه الاتجاه النقلي في التفسير وقد قدم عدة مبررات لتفصيل تسمية (النقلي) على (المأثور) ونعتقد أنه لا مشاحة في الاصطلاح وبخاصة إذا كانت كلمة الأثر مصطلح من مصطلحات الحديث ولكنه يعمم ويخصص (انظر تيسير مصطلح الحديث (١٦)=

هذا المعنى أو ذاك، ولكن بكل تأكيد أن تلك الروايات، ليست على درجة واحدة من درجات الصحة والإسناد، وإن كان بعض المفسرين رجح معنى محتملا على آخر في آية من الآيات إلا أن آخرين لم يفعلوا ذلك ونقلوا الآراء المتعارضة في الآية الواحدة، ففي مثل قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾ [1] يورد الإمام الطبري روايات متعددة على عدة معان مختلفة للفعل فتح[2].

١ـ بما أمركم الله به.

٢ـ بما استفتحتم به ففتح الله عليكم به من إرسال محمد ﷺ.

٣ـ بما أنزل الله عليكم في كتابكم من نعت محمد ﷺ.

٤ـ بما منَّ اللهُ عليكم في كتابكم من نعت محمد ﷺ.

٥ـ بما حكم الله عليكم به.

وبعد أن يسند الروايات المؤيدة لكل معنى من المعاني السابقة، يحمل دلالة مادة الفتح والمعاني الرئيسية لها ثم يرجح الطبري بأن معنى فتح في الآية هو ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾ من بعث محمد ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ «والطبري في هذا يفسر المادة بذات المادة اللغوية يقول في ذلك:

(فالذي هو أولى عندي بتأويل هذه الآية قول من قال: معنى ذلك: أتحدثونهم بما فتح الله عليكم من بعث محمد ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ إلى خلقه، لأن الله ـ جل ثناؤه ـ إنما قصَّ في أول هذه الآية الخبر عن قولهم لرسول الله ﷺ ولأصحابه: آمنا بما جاء به محمد ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فالذي هو أولى بآخرها أن يكون نظيرَ الخبر عما ابتدئ به أولها»[3].

وقد روى المفسرون ـ بعد الطبري ـ قولين أو أكثر في الآية من الأقوال التي جمعها الطبري نجد ذلك عند الماوردي[4] وابن الجوزي[5] والسيوطي [6] وغيرهم ومثل هذا

= ومادة أثر في اللسان (١/ ٢٥، ٢٦) ومن الممكن أن نستخدم الاتجاه النقلي إذا أردنا أن نشمل بتفسير القرآن بالقرآن كما قرر الدكتور المتولي. انظر منهج أهل السنة في التفسير ص (١٢٥) وما بعدها.

(١) سورة البقرة: من الآية ٧٩.

(٢) انظر تفسير الطبري (٣/ ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٤).

(٣) تفسير الطبري (٢/ ٢٥٥).

(٤) انظر تفسير الماوردي (١/ ١٤٨، ١٤٩).

(٥) انظر زاد المسير في علم التفسير (١/ ١٠٤، ١٠٥).

(٦) الدر المنثور (١/ ٨١).

الذي نجده في سورة البقرة نجده في تفسير آيات الفتح الموجودة في سورة الأنفال والسجدة وغيرها.

ويمكن أن نرجع ظنية الدلالة التي سبقت في بعض آيات الفتح وعدم قطعيتها في معظم كتب التفسير إلى سببين أساسيين(١):

الأول: تعدد معنى اللفظة الواحدة واحتمال السياق لذلك التعدد.

الثاني: تعدد الروايات النقلية المأثورة في تفسير تلك المادة على وجوه مختلفة.

ويبدو أن اختلاف عبارات المؤلفين في المشترك اللفظي والمفسرين ـ أحيانًا ـ قد أسهم في إيجاد كثير من المترادفات التي بدت عن طريق النقل والاقتباس وكأنها دلالات مختلفة أو متباينة(٢)، ولتوضيح ذلك نمثل بالمثال التالي:

---

(١) ذكر العلماء أسبابًا كثيرة لوجود الخلاف بين المفسرين ذكروا منها اختلاف الإعراب واختلاف اللغويين في معنى الكلمة والاشتراك اللفظي واحتمال العموم والخصوص والحقيقة والمجاز والنسخ والأحكام واختلاف الرواية واحتمال التقديم والتأخير ... إلى آخره. انظر مقدمة في أصول التفسير (٣٤).
وقد اقتصرنا على سببين ترجع إليهما كل تلك الأسباب من خلال المادة التي ندرسها. وقال العلّامة ابن تيمية في سبب الاختلاف عند السلف: (والاختلاف قد يكون لخفاء الدليل، أو الذهول عنه، وقد يكون لعدم سماعه، وقد يكون الغلط في فهم النص، وقد يكون لاعتقاد مُعَارِض راجح) انظر مقدمة في أصول التفسير (٦٧) وقد تابعه تلميذه ابنُ القيم في ذلك ولكنه أكثر من الأمثلة والتي سماها شيخه اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد وهي ترجع إلى أربعة أسباب:
١ـ خفاء الدليل ـ والمقصود هنا دليل السنة ـ أي يسمع الصحابي الدليل ثم ينساه مثلا.
٢ـ عدم سماع الدليل: أي لم يسمع الدليل في المسألة على الإطلاق، في حين أن الصحابي الآخر سمع دليلا فيها.
٣ـ الغلط في فهم النص ـ وقد عبر عنه ابن القيم بقوله الاختلاف في فهم النص ـ أي عدم فهم المراد بالنص من الأحكام.
٤ـ اعتقاد معارض راجح أي لم يأخذ صحابي ـ أو تابعي ـ بدليل أخذ به صحابي آخر لاعتقاده أن ما عنده هو الراجح انظر منهج أهل السنة (٧٩).

(٢) قال الإمام ابن تيمية في مقدمته لفهم أصول التفسير: (الخلاف بين السلف في التفسير قليل، وخلافهم في الأحكام أكثر من خلافهم في التفسير وغالب ما يصح عنهم من الخلاف يرجع إلى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد) مقدمة في أصول التفسير (٤٨).
ثم انظر إلى شرح تلك القاعدة وكيفية حدوثها ومصدر ذلك والأمثلة عليه من آثار الصحابة والتابعين.=

الفتح في الأصل لفظٌ يُعَبَّرُ به عن مدلول الحركة الحسية لإزالة الإغلاق كما تبين لنا من الدراسة التاريخية المقارنة، فإذا ما انتقلت هذه الحركة الحسية إلى صورة مجازية بإزالة الجهل مثل أصبحت دلالة الفتح تساوي دلالة (الإعلام) في هذه الحالة، ويصبح من معاني مادة الفتح: الإعلام ثم تتحرك تلك الدلالة في المجال الدلالي المناسب لها على ألسنة المفسرين فنجد من معاني كلمة الفتح:

الإعلام والإذكار والإخبار والتبيين وعندما ترتبط هذه الدلالات بتشريع من قبل الله - سبحانه وتعالى - أن أزال الجهل عن عباده في أمر من الأمور فيكون ذلك البيان والإعلام والإذكار والإخبار مَنًّا وفيضًا وكرمًا من الله - عَزَّ وَجَلَّ - على عباده وأخذت دلالة الفتح تلك الظلال الخاصة فأصبح من معاني مادة الفتح لدى المفسرين المَنُّ والإكرامُ والتوفيقُ الإلهي لفعل الخيرات، فنلحظ من ذلك أن كثيرًا من الدلالات هي من قبيل المترادفات على ألسنة المفسرين.

- المصادر التي قرئت في ضوء مفهوم المصاحبة:

١- الأشباه والنظائر في القرآن الكريم.

(لمقاتل بن سليمان البلخي توفي ١٥٠هـ).

٢- التصاريف:

(ليحيى بن سلام توفي ٢٠٠هـ).

٣- مجاز القرآن:

(لأبي عبيدة معمر بن المثنى توفي ٢١٠هـ).

٤- غريب القرآن وتفسيره (لأبي عبدالله بن يحيى بن المبارك اليزيدي توفي ٢٣٧هـ).

٥- تأويل مشكل القرآن.

(لابن قتيبة ٢١٣ - ٢٧٦هـ).

= المرجع السابق (٤٨ - ٦٧).

وقد ميز الدكتور عبدالله محمود شحاته بين سمات التفسير في عهد الصحابة وما بعده بقلة الاختلاف في فهم المعاني على عهد الصحابة وزيادة ذلك في عهد التابعين. انظر علوم التفسير (٣٠)

٦ـ تفسير غريب القرآن.

(لابن قتيبة أيضًا).

٧ـ المُنَجَّد في اللغة (لأبي الحسن الهنائي المعروف ـ كراع النمل ـ توفي ٣١٠هـ.

٨ـ معاني القرآن.

(لأبي إسحاق الزجاج توفي ٣١٣هـ).

٩ـ الأشباه والنظائر.

(لأبي منصور الثعالبي توفي ٤٢٩هـ).

١٠ـ العمدة في غريب القرآن.

(المنسوب لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي ٣٥٥ ـ ٤٣٧هـ).

١١ـ الوجوه والنظائر.

(للحسن بن محمد الدامغاني توفي ٤٧٨هـ).

١٢ـ نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر.

(لأبي الفرج بن الجوزي توفي ٥٩٧هـ).

١٣ـ تذكرة الأريب في تفسير الغريب.

(لابن الجوزي أيضًا).

١٤ـ تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب.

(لأبي حيان الأندلسي توفي ٧٤٥هـ).

١٥ـ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز.

(للفيروزآبادي توفي ٨١٧هـ).

١٦ـ كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر (لابن العماد توفي ٨٨٧هـ).

* * *

ـ المعاني التي ذكرتها المصادر المشار إليها وكيفية عرضها لدلالة الفتح في آيات القرآن الكريم:

الفتح بمعنى إزالة الإغلاق.

ذكر الزجاج في معاني القرآن[1] وسماها البلخي[2] «الفتح بعينه» وتابعه ابن العماد على هذه التسمية في كشف السرائر[3]، أما ابن قتيبة[4] فقال: «الفتح: أن تفتح المغلق»، وذكر الثعالبي[5]، وابن الجوزي[6] عبارة ابن قتيبة بصورة قريبة فقالا: «الفتح ضد الإغلاق» واستشهدوا على تلك الدلالة بقوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٣٩/ ٧١] بينما ذكر الزجاج هذه الدلالة في قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا﴾ [النبأ: ٧٨/ ١٩][7].

الفتح بمعنى الإرسال:

اتفقت كل ما يعرف بمؤلفات الأشباه والنظائر في الجدول السابق[8] على أن الفتح يأتي بمعنى الإرسال في قوله: ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَا﴾ [فاطر: ٣٥/ ٢].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء:٢١/ ٩٦].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا ذَا عَذَابٖ شَدِيدٍ إِذَا هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ﴾ [المؤمنون:٢٣/ ٧٧].

وانفرد أبو عبيدة مُعْمَرُ بنُ المثنى[9] بقوله الفتح: يعني الإنزال واستشهد بقوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ

---

(١) معاني القرآن (٥/ ١٩)

(٢) الأشباه والنظائر (٢٠٤، ٢٠٥)

(٣) كشف السرائر (٢٦٢)

(٤) تأويل مشكل القرآن (٤٩٢)

(٥) الأشباه والنظائر (٢١٦)

(٦) نزهة الأعين (٤٦١)

(٧) انظر الهامش رقم (١) السابق

(٨) انظر جدول المصادر وانظر الهوامش (٢، ٣، ٥، ٦)

(٩) مجاز القرآن (١/ ٢٢٢).

وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٧/ ٩٦].

الفتح بمعنى النصر:

اتفقت كل المصادر السابقة على أن الفتح يأتي بمعنى النصر وعبر عنه أبو عبيدة معمر بن المثنى بالنصر والمظاهرة(١) وعبر عنه ابن قتيبة بالنصر والظفر(٢) واتفقت معظم المصادر على أن تلك الدلالة هي المقصودة في قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾ [المائدة: ٥/ ٥٢] وقوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ [النساء: ٤/ ١٤١] وقوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: ٦١/ ١٣] وزاد صاحب المجاز آيتين في الاستشهاد وهما قوله ـ تَعَالَى ـ ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ﴾ [الأنفال: ٨/ ١٩] وقال المعنى إن تستنصروا فقد جاءكم النصر(٣) أما قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٤/ ١٥] فمجازه واستظهره(٤) وتابعته في هذه الإضافة كتب الغريب(٥).

الفتح بمعنى الحكم والقضاء:

اتفقت المصادر السابقة على ذكر هذه الدلالة وأسمتها كتب الأشباه والنظائر بدلالة «القضاء»(٦) ومؤلفات الغريب بمعنى «الحكم» واستشهدت معظم المصادر السابقة

---

(١) مجاز القرآن (١/ ١٦٩).

(٢) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (٥٨، ١٧٨، ٣٤٧، ٤١٢).

(٣) مجاز القرآن (١/ ٢٤٥) والآية من سورة [الأنفال: ٨/ ١٩].

(٤) مجاز القرآن (١/ ٣٣٧] والآية من سورة [إبراهيم: ١٤/ ١٥].

(٥) انظر في ذلك غريب القرآن وتفسيره لليزيدي (٧٥، ١٥٨) وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة (٥٨، ١٧٨، ٣٤٧، ٤١٢) والعمدة في غريب القرآن لأبي طالب القيسي (٨٠، ١٤٣) والمنجد في اللغة (٢٨٢). وتحفة الأريب بما في القرآن من الغريب لأبي حيان (٢٤٤). وتذكرة الأريب لابن الجوزي (١/ ٢، ٥٨، ١٤٢، ٢٧٨)، (٢/ ١٦٣).

(٦) اتفق كتاب العمدة في غريب القرآن المنسوب لأبي طالب القيسي مع كتب الأشباه والنظائر في عبارته عن الفتح «بالقضاء». انظر العمدة في غريب القرآن (١٣٦، ٢٤١) وكذلك تأويل مشكل القرآن (٤٩٢).

بأربع آيات[1] وهي: قوله ـ تَعَالَى ـ ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَـٰتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٧/ ٨٩] وقوله في سورة [سبأ: ٤٥/ ٢٦]: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ﴾ وقوله في سورة [السجدة: ٣٢/ ٢٨، ٢٩]: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَـٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾.

وزاد صاحب مجاز القرآن في الاستشهاد بآيتين[2] وهما قوله ـ تَعَالَى ـ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ٤٨/ ١] وقوله ـ تَعَالَى ـ ﴿فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾ [الشعراء:٢٦/ ١١٨]. وانفرد الثعالبي [3] بإضافة سورة النصر ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾.

* * *

(١) قد تذكر بعض المصادر، آيتين تمثل بهما ولكن الغالب أنها تذكر هذه الآيات.

(٢) انظر مجاز القرآن (١/ ٢٢٠)، (٢/ ٨٧، ١٣٣، ١٤٩).

(٣) الأشباه والنظائر (٢١٦).

جدول لاختبار ترادف المعنى أو تقاربه باستخدام مفهوم المصاحبة

أ. المصاحبة بحرف الجر (الباء):

المادة اللغوية	المفعول المتوافق	الجار والمجرور	عدد مرات توافق الوقوع	ملاحظات
١ـ (ر س ل)[1] أرسل/ مرسل	رسلنا ـ رسول رسول ـ موسى	بالبشرى ـ بالبينات ـ بالحق ـ بلسان قومه ـ بالهدى ـ بهدية	١٦	تقدم المفعول على الجار والمجرور في معظم الآيات (١١ آية تقريبا) وتقدم عليه الجار والمجرور في بقيةالآيات.
٢ـ (ن ز ل) ـ أنزل ـ نزل ـ منزل	سلطان ـ الكتاب ماء ـ الماء	بالحق ـ بالسحاب بعلم الله ـ بقدر	١٦	تقدم المفعول في ثمانية منها تقريبا فالنسبة شبه متساوية.
٣ـ (فتح) - فتحنا	أبواب السماء	بماءٍ منهر	١	تقدم المفعول في ثمانية منها تقريبا فالنسبة شبه متساوية.

ب. المصاحبة بحرف الجر (اللام)

١ـ (ر س ل) ـ أرسل ـ مرسل	رسولا ما يمسك الناقة	للناس له لهم	٣	تقدم المفعول على الجار والمجرور مرة واحدة.
٢ـ ن ز ل أنزل ـ نزل	رزقا ماء ثمانية أزواج	لكم	٥	تقدم المفعول على الجار والمجرور مرة واحدة
٣ـ (ف ت ح) فتح ـ يفتح تفتح ـ مفتحة	فتحا رحمة أبواب الجنة أبواب السماء	لك للناس لهم لهم	٤	تقدم الجار والمجرور فيها جميعا على المفعول.

(١) انظر مادة (رسل) و(نزل) و(فتح) بالمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم وقد اعتمدت عليه في الإحصاء.

ج- المصاحبة بحرف الجر (على)

المادة اللغوية	المفعول المتوافق	الجار والمجرور	عدد مرات توافق الوقوع	ملاحظات
١- رس ل - أرسل - يرسل يرسل + (صيغة المبني للمجهول)	حاصبا - حجارة - حسبانا - رجزا - ريحا - سيل العرم - شواظا من نار - الشياطين - صيحة - الطوفان - طيرًا أبابيل. - السماء مدرارا- (كاف الخطاب) (حفظة حفيظا - وكيلا)	- على الكافرين - عليه - عليها - عليكما - عليكم -	٢١	جاءت معظم الآيات في العقاب (١٧ آية) وفي الثواب (آيتان). - تقدم الجار والمجرور في معظم الآيات على المفعول (١٩ مرة) وتقدم المفعول مرتين.
٢- (ن ز ل) أنزل نزّل نزل منزل (صيغة المبني للمجهول)	- آيات - آية - آمنة الذكر - السكينة - سلطانا - سورة - الفرقان - القرآن الكتاب - لباسا - ماء - مائدة - الملائكة - ملكا - المن والسلوى. - رجزا - الشياطين	على إبراهيم - على رجل - على رسوله - على عبده - على محمد على بعض الأعجمين / على الذين آمنوا - على طائفتين - على الملكين عليكم - علينا - عليه - عليها - عليهم - على أهل هذه القرية - على الذين ظلموا - على كل أفاك.	٦٤	وردت قرابة الستين آية في الثواب والعطاء وأربع آيات فقط في العقاب. - تقدم الجار والمجرور في كل الآيات على المفعول.

المادة اللغوية	المفعول المتوافق	الجار والمجرور	عدد مرات توافق الوقوع	ملاحظات
٣- (ف ت ح) فتحنا	- أبواب كل شيء بركات من السماء بابا من السماء - بابا ذا عذاب شديد	عليهم - عليكم على الذين كفروا	٥	- جاءت متساوية في الثواب والعقاب. - تقدم الجار والمجرور في كل الآيات.

ويتضح لنا من خلال قراءة مؤلفات المشترك اللفظي وغريب القرآن الكريم في ضوء مفهوم المصاحبة عدة نتائج نجملها فيما يلي:

١ - أن مادة (رسل) عندما تصاحب حرف الجر (على) بمفعول مناسب فالغالب فيها أن تأتي في سياق عقاب وعذاب والقليل أن تأتي في سياق يدل على الخير والثواب بينما مادة (نزل) عكس ذلك تماما مع هذه المصاحبة(١).

٢ـ مادة (فتح) عندما تصاحب حرف الجر (على) بمفعول مناسب فالملاحظ فيها تساوي ورود دلالتها في سياق الثواب والعقاب(٢) ونستنتج من ذلك دقة تمثيل المصادر ـ المشار إليها ـ بآيات الفتح التي في مناسبة عقاب والقول بأن معناها (الإرسال)(٣) ودقة تمثيل أبي عبيدة في مجاز القرآن بالآية الدالة على الخير والثواب بأن معنى الفتح الإنزال(٤).

٣ـ ويتضح من اختبار المصاحبة ـ تطبيقا على توافق الوقوع في القرآن الكريم ـ للمواد الثلاث (رسل ـ فتح ـ نزل)(٥) أن الترادف التام بين هذه المواد يتحقق بشرطين(٦):

١ـ الاتفاق في مصاحبة حرف الجر.

٢ـ مناسبة المفعول على مستوى الاستخدام اللغوي.

(١) انظر جدول المصاحبة رقم (ج).

(٢) انظر جدول المصاحبة رقم (٣) (ج).

(٣) انظر ما نقلناه عن العلماء في كيفية معالجة المشترك اللفظي منذ قليل.

(٤) انظر مجاز القرآن (١/ ٢٢٢).

(٥) انظر جداول المصاحبة الثلاث (أ، ب، ج).

(٦) انظر الملاحظات المدونة بجداول المصاحبة.

- تعريف المعنى الأساسي للفتح في ضوء المعجم العربي وعلاقة التضاد:

عرفت المعجمات العربية مصدر (الفتح) بتعريف أولي يمثل وسيلة منطقية لتحديد المفهوم اللغوي المباشر لهذه المادة وينطلق هذا التعريف من خلال (اعتماد علاقة التضاد) والذي نعده المحدد الدلالي الرئيسي لهذه الوحدة الدلالية يقول ابن فارس - في مقاييس اللغة[١]: (الفاء والتاء والحاء أصل صحيح يدل على خلاف الإغلاق، يقال: فتحت الباب وغيره فتحًا ثم يحمل على هذا سائر ما في هذا البناء) ومن قبل ابن فارس كان أول من ذكر علاقة التضاد هو مؤلف العين[٢]، وقد ترددت هذه العلاقة الدلالية، علاقة التضاد، في المعاجم والمؤلفات اللغوية بعد الخليل فيذكرها ابن دريد في الجمهرة[٣]، وابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن[٤] والأزهري في تهذيب اللغة[٥] وابن سيده في المحكم والمخصص[٦] وابن منظور في اللسان[٧] والفيومي في المصباح المنير[٨] والفيروزآبادي في تاج العروس[٩].

وهذا الذي ذكرته لمعاجم العربية[١٠] وهو توضيح مادة الفتح عن طريق توضيح علاقة التضاد، هو ما ذكرته كتب الأشباه والنظائر تحت اسم (ضد الإغلاق) أو أطلقت عليه بعضها اسم (الفتح بعينه)[١١] وهم يقصدون بذلك مجرد عملية الفتح أو الحركة الحسية لإزالة الإغلاق، وهو ما ذكر عند الشعراء في هذا المفهوم الأولي في العصر الجاهلي حيث كانوا يذكرون المادة ونقيضها لزيادة تأكيد هذا المفهوم أو تمييزه عن غيره من

---

(١) مقاييس اللغة (٤/ ٤٦٩). وانظر المجمل كذلك (٣/ ٧١٠).

(٢) معجم العين كتاب الحاء (٣/ ١٩٤).

(٣) جمهرة اللغة (١/ ٣٨٦).

(٤) تأويل مشكل القرآن (٤٩٢).

(٥) تهذيب اللغة (٤/ ٤٤٥).

(٦) المحكم (٣/ ٢٠٥)، والمخصص (٥/ ١٣٢)، وانظر القاموس المحيط (١/ ٢٣٩).

(٧) لسان العرب (٥/ ٣٣٣٧).

(٨) المصباح المنير (٢/ ٧٠٧).

(٩) تاج العروس (٢/ ١٩٤، ١٩٥).

(١٠) انظر الجدول الخاص بالمعاجم العربية في توضيح علاقة التضاد مرتب ترتيبًا تاريخيا.

(١١) انظر الصفحات السابقة.

مفهومات هذه المادة وهذا ما عالجناه في الجزء الخاص بذلك من المبحث التاريخي[١]، وقد جمع أبو حيان الأندلسي بين طرفي هذا التعريف فقال في البحر: (وأصل الفتح خرق الشيء والسد ضده)[٢] وقد صاحبت هذه العلاقة، علاقة التضاد مادة الفتح في النصوص العبرية القديمة، فنجد مادة פָּתַח في العبرية تقترن في نصوص كثيرة بمادة[٣] סָגַר.

ويجب التمييز بين مصطلحين ـ يستخدمان في إطار علم اللغة الحديث ـ ويوقعان في اللبس[٤] **الأول وهو مصطلح (الأضداد)** وهو مصطلح أطلقه علماء العربية القدامى على الكلمة الواحدة ذات المعنيين المتضادين أو المتناقضين ولذلك عدوا الأضداد نوعا من المشترك اللفظي[٥] ووضعت أكثر المؤلفات تحت هذه التسمية[٦] **والثاني: مصطلح**

---

(١) انظر مادة الفتح في الأدب الجاهلي بالمبحث التاريخي، الوحدة الأولى.

(٢) البحر المحيط (١/ ٢٦٩).

(٣) انظر دراسة مادة فتح وسكر وسجر دراسة مقارنة في الساميات والملحق الخاص بذلك رقم (٣).

(٤) يستخدم العلماء المحدثون هذين المصطلحين بما يوقع في اللبس أحيانا فربما استخدموا التضاد وقصدوا به (مفهوم الأضداد العربي) وربما حدث العكس، فنجد مثلا الدكتور يوسف غازي. (المدخل إلى الألسنية ٢٠١) ـ يتحدث عن ثلاث نماذج ضمن مفهوم الأضداد.
الأول، العبارات التي تقبل التدرج، وبالتالي جميع علامات المقارنة، وأفعل التفضيل.
الثاني: عبارات التكامل الذي يميز الوحدات المتقابلة فيما بينها ولا يقبل هذا التدريج.
الثالث: علاقة التبادل التي تفترض علاقات عكسية أو فكرة المقايضة الآنية.
(المرجع السابق (٢٠١) وما بعدها بتصرف).
والواضح أنه يتحدث عن مفهوم التضاد الذي يشغل علماء اللغة المحدثين وليس عن مصطلح الأضداد العربي الذي هو جزء من المشترك اللفظي

(٥) قال الأصوليون: «الاشتراك يقع بين الضدين، ولكن مفهوم التسمية يقتضي التوحد أما التضاد فإنه يقتضي التباين، وفي هذا منافاة فلا يقع الاشتراك وقد أجيب عن ذلك بأن التوحد إنما هو من جهة اللفظ، أما التباين فهو من جهة المعنى، إذ المشترك هو لفظ واحد تتكالب عليه معان عدة ذات دلالات مختلفة».
ويقول الدكتور حسن ظاظا، إذا وصل التباين بين معنيين إلى درجة التناقض والتعاكس في لفظ واحد اعتبر هذا اللفظ من الأضداد. انظر في علاقة الأضداد بالمشترك اللفظي التصور اللغوي عند الأصوليين (١٠٢).

(٦) انظر العرض التاريخي الشامل لمؤلفات الأضداد وتتبع نسبتها لأصحابها: فصول في فقه العربية (٢٣٨ ـ ٢٤٥) وانظر تعليقات أستاذنا الدكتور رمضان عبدالتواب (رحمه الله) بالهوامش ثم انظر في تفسير تلك الظاهرة وآراء علماء العربية فيها وكذلك آراء المستشرقين. المرجع السابق (٣٣٦ـ ٣٥٧).

(التضاد) وقد أطلقه علماء اللغة المحدثون على لفظين مختلفين نطقا ومتضادين في المعنى[1] وقد أشار إليه علماء العربية واستخدموه كوسيلة من وسائل إيضاح المعنى في المؤلفات اللغوية والمعاجم[2] وفي بيان الرصف البديعي في المؤلفات البلاغية[3]، ولكنهم لم يفردوا له مؤلفات خاصة كما فعلوا مع مصطلح الأضداد[4].

---

(١) وهو المفهوم الذي نستخدمه في هذا السياق من خلال الوحدة الدلالية التي نحن بصددها وانظر الهامش رقم (٤) السابق ص (١٢٧).

(٢) لقد كان الفرق واضحًا لدى علماء العربية القدامى بين مفهومي الأضداد والتضاد ولو أخذنا مثالًا واحدًا على ذلك من كتاب غريب القرآن للسجستاني لوجدناه يستخدم التضاد في التعريف كما استخدمته المعاجم العربية يقول في تعريف (السكينة) أنها تعني السكون الذي هو الوقار لا الذي هو ضد الحركة و(السر) ضد العلانية و(الضر) ضد النفع و(ننشرها) من النشر ضد الطيّ (غريب القرآن ١٠٨، ١٠٩، ١٣٢، ٢٠٥) على الترتيب) بينما يقول في شرح دلالة كلمات مثل (أسر) و(عسعس) و(الغابرين) و(المقوين) و(لزاما) و(وراء) و(هاج) أنها من الأضداد (غريب القرآن ١٩، ١٤٤، ١٤٨، ١٩٥، ١٧٢، ٢٠٩، ٢٢٧ على الترتيب).

(٣) استخدم التضاد كعنصر من عناصر المقابلة البيانية في علم البديع يقول أبو هلال العسكري (الصناعتين ٣٤٦): «والمقابلة بإيراد الكلام ثم مقابلته بمثله في المعنى أو في اللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة» والمقابلة بالمخالفة من عناصرها التضاد (المرجع السابق ٣٤٦، ٣٤٧) واستخدم التضاد كملمح أساس في تعريف ضرب آخر من ضروب البديع يعرف بالمطابقة يقول أبو هلال العسكري (المرجع السابق ٣٢٤): «وقد أجمع الناس على أن المطابقة في الكلام هي الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة أو من بيوت القصيدة، مثل الجمع بين السواد والبياض والليل والنهار، والحر والبرد» وانظر في مفهوم تقارب التضاد في المطابقة (المرجع السابق ١١٥) واستخدم التضاد كعنصر من عناصر عكس المعنى فيما يسمى بالعكس أو التبديل في علم البديع (المرجع السابق ٣٨٥، ٣٨٦).

(٤) عقدت كتب الأدب واللغة فصولًا خاصة قصرتها على توضيح علاقة التضاد كما فعل صاحب الألفاظ الكتابية (انظر هامش علم الدلالة ١٩١)، واعتمد الثعالبي اعتمادًا كبيرًا على علاقة التضاد في تقسيم أبواب كتابه.

فقه اللغة وعقد بابا يشمل (٣٨) فصلا تحت عنوان (في سائر الأحوال والأوصاف المتضادة) انظر فقه اللغة للثعالبي. الباب العاشر ٤٠ ـ ٥٦ ط. دار الكتب العلمية بيروت. وانظر تعليقات الدكتور محمد حسن عبدالعزيز في هذا الشأن المصاحبة في التعبير اللغوي (٨١).

والتضاد نوع من العلاقة بين المعاني، بل ربما كانت أقرب إلى الذهن من أية علاقة أخرى[١] ويقول عنه «بالمر»: (إنه ـ أي التضاد ملمح ـ مطرد وطبيعي للغاية للغة، ويمكن تحديده بدقة.. وهو يستخدم في الدلالة على عكس المعنى فالكلمات المقابلة[٢] (Opposite) هي من هذا القبيل من العلاقة الدلالية (Antonyns) وإذا كانت علاقة التضاد هي من قبيل العلاقات الدلالية المطردة ومن أوضح العلاقات المعجمية والدلالية، فإن توظيفها في تحقيق أغراض البحث الدلالي[٣]ـ أمر على درجة طيبة من المشروعية اللغوية وبالتالي فإنه يمكننا أن نعتمد علاقة التضاد، على أنها أساسٌ من وسائلِ تحديد المعنى[٤] وتوضيحه[٥] أو ما أطلق عليه «بالمر» إزالة الغموض الدلالي في تعريف علم الدلالة بل إن هذه العلاقة تستخدم كوسيلةٍ من وسائل قياس المعنى[٦] وقد عرف (Nida) نيدا هذا النوع من المعنى بأنه المعنى المتصلُ بالوحدة ـ المعجمية ـ حين تردُ مُنفردة[٧] وقد اعتمد المعجم العربي ـ كما أشرنا إلى ذلك منذ قليل ـ هذه العلاقة في التعريف ليس ذلك وحسب، بل إن بعض المعاجم قد رتب مادته المعجمية جميعها معتمدًا على هذه العلاقة بشكل مباشر في هذا الترتيب، نجد ذلك عند الراغب الأصفهاني[٨] في المفردات ويمكن توضيحه على النحو التالي:

(١) انظر فصول في فقه العربية: (٣٣٦).

(٢) علم الدلالة إطار جديد ترجمة د. صبري إبراهيم (١٢٢).

(٣) انظر المقدمة الخاصة بعلم الدلالة في المبحث الدلالي.

(٤) علم الدلالة (٤٢) وانظر دور الكلمة في اللغة (٢٤٤).

(٥) البحث اللغوي عند العرب (٢٦٩، ١٧٠).

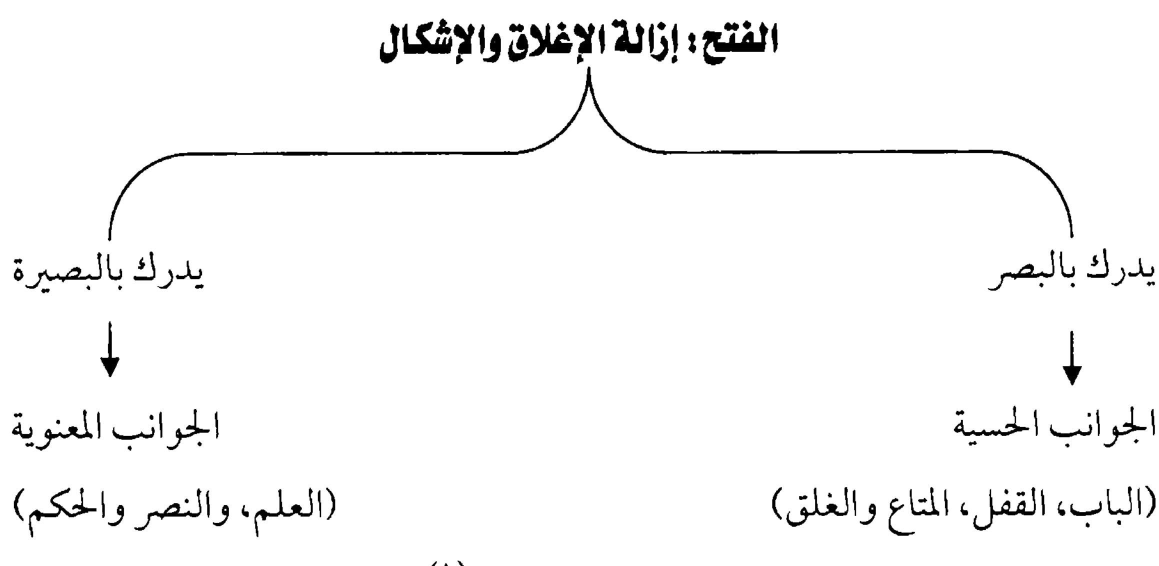
(٦) سيكولوجية اللغة (١٣٥) وما بعدها.

(٧) علم الدلالة (٣٦) وسيكولوجية اللغة (١٢٧).

وقد نص اللغوي الكبير دوسوسير على هذا المضمون فيما عبر عنه بمفهوم القيمة (valeur) الذي يفترض أن الوحدات اللغوية تعرف في علاقتها التعارضية.

انظر في مفهوم القيمة وتعليق رولاند بارت على هذا المفهوم سميائية النص الأدبي (١٠، ١١).

(٨) انظر: المفردات في غريب القرآن (٣٧٠، ٣٧١).



(ثم ذكر المعاني التي لم يجد لها مدخلا في الترتيب)[1].

وعلى هدى الراغب سار الفيروزآبادي في بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز[2] وإن كنا نقدر الجهد العظيم الذي بذله العالمان الجليلان ـ رحمهما الله ـ في اعتماد هذه الطريقة العلمية اللغوية إلا أننا لا نأخذ بها وسيلة وحيدة في الشرح الدلالي لمادة الفتح ـ ولكنها محدد دلالي مهم لنوع واحد من أنواع المعنى وهو الذي جعلناه عنوانا لهذه الوحدة المعجمية (الفتح عندما يكون بمعنى إزالة الإغلاق).

وإذا كنا قد عرفنا الوحدة الدلالية فيما مضى بأنها أي امتداد من الكلام يعكس تباينا دلاليًا، ويكون التركيز فيه على معنى الصيغة المعجمية[3]، وأوضحنا ـ منذ قليل ـ المحدد الدلالي الذي بمقتضاه وعلى أسسه نجمع الأنماط الدلالية لتلك الوحدة ـ فإن آيات الفتح التي سنضعها في إطار ومظلة هذه الوحدة المعجمية تتضح فيها تلك العلاقة علاقات التضاد وترتبط مادة الفتح فيها بوجود المقابلة (Opposite).

* * *

---

(١) انظر المرجع السابق نفسه.

(٢) حاول الفيروزآبادي إيجاد أسباب ترجع المعاني الفرعية إلى معنى أصلي مثلما فعل الراغب انظر بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٤/ ١٦١ـ ١٦٥) وانظر كذلك ما يعرف بالموسوعة العربية للألفاظ وقد اعتمدت طريقة الراغب الأصفهاني. انظر ذلك (٦/ ٢٧٧).

(٣) انظر مفهوم الوحدة الدلالية بالمبحث التاريخي والمبحث الدلالي.

د. المعاجم وعلاقة التضاد:

م	المعجم	فترة ظهوره	بيان علاقة التضاد في تعريف الوحدة الدلالية الأولى
١	معجم العين للخليل بن أحمد	القرن الثاني الهجري	(الفتح نقيض الإغلاق) وهي أول عبارة في مادة الفتح يذكرها المعجم.
٢	جمهرة اللغة	القرن الثالث الهجري	(والفتح ضد الإغلاق) ثم سرد بقية المعاني وربطها بهذا التعريف عندما قال: وكل شيء انكشف عن شيء فقد انفتح عنه.
٣	تهذيب اللغة للأزهري	القرن الرابع الهجري	الفتح نقيض الإغلاق.
٤	مقاييس اللغة لابن فارس	القرن الرابع الهجري	الفتح يدل على خلاف الإغلاق ثم يحمل على هذا سائر ما في هذا البناء.
٥	المحكم لابن سيدة	القرن الخامس الهجري	الفتح نقيض الإغلاق
٦	لسان العرب لابن منظور	القرن السابع الهجري	الفتح نقيض الإغلاق ثم يورد المعاني دون أن يرتب المادة اللغوية عليها.
٧	المصباح المنير للفيومي	القرن الثامن الهجري	فتحت الباب فتحا خلاف أغلقته.
٨	تاج العروس للزبيدي	القرن الثاني عشر الهجري	(فتح ضد أغلق) وقد اعتمد الزبيدي هذا المعنى الأولى حقيقة في الفتح ثم قام بتوزيع المعاني الأخرى على أنها انتقلت من الحقيقة إلى المجاز وينبه على ذلك بقوله ومن المجاز كيت وكيت.

الفصل الثاني

الوحدات الدلالية المختلفة لآيات الفتح في القرآن الكريم

- الفتح عندما يكون بمعنى إزالة الإغلاق في ضوء مفهوم المصاحبة والمجاز.
- الفتح عندما يكون بمعنى النصر في القرآن الكريم.
- الفتح عندما يكون بمعنى الحكم في القرآن الكريم.

الوحدة الدلالية الأولى في القرآن الكريم:

(الفتح عندما يكون بمعنى إزالة الإغلاق)

نلحظ على هذه الوحدة عدة مميزات لفظية ودلالية نجملها في النقاط الآتية:

١ـ اتفقت معظم آيات هذه الوَحْدة في تاريخ النزول، حيث نجد خمس عشرة آية مكية، وآية واحدة مدنية.

٢ـ ارتبطت مادة الفتح في الأغلب بحرف الجر «على» وفي الأقل بحرف الجر «على» وفي الأقل بحرف الجر «اللام» وفي النادر بحرف الجر «الباء».

٣ـ في كثير من الآيات تتضح علاقة التضاد بين مادة الفتح ومادة أخرى ترتبط بها في السياق.

٤ـ أهم المصاحبات اللفظية للفتح في هذه الوحدة، هي لفظة (باب) ووردت ألفاظ أخرى مثل الكنز والمتاع وهي من المصاحبات القديمة في اللغة العربية والعبرية.

أولا: المصاحبة لأداء معنى إزالة الإغلاق:

١. فتح + سد (ردم)[1]

. من أشراط الساعة:

قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ۝٩٦﴾

---

(١) السد والردم يدلان على الإغلاق. انظر اللسان مادة سدد (٣/ ١٩٦٨ ـ ١٩٧٠) ومادة ردم (٣/ ١٦٢٧).

﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢١/ ٩٦، ٩٧].

صرحت آيات القرآن الكريم في سورة أخرى بأن فتح سد يأجوج ومأجوج الذي أقامه ذو القرنين من علامات الساعة، وقد نصت تلك الآيات على وجود السد أو الردم(١). وبين عدد من المفسرين ملامح المجاز والكناية في الآية الكريمة حيث يقع الفتح على يأجوج ومأجوج وهما مما لا يقع عليه الفتح وإنما الفتح يقع على سدهما والآية كناية عن قرب يوم القيامة. يقول الزمخشري(٢): «حذف المضاف إلى يأجوج ومأجوج وهو سدهما كما حذف المضاف إلى القرية وهو أهلها وقيل فتحت كما قيل أهلكناها» وقال الماوردي(٣): «فتحت يأجوج ومأجوج أي فتح السد وهو من أشراط الساعة».

وقال الرازي في مفاتيح الغيب(٤) والنيسابوري في غرائب القرآن(٥) بمثل ذلك، وجاء في الحديث(٦) ما يفيد أن فتح السد كناية عن كثرة الفساد الذي هو من أشراط الساعة.

٢. مفتاح + كنز(٧).

---

(١) قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ٩٤ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا﴾ [الكهف: ١٨/ ٩٢، ٩٣].

(٢) انظر الكشاف (٣/ ٢١).

(٣) انظر تفسير الماوردي (النكت والعيون) (٣/ ٤٧٠).

(٤) مفاتيح الغيب (١١/ ٢٠٣، ٢٠٤).

(٥) غرائب القرآن (١٧/ ٦٥).

(٦) أخرج الإمام البخاري في الصحيح أن رسول الله ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ دخل يوما فزعا يقول لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فُتِحَ اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بإصبعيه. قالت زينب رواية الحديث: فقلت: يا رسول الله أفنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم، إذا كثر الخبث. انظر فتح الباري (١٣/ ١١٧) ويتضح من الحديث الشريف استخدام الدلالة المجازية في فتح سد يأجوج ومأجوج كناية عن انتشار الفساد.

(٧) عبرت اللغة العبرية عن مصاحبة مماثلة، ولكنها اختارت لفظة الأصر.

وقد دلت هذه المادة على معان مشابهة لمعاني مادة كنز في العربية فمن معاني الأصر الثقل والشد والحبس والجمع. انظر مادة أصر في اللسان (١/ ٨٧)، ولذلك كانت ترجمتها إلى كنز عندما تصاحب مادة فتح في الترجمة العربية للتوراة ترجمة موفقة (يفتح لك الرب كنزه).

انظر الترجمة العربية سفر التثنية (٢٨/ ١٢) ص (٣٢٣) والنص العبري الذي وردت فيه:

יִפְתַּח יְהוָה לְךָ אֶת אוֹצָרוֹ

=

قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾ [القصص: ٢٨/ ٧٦].

نقل بعض المفسرين أن دلالة المفاتح حقيقية وساقوا روايات لم تثبت صحتها[١]، ورأى بعضهم أن دلالة المفتاح في الآية الكريمة دلالة مجازية ولكنهم اختلفوا في طريقة النقل المجازي فقال فريق: أن تحمل المفاتح على نفس المال[٢].

وقال فريق آخر: المراد من المفاتح العلم والإحاطة، والمراد آتيناه من الكنوز ما إن حفظها والاطلاع عليها ليثقل على العصبة أولي القوة والهداية[٣].

وأرى وجود الدلالة المجازية في الآية لسببين:

الأولى: ضعف الروايات المنقولة لحملها على الحقيقة سندًا ومتنًا.

الثاني: أن المفاتح لا تعني في هذه الآية الخزائن كما قال بعض المفسرين[٤] وذلك من وجهة نظري لقرينتين في الآية وهما:

١ـ ضمير الإضافة العائد على الكنوز، والكنوز في معنى الخزائن[٥] ولا بد من اختلاف المضاف عن المضاف إليه في المعنى حتى يصلح التركيب الإضافي.

٢ـ عبارة (لتنوء بالعصبة أولي القوة) فالذي يحمل فيثقل حمله هو المفاتح لا الخزائن، فلو أراد الخزائن لما تمت المبالغة المطلوبة إذ يتصور حمل المفاتح ولا يتصور حمل الخزائن.

= انظر كذلك: yeftaḥ ădōnāy lhā eṯ ōrsrō̤ye
سفر التثنية (٢٨/ ١٢) (A.jeffery, Foreign vocablary.,251).

(١) وردت نقول نسبت لمجاهد والضحاك وخيثمة ونسبها بعضهم إلى الإنجيل وهي من وضع القصاص. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٣١٣). وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٣٩٩).

(٢) نسبه فخر الدين الرازي إلى ابن عباس والحسن ورجحه بقوله «وهذا أبين وعن الشبهة أبعد). انظر مفاتيح الغيب (١٢/ ٣١٧).

(٣) انظر المرجع السابق (١٢/ ٣١٧، ٣١٨).

(٤) روي هذا القول في كثير من كتب التفسير. انظر المرجع السابق (١٢/ ٣١٧) والجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٣١٢).

(٥) مادة (كنز) تدل على الأشياء المجموعة من أي شيء ثم تخصصت دلالتها بالمال المجموع المدفون وهي دلالة تشترك فيها مع الخزائن. انظر مادة كنز في اللسان (٥/ ٣٩٣٧) ومقاييس اللغة (٥/ ١٤١).

ومن خلال ما تقدم نلحظ ملامح المجاز على النحو التالي:

ظاهر الكنز في اللغة يعني المال المجموع المدخر في الأرض وقد يقع على المال المجموع في المواضع التي عليها إغلاق، كما قال فخر الدين الرازي[1].

أي أن دلالة الكنز انتقلت إلى معنى الخزائن، واستعيرت المفاتح التي هي من لوازم الخزائن والأبواب للكنوز على أساس علاقة المشابهة للدلالة على آلة تفتح الأبواب المغلقة أو تُزِيل الإغلاق.

٣. فتح + متاع[2].

قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَـٰعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَـٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَـٰذِهِۦ بِضَـٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ [يوسف: ١٢/ ٦٥].

قال فخر الدين الرازي في مفاتيح الغيب[3]: (اعلم أن المتاع ما يصلح لأن يستمتع به، وهو عام في كل شيء، ويجوز أن يراد به الطعام الذي حملوه ويجوز أن يراد به أوعية الطعام).

وجاء في اللسان[4] لابن منظور وغرائب القرآن[5] للنيسابوري، أن من معاني مادة (م ت ع) الشد والربط.

ويفهم من قول ابن عطية[6]: «سمي المربوط بجملته متاعا فلذلك حسن الفتح فيه» ـ أن كلمة متاع أطلقت على الأشياء المربوطة تشبيها لها بالأشياء المغلقة لذا أرى أنه نشأت

---

(١) انظر قول الرازي في مفاتيح الغيب (١٢/ ٣١٧).

(٢) يبدو من دراسة مادة (ف ت ح) في العبرية أن مصاحبة الفتح للمتاع من المصاحبات القديمة جدا في اللغتين، وربما ترجع تلك المصاحبة إلى ذلك الطور الذي كانت فيه اللغتان في رحم واحد.
انظر مادة אַמְתַּחְתּוֹ = Amtah tō (بمعنى متاعه في المبحث التاريخي ومصاحبتها للفتح في سفر التكوين (٤١/ ٥٦، ٤٢/ ٢٧، ٤٣/ ٢١، ٤٤/ ١١ وانظر الملحق رقم (٤). ولا تختلف المادة في اللغتين سوى في الحرف الحلقي الذي ينطق مجهورا في العربية (ع) ومهموسا في العبرية (ح).

(٣) مفاتيح الغيب (٩/ ٩٨).

(٤) اللسان (٦/ ٤١٢٧).

(٥) غرائب القرآن (١٣/ ٢٣).

(٦) المحرر الوجيز (٩/ ٣٣٣).

استعارة في كلمة متاع لتدل على الإغلاق حتى تناسب الفتح الذي هو بمعنى الإزالة.

٤. فتح + باب.

لاحظنا من خلال دراسة مادة (ف ت ح) في النقوش[١] أن من المعاني القديمة في المادة دلالتها على فتحة الخيمة أو مدخل البيت פְּתַח הָאֹהֶל Peṭaḥhā ohel وعلاقة المصاحبة بين كلمة باب والبيت والخيمة من أقدم المصاحبات اللفظية وقد تصاحبت مادة الفتح مع لفظة باب في الشعر الجاهلي وأدت معاني على سبيل الكناية والمجاز[٢]، وقد استخدم القرآن الكريم هذه المصاحبة ووسع من استخدامه لها في أغراض دلالية متعددة بما يتلاءم مع المفاهيم الإسلامية على النحو التالي:

فتح + باب من السماء وقد ورد في ذلك عدة آيات:

الآية الأولى:

قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ [الحجر: ١٥/ ١٤، ١٥][٣] وتستنتج علاقةُ التضاد في الآية الكريمة من المقابلة بين فعل الشرط (فتحنا عليهم بابا) وجواب الكافرين على هذا الشرط بقولهم: (إنما سكرت أبصارنا)[٤]، وقد تتبعت دلالة مادة (سكر) في العبرية والعربية وبعض اللغات السامية الأخرى ووجدتُ أنها في الأصل تدل على الإغلاق[٥] وأن من مميزات مادة (فتح) عندما تأتي بمعنى إزالة الإغلاق هو مصاحبتها لمادة (سكر)، كما يتضح من النصوص العبرية[٦] والعربية الملحقة بهذا البحث، ويمكن صياغة العلاقة بينهما على النحو الآتي:

---

(١) انظر الفصل الخاص بدراسة النقوش السامية وسفر الخروج (٣٩/ ٣٨).

(٢) انظر الوحدة الدلالية الأولى في الشعر الجاهلي.

(٣) (A.Jeffery, Foreign vocabulary 74).

(٤) قال الزركشي: «عد النحويون» لو «من حروف الشرط وانتفاء الشرط يوجب انتفاء المشروط، وقد يكون الشرط مساويا للمشروط بحيث يلزم من وجوده وجود المشروط ومن عدمه عدمه».

(٥) انظر الملحق الخاص بدراسة مادة (سكر) و(فتح) في اللغات السامية ملحق رقم (٣).

(٦) انظر الملحق الخاص بذلك رقم (٣).

- سياق الحال وملامح الكناية وا لمجاز:

تتحدث الآية عن تكذيب المشركين للمعجزات قبل حدوثها وبعد حدوثها فلو قدر الله - عَزَّ وَجَلَّ - فتح باب من السماء فظلوا فيه يتصاعدون وعاينوا تلك المعجزة بأبدانهم أو بأبصارهم لسولت لهم أنفسهم ردا يكذبون به ما يشاهدون(١)، وعبر عن قدرة الله على ذلك الموقف الخارق (بالفتح) وعبر عن رد الكافرين (بالتسكير والإغلاق) على سبيل الكناية.

الآية الثانية:

قال - تَعَالَى -: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾ [القمر: ٥٤/ ١١].

لاحظ الشريف الرضي الدلالة المجازية في الآية الكريمة ووضح ذلك بمفهوم إزالة الإغلاق حيث يقول:(٢) «وهذه استعارة والمراد - والله أعلم - بتفتيح أبواب السماء تسهيل سبل الأمطار حتى لا يحبسها حابس ولا يلفتها لافت، ومفهوم ذلك إزالة العوائق عن مجاري الغيوث من السماء حتى تصير بمنزلة حبيس فُتِحَ عنه باب أو معقول أُطْلِقَ عنه عقال».

وذهب ابن عطية إلى ذلك المعنى ونسب الدلالة المجازية إلى جمهور المفسرين والدلالة الحقيقية إلى من سماهم بأهل التأويل(٣): حيث يقول(٤) «وقال قوم من أهل

---

(١) قال الزمخشري: ذكر الظلول - يعني أنه قال فظلوا ولم يقل فباتوا - ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون، وقال: (إنما سكرت) ليدل على أنهم يبيتون القول: بأن ذلك ليس إلا تسكيرا للأبصار. انظر غرائب القرآن (١٤/ ١١)، وإعراب القرآن لأبي جعفر (٢/ ٣٧٨).

(٢) تلخيص البيان في مجازات القرآن (٢٩٩).

(٣) أغلب المفسرين الذين طالعت لهم في التفسير يفسرونها على الحقيقة وهناك فريق آخر يذكر اللفظ مرة أخرى ولا يتعرض لتفسيره.

(٤) المحرر الوجيز (١٥/ ٢٩٨).

التأويل: الأبواب حقيقية؛ فتحت في السماء، أبواب جرى منها الماء، وقال جمهور المفسرين: بل هو مجاز وتشبيه لأن المطر كثر كأنه من أبواب، وقال النيسابوري[1] في هذه القضية: وأبواب السماء وفتحها حقيقة عند من يُجوِّز لها أبوابا وفيها مياها وعند أهل البحث والتدقيق هو مجاز عن كثرة انصباب الماء من ذلك الصوب، كما يقال في المطر الوابل جرت ميازب السماء وَفُتِحَتْ أفواه القرب، والباء للآلة نحو فتحت بالمفتاح[2] ويجوز أن يراد فتحنا أبواب السماء مقرونة بماء منهمر».

الآية الثالثة:

قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا﴾ [النبأ: ٧٨/ ١٩].

وصفة الإغلاق في السماء تستنتج من الوصف الذي وصفت به في القرآن الكريم من حسن الاستواء وشدة البناء وإحكام الإغلاق[3] فما ترى فيها من فطور[4] وما لها من فروج[5] فهي كسقف مرفوع وبناء محفوظ[6]، وأما الإزالة الكاملة لهذا الإغلاق والإحكام والتي عبر عنها بالفتح ـ فتكون من مظاهر يوم القيامة.

---

(١) انظر غرائب القرآن (٢٧/ ٥١).

(٢) إذا اعتمدنا قول النيسابوري هذا فإن الانتقال المجازي حدث على مستويين:
الأول: أنه جعل للسماء أبوابا على سبيل الكناية والمجاز.
الثاني: أنه جعل لتلك الأبواب مفاتح هي المياه على سبيل المجاز كذلك.

(٣) انظر تفسير قوله ـ تَعَالَى ـ ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ ﴾ [الذاريات: ٧]:
الجامع لأحكام القرآن (١٧/ ٣١، ٣٢) وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ٢٣٢).
وانظر مادة حبك في اللسان (٢/ ٧٥٨).

(٤) انظر مادة فطر في اللسان (٥/ ٣٤٣٢) وتفسير قوله ـ تَعَالَى ـ ﴿فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ﴾ [الملك: ٣] في الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٢٠٩) وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ٣٩٦).

(٥) ليس لها فتوق ولا شوق ولا صدوع ولا اختلاف.
انظر تفسير قوله ـ تَعَالَى ـ ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ﴾ [سورة ق: ٦] في لجامع لأحكام القرآن (١٧/ ٦) وتفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٢٢).

(٦) قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ﴾ [الأنبياء: ٢٢] وفي سورة الطور: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ ﴾ [البقرة: من الآية ٢٢]، وانظر في تفسير الآيات الجامع لأحكام القرآن (١٧/ ٦١). وفتح الباري (٦/ ٣٣٧).

الملامح الكنائية والمجازية في الآية:

نجد المفسرين إزاء معنى الفتح في هذه الآية فريقين:

الأول:[1] تجنب التفسير المباشر للفظة وفسرها عن طريق الترادف في القرآن الكريم فقال: ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبًا﴾ مثل قوله ـ تَعَالَى ـ ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ﴾ و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾ معناه واحد وهو تفسر القرآن بالقرآن.

الثاني:[2] فسر الفتح بما يحدث للسماء يوم القيامة في تصيير السماء كالأبواب فهو كناية عن الهول البادي في انقلاب الكون يوم القيامة على سبيل التشبيه والمبالغة والمجاز، وأن أداة التشبيه قد حذفت، ومعنى الكلام: وفتحت السماء فكانت قطعا كالأبواب: وكأنها لكثرة أبوابها المفتوحة صارت بكليتها أبوابا كقوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونًا﴾ [القمر: من الآية ١٢].

الآية الرابعة:

قال ـ تَعَالَى ـ:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [الأعراف:٧/ ٤٠].

اتفق المفسرون على وجود التعبير الكنائي في هذه الآية، ولكنهم اختلفوا في غرضه الدلالي فقال بعضهم إنها تعبير عن عدم قبول أعمالهم[3] أو دعائهم أو أرواحهم[4] وقال

---

(١) من هذا الفريق الفراء [انظر معاني القرآن (٣/ ٢٢٧)]، والزجاج [انظر معاني القرآن (٥/ ٢٧٣)]، وابن كثير [انظر تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢١٣)]، وابن الجوزي [انظر زاد المسير (٩/ ٢٧)]، والعبارة التي ذكرناها من عبارة الفراء

(٢) أشارت إلى تلك الملامح الكنائية والمجازية عدة تفاسير منها:
- تفسير الطبري (٣٠/ ٧).
- إعراب القرآن لابن جعفر النحاس (٥/ ١٢٨).
- غرائب القرآن (٣٠/ ٨٠).
- المحرر الوجيز (١٦/ ٢١٠).
- في ظلال القرآن (٦/ ٣٨٠٧).

(٣) قال الفراء: «ومعناه لا تصعد أعمالهم». انظر معاني القرآن للفراء (١/ ٣٧٨) وتفسير غريب القرآن (٨٥/ ١٦٧).

(٤) ذكر المفسرون الأغراض الدلالية وأسندوها إلى القائلين بها. انظر في ذلك: تفسير الماوردي =

فريق آخر: إن السماء التي لا تفتح أبوابها للكافرين تعبير عن الجنة وهي استعارة فالمراد لا يصيرون إلى الجنة ولا يتيسر لهم السبيل إليها ولا يستحقون بأعمالهم دخولها(١).

ونقل الزمخشري ذلك من الرضى حيث قال «وقيل إن الجنة في السماء، فالمعنى لا يؤذن لهم في صعود السماء ولا يطرق لهم إليها ليدخلوا الجنة»(٢) والمجاز بناء على تلك الأقوال علاقته حالية حيث أطلق الحال وأراد المحل فحال الجنة العلو والشرف ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين: ٨٣/ ١٨]. وقال ابن عطية «الآية عامة في نفي ما يوجب للمؤمنين بالله ـ تَعَالَى ـ عن الكافرين المستكبرين»(٣).

الآية الخامسة:

قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ [سورة ص: ٣٨/ ٤٩، ٥٠].

قال الفراء: «ترفع الأبواب؛ لأن المعنى: مفتحة لهم أبوابها والعرب تجعل الألف واللام خلفا من الإضافة»(٤).

وفي الآية كناية لطيفة عن دوام فتح أبواب الجنة ويسر نعيمها، يقول الإمام الطبري: «إن الفائدة في إخبار الله ـ تَعَالَى ـ عن الجنة أن أبوابها مفتحة أنها تُفتح لهم بغير فتح سكانها إياها بمعاناة بيد ولا جارحة ولكن الأمر فيها ذكر عن الحسن قال: أبواب تكلم فتكلم انفتحي فتنفتح، انغلقي فتنغلق»(٥) وقال النيسابوري: «والمعنى أن الملائكة الموكلين بالجنات إذا رأوا صاحب الجنة فتحوا له أبوابها وحيوه بالسلام فلا يحتاجون إلى تحصيل

= (٢/ ٢٢٢) وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٢١٣) والدر المنثور (٣/ ٨٣، ٨٤).

وساق المفسرون حديثا شريفا يتوافق مع دلالة الآية حيث تصعد ملائكة العذاب بروح الفاجر حتى ينتهوا بها إلى السماء فيستفتحون بابها فلا يفتح لهم ثم تلا رسول الله ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ هذه الآية. انظر الحديث وسنده في تفسير القرآن العظيم (١/ ٢١٣) وغرائب القرآن (٨/ ١١٣).

(١) تلخيص البيان في مجازات القرآن (٦٩، ٧٠).

(٢) الكشاف (٢/ ٦٢) وانظر زاد المسير (٣/ ١٩٧).

(٣) المحرر الوجيز (٧/ ٥٩).

(٤) انظر قول الفراء في زاد المسير (٧/ ١٤٨).

(٥) تفسير الطبري (٢٣/ ١١١، ١١٢) وانظر قول الحسن البصري في الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٢١٩) وقال القرطبي: «وإنما قال مفتحة ولم يقل مفتوحة لأنها تفتح لهم بالأمر لا بالمس».

مفاتيح ومعاناة الفتح» ثم أضاف: «وقيل أراد به وصف تلك المساكن بالسعة وجولان الطرف فيها من غير حائل»[١].

ويفسر لنا هذا التعبير الكنائي في صفة أبواب الجنة سر المفارقة التعبيرية بين فتح أبواب الجنة وفتح أبواب النار في سورة الزمر[٢] قال ـ تَعَالَى ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [سورة الزمر: من الآية ٧٣]، حيث أتى بالواو مما يدل عل أن فتح أبواب الجنة كان حاصلا قبل مجيء المؤمنين[٣] وقال ـ تَعَالَىٰ ـ في صفة أبواب النار ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [سورة الزمر: من الآية ٧١]، فقد ترتب الفتح على المجيء[٤] مما يدل على إغلاقها فالأصل فيها الإغلاق والإيصاد ذكر ذلك ابن الأنباري[٥] والزمخشري[٦] وابن عطية[٧] والنيسابوري[٨] وأبو جعفر النحاس[٩].

وبين بعض العلماء وجه الحكمة في اختلاف صفة أبواب الجنة عن أبـواب النـار في كيفيـة الفتح منها:

١ـ أن أهل الجنة جاءوها وقد فتحت أبوابها ليستعجلوا السرور والفرح إذا رأوا الأبواب مفتحة وأهل النار يأتونها وأبوابها مغلقة ليكون أشد لحرها.

٢ـ أن الوقوف على الباب المغلق نوع ذل فصين أهل الجنة عنه وجعل في حق أهل النار.

---

(١) انظر غرائب القرآن (٢٣/ ١٠٢).

(٢) الزمر: ٣٩/ ٧١، ٧٣

(٣) لم يرد في وصف أبواب الجنة في القرآن الكريم صفات من قبيل الإغلاق والإطباق انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم مادة جنن (١٨٠، ١٨٢) بينما ورد ذلك في صفة أبواب النار قال ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿إنها عليهم مؤصدة﴾[الهمزة: ١٠٤/ ٨] وقال ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿عليهم نار مؤصدة﴾ [البلد: ٩٠/ ٢٠].

(٤) قرر فريق من النحاة أن «الواو» في قوله ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ إنما هي واو الحال، والمعنى جاءوها وقد فتحت أبوابها، فدخلت الواو لبيان أن الأبواب كانت مفتحة قبل مجيئهم وحذفت من قصة أهل النار لبيان أنها كانت مغلقة قبل مجيئهم وجواب الشرط محذوف. وقد حكى هذا القول أبو إسحاق الزجاج عن فريق من النحاة. انظر خزانة الأدب (١١/ ٤٦) وزاد المسير (٧/ ٢٠٢) وتفسير الجلالين (٤٩٩).

(٥) انظر قول ابن الأنباري ملخصا في خزانة الأدب (١١/ ٤٦).

(٦) انظر الكشاف (٣/ ٣٥٨). (٧) المحرر الوجيز (١٤/ ١٠٦).

(٨) غرائب القرآن (٢٤/ ٢٠). (٩) إعراب القرآن (٤/ ٢٢).

٣ـ أنه لو وجد أهل الجنة بابها مغلقا لأثر انتظار فتحه في كمال الكرم ومن كمال الكرم غلق باب النار إلى حين مجيء أهلها لأن الكريم يعجّل المثوبة ويؤخر العقوبة[(١)].

ثانيا: الفتح عندما يرد على سبيل الكناية والمجاز:

الآية الأولى: قال ـ تَعَالَى ـ في سورة الأنعام[(٢)]:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ۝ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَـٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ[(٣)] فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ[(٤)] حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام:٦/ ٤٢ـ ٤٤].

الفتح في الآية الكريمة كناية عن الاستدراج[(٥)]، وسياق الآية يوضح ذلك وجاءت

---

(١) ذكر بعضا من تلك الوجوه ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٠٢، ٢٠٣) والمحرر الوجيز (١٤/١٠٦).

(٢) الأنعام: ٦/ ٤٢ـ ٤٤.

(٣) «لما» ظرفية بمعنى حين، وهي رابطة لوجود شيء بوجود غيره (قطر الندى وبل الصدى ٤٢) ويقول الطبري: ومعنى نسوا: تركوا العمل بما أمرناهم به على ألسن رسلنا وما ذكروا به هو زواجر الله ونواهيه والعبر والابتلاءات التي أجراها الله على خلقه المكذبين من البأساء والضراء. تفسير الطبري (١١/ ٣٥٤، ٣٥٧).

(٤) قال ابن الأنباري: إنما أراد بقوله (كل شيء) التأكيد كقول القائل: أكلنا عند فلان كل شيء، وكنا عنده في كل شيء، يريد بهذا العموم تكثير ما يصفه والإطناب فيه كقوله: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ [سورة النمل: من الآية ٢٣]. انظر زاد المسير (٣/ ٣٩).

(٥) الاستدراج من سنن الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ في عقاب المكذبين بأن يمهلهم فيفتروا بإمهال الله لهم فيأخذهم بغتة، وقد جاء الاستدراج في القرآن الكريم بالكناية والتصريح فالكناية مثل هذه الآية التي نحن بصددها والتصريح كما في قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ٧/ ١٨٢، ١٨٣] (وكذلك في سورة [القلم: ٤٤/ ٤٥]) ومعنى سنستدرجهم: نأتيهم من مأمنهم، قال أبو عبيدة: الاستدراج أن يأتيه من حيث لا يعلم ومن حيث يتلطف به). وأصل الاستدراج التقريب منزلة منزلة.
انظر فتح الباري (٨/ ١٥١). وفتح الاستدراج هذا هو ما كان يخشى منه النبي ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ على أمته أشد الخشية، فقد روي عن أبي سعيد الخدري ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ أن رسول الله ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قال إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح لكم من زهرة الحياة الدنيا!. قالوا: وما زهرة الحياة الدنيا يا رسول الله؟: قال بركات الأرض. انظر في تخريج الحديث وإسناده:=

أقوال المفسرين بهذا المعنى حيث قال الفراء[1] ـ في معنى الأبواب التي فتحت استدراجا ـ:

«يعني أبواب الرزق والمطر وهو الخير في الدنيا» وبمثل ذلك قال الزمخشري[2] وابن كثير وعقب بقوله: «وهذا استدراج منه ـ تَعَالَى ـ وإملاء وعياذا بالله من مكره»[3] وقريب منه قول الزركشي[4] والسيوطي[5] وغيرهم من المفسرين. وقد أشار بعض المفسرين إلى علاقة التضاد كوسيلة من وسائل الإيضاح الدلالي نجد ذلك عند الزجاج[6] والنيسابوري[7].

حيث قالا: المعنى: (فتحنا عليهم أبوابَ كُلِّ شَيْءٍ كان مغلقا عنهم من الخير)[8].

أما ابن عطية الأندلسي فقد أضاف إلى جانب إبراز علاقة التضاد وسيلة أخرى وهي سياق الآية السابق واللاحق[9] فالسياق السابق يكشف أن المعنى خاص واللاحق يبين معنى الاستدراج يقول «فتحنا عليهم أبواب كل شيء معناه: مما كان سد عليهم بالبأساء والضراء من النعم الدنياوية، فهو عموم معناه خصوص»[10].

ويمكن أن نحدد الإطار الدلالي للكناية في النقاط التالية:

١ـ اتفق المفسرون على أن المقصود من فتح أبواب الخيرات هو الاستدراج.

= الصحيح المسند في التفسير النبوي (٦٧) والبرهان في علوم القرآن (٢/ ١٤٢).

(١) معاني القرآن (١/ ٣٣٥).

(٢) الكشاف (٢/ ١٤).

(٣) تفسير القرآن العظيم (١/ ١٣٢).

(٤) البرهان في علوم القرآن (٢/ ٢٧٢).

(٥) تفسير الجلالين (١٤٠).

(٦) انظر قول الزجاج في زاد المسير (٣/ ٣٩).

(٧) غرائب القرآن (٧/ ١٠٨).

(٨) انظر الهامش السابق وعبارة الزجاج والنيسابوري واحدة.

(٩) ذكر الآيات السابقة لآية الفتح أما الآية اللاحقة فهي قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأنعام: ٤٥]. انظر في تفسير هذه الآية وربطها بالآيات المتقدمة عليها. المحرر الوجيز (٦/ ٥٢).

(١٠) المحرر الوجيز (٦/ ٥١).

٢ـ انفرد الزجاج وابن عطية والنيسابوري في توضيح الدلالة المباشرة بإبراز علاقة التضاد (أغلق ـ سد) وانفرد ابن عطية عنهما بإيضاح سياق الحال.

الآية الثانية:

ـ الفتح عندما يكون كناية عن مواقعة العذاب:

قال ـ تَعَالَى ـ في سورة المؤمنون[١]:

﴿وَلَوْ رَحِمْنَـٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّواْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَـٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ[٢] ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا[٣] فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾، وفي تحديد نوع العذاب الذي فتح عليهم تعددت أقوال العلماء فقال بعضهم: هو باب من أبواب جهنم إذا بلغوه فتحه الله عليهم وهذا في الآخرة[٤] وقال آخرون: هو قتلهم بالسيف يوم بدر[٥] وقال فريق هو القحط[٦] الذي أصاب أهل مكة عندما حال ثمامة بن أثال بين مكة والميرة نصرة لرسول الله ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ[٧] وقيل فتح مكة[٨].

---

(١) المؤمنون: (٢٣/ ٧٥ ـ ٧٧) (مكية).

(٢) الاستكانة والتضرع عند مس الضر دليل على الرجوع إلى الله والشعور بالحاجة إليه والقلب متى اتصل بالله على هذا النحو رق وتذكر وأفاد من المحنة وانتفع بالبلاء فأما حين يسدر في غيه ويعمه في ضلاله فهو متروك لعذاب الله الذي يفاجئه فيبلس ويحتار وييأس من الخلاص انظر في ظلال القرآن (٤/ ٢٤٧٦) (بتصرف).

(٣) «حتى» للغاية والتدريج وإذا تبعتها (إذا) تكون بمعنى (لما) انظر في ذلك نزهة الأعين النواظر (٢٤٤، ٢٤٦) والتبيان في إعراب القرآن (١/ ٣٠١، ٣٣١).

(٤) إعراب القرآن لأبي جعفر (٣/ ١٢٠) وتفسير القرآن العظيم (٣/ ٢٥١، ٢٥٢) والكشاف (٣/ ٥٣، ٥٤).

(٥) معاني القرآن للزجاج (٤/ ١٩).

(٦) انظر زاد المسير (٥/ ٤٨٥) وغرائب القرآن (١٨/ ٣٢).

(٧) لما أسر ثمامة بن أثال في سرية من سرايا المسلمين وعفا عنه النبي ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ أسلم وناصر المسلمين، وحال بين مكة والميرة وقال: والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وأخذ الله قريشًا بالقحط والجوع حتى أكلوا الميتة. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٢/ ١٤٣). وانظر مفاتيح الغيب (١١/ ٣٩٦).

(٨) انظر زاد المسير (٥/ ٤٨٦) وقال ابن عطية إنه توعد بعذاب غير معين ... المحرر الوجيز (١١/ ٢٤٦).

والذي نخلص إليه من ذلك أن الفتح في الآية الكريمة كناية عن مواقعة العذاب أيا كان نوعه والذي يتوافق مع مكيّة الآية قول من قال هو باب من عذاب الآخرة يُفتح على الكافرين ولكن هذا لا يمنع الأقوال الأخرى التي هي من قبيل تأويل القرآن الكريم بحوادث السيرة وتتفاوت درجة العذاب بتفاوت الحوادث ويبقى تناهي شدة العذاب في الآخرة(١).

الآية الثالثة:

المفاتح: كناية عن الحيازة.

قال - تَعَالَى - في سورة النور(٢) : ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

قال الزمخشري في معنى المفاتح في الآية: (أموال الرجل إذا كان عليها قيم ووكيل يحفظها له أن يأكل من ثمر بستانه ويشرب من لبن ماشيته، وملك المفاتح كونها في يده وحفظه»(٣). وسياق الحال في الآية ينبئ عن أدب من الآداب الإسلامية التي تسود المجتمع المدني في ظروف معينة فالمفاتح أو المفتاح(٤) كناية عن الإذن للمؤمن المؤتمن أن

(١) قال ابن عطية كأن الأخذ كان في صدر الأمر ثم فتح الباب عند تناهيه حيث أبلسوا. المرجع السابق

(٢) النور: ٢٤/ ٦١ .

(٣) الكشاف (٣/ ٨٥) ومفاتيح الغيب (١١/ ٦٤١) ومجاز القرآن (٢/ ٦٩) وقد وضح ابن كثير ذلك المعنى ببيان سبب النزول في الحديث الذي رواه الإمام الزهري عن عروة عن عائشة - رَضِيَ الله عَنْهَا - قالت: (كان المسلمون يذهبون في النفير مع رسول الله - صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فيدفعون مفاتحهم إلى ضمنائهم ويقولون: «قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما احتجتم إليه فكانوا يقولون أنه لا يحل لنا أن نأكل إنهم أذنوا من غير طيب أنفسهم، وإنما نحن أمناء فأنزل الله - سبحانه وتعالى - ﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾.انظر تفسير القرآن العظيم (٣/ ٣٠٥) وانظر المحرر الوجيز (١١/ ٣٢٧).

(٤) القراءة المشهورة بصيغة الجمع وهناك قراءة بصيغة المفرد. انظر الكشاف (٣/ ٨٥).

يَطْعَمَ مما ملك مفتاحه أي حيازته بالضمان أو بالوكالة في حدود الحاجة والمعروف[١].

الآية الرابعة:

قال ـ تَعَالَى ـ في سورة الأنعام:

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [٢].

المفاتح، صيغة اسمية مفردها مِفْتَح أو مِفْتاح، وهي تدل بلفظها على آلة تزيل الإغلاق قال القرطبي في التفسير[٣]: «والمِفْتَحُ عبارة عن كل ما يحل غلقًا محسوسًا كان كالقُفل على البيت أو معقولًا كالنظر» وذهب بعضُ المفسرين إلى أن مفاتح في الآية جمع مَفْتَح وهو المكان، وبناء على ذلك فسروا (مفاتح الغيب) بـ(خزائن الغيب)[٤] وعقب القرطبي على هذا الرأي بقوله: (وهذا مجاز عبر عنها بما يُتَوَصَّلُ إليها به)[٥].

وقال ابن حجر «المفاتح جمع مِفْتَح بكسر الميم الآلة التي يُفْتَحُ بها، وهي لغة قليلة في الآلة، والمشهور مفتاح بإثبات الألف، وجمعه مفاتيح بإثبات الياء»[٦] وأوضح الزمخشري

---

(١) وقد وضحت السنة المطهرة الإطلاق الموجود في الآية بالحديث الذي رواه الإمام مالك عن نافع عن ابن عمر عن النبي ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قال: (لا يَحْتَلِبَنَّ أحدُكُمْ ماشيةَ أخيهِ إلا بإذنهِ أيُحِبُّ أحدُكم أَنْ يُؤتى إلى مشربته فَتُفْتَحُ خَزانَتهُ فيؤخذُ طعامُهُ) إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس (٣/ ١٤٩) والحديث في الموطأ باب الاستئذان الحديث رقم (١٧) (ص ٧٤٠).

(٢) الأنعام: ٦/ ٥٩ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٢).

(٤) هو تفسير السدي والحسن ومقاتل والضحاك. انظر المرجع السابق والمراجع التالية بالهوامش.

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٢) وانظر الوجه الأول في معنى المفاتح الذي ذكره الماوردي في التفسير (٢/ ١٢١).

(٦) فتح الباري (٨/ ١٤١) وإعراب القرآن لأبي جعفر النحاس (٢/ ٧١) وقد بين الشريف الرضى الدلالة المجازية في هذه العبارة بقوله:

(وهذه استعارة، فالمراد وعنده الوصلة إلى علم الغيب فإذا شاء فتحه لأنبيائه وملائكته، وإن شاء أغلق عليهم علمه ومنعهم فهمه وعبر عن ذلك بالمفاتح وهي أحسن عبارة وأوقع استعارة لأن كل ما يتوصل به إلى فتح المبهم، وبيان المستعجم، يسمى بذلك ألا ترى إلى قول الرجل لصاحبه إذا أشكل عليه أمر أو اختل له حفظه افتح على أي بين لي وفهمني ما عزب عني. تلخيص البيان في مجازات القرآن (٦١، ٦٢).

الدلالة المجازية في هذه الصيغة بقوله: (جعل للغيب مفاتح على طريق الاستعارة لأن المفاتح يتوصل بها إلى ما في المخازن المتوثق منها بالأغلاق والأقفال، ومن علم مفاتحها وكيف تفتح توصل إليها، فأراد: أنه هو المتوصل إلى المغيبات وحده لا يتوصل إليها غيره كمن عنده مفاتح أقفال المخازن ويعلم فتحها فهو المتوصل إلى ما في المخازن»[1]. وجوز الواحد أن المفاتح جمع مَفتح بفتح الميم على أنه مصدر بمعنى الفتح أي وعنده فتوح الغيب يفتح على من يشاء من عباده.

وعقب ابن حجر على هذا المعنى بقوله: (ولا يخفي بعد هذا التأويل للحديث المذكور في الباب[2] وأن مفاتح الغيب لا يعلمها إلا الله»[3].

ويتضح من أقوال العلماء أن دلالة المفاتح في الآية دلالة مجازية ويوضح النيسابوري الارتباط بين الدلالة الحسية والدلالة العقلية في سياق الآية حيث عد الدلالة العقلية دلالة كلية شاملة يقول: «قضية مجردة والإنسان الذي يقوى على الإحاطة بمعنى هذه القضية نادر جدًا، والقرآن إنما أُنزل لينتفع به جميع الناس فذكر من الأمور المحسوسة الداخلة تحت تلك القضية الكلية أمثالًا لها، ويعين الحسُ العقلَ فقال ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾؛ لأن ذكر هذا المحسوس يكشف عن حقيقة عظيمة لذلك المعقول)[4].

الآية الخامسة:

قال تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن

---

(١) الكشاف (٢/ ١٨، ٩٩) وقال ابن عطية بالاستعارة كذلك (المحرر الوجيز (٦/ ٤٦) ومثله قال النيسابوري غرائب القرآن (٧/ ١٢١).

(٢) روي عن ابن عباس ـ رَضِيَ الله عَنْهُمَا ـ أنه قال: (مفاتح الغيب خمس وهي التي في قوله ـ تَعَالَى ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣١/ ٣٤]. يروي هذا القول عن ابن عباس وعن ابن مسعود بلفظ أعطى نبيكم كل شيء إلا مفاتح الغيب ثم ذكر الآية المشار إليها انظر تفسير الطبري (١١/ ٤٠٢) وقد أسنده الإمام البخاري في الصحيح. انظر فتح الباري (٨/ ١٤١). وكذلك تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ١٣٧).

(٣) فتح الباري (٨/ ١٤١) وانظر الوجه الثاني من تفسير الماوردي (٢/ ١٢١).

(٤) غرائب القرآن (٧/ ١٢١).

كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾(١).

وضَّح الزمخشري معنى إزالة الإغلاق، وبين مجازيته حيث قال(٢) : (فإن قلتَ ما معنى فتح البركات عليهم؟ قلتُ: تيسيرها عليهم كما ييسر أمر الأبواب المغلقة أو المستغلقة بفتحها).

وأشار بعض العلماء إلى ملامح الكناية والمجاز كقول الشريف الرضى(٣): (فالمراد ما يكون عن مساقط الغيث من إخصاب منابت الأرض، وهو سبيل سعة العيش والرفاهية) ويتضح من أقوال العلماء أنها كناية مُوَلَّدةٌ عن مجاز في فتح السماء بالماء، وصدع الأرض بالنبات(٤).

وصرح الحديث الشريف بهذه الكناية، حيث رُوي عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قوله: «الخبز أنزل من بركات السماء، وأخرج من بركات الأرض(٥).

الآية السادسة:

ـ مطلق الفتح:

قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٣٥/ ٢].

ويتضح انتظام معنى الفتح في هذه الآية في الدلالة على إزالة الإغلاق(٦) من خلال علاقة التضاد والتي مكن تمثيلها على النحو التالي:

---

(١) سورة الأعراف: ٧/ ٩٦.

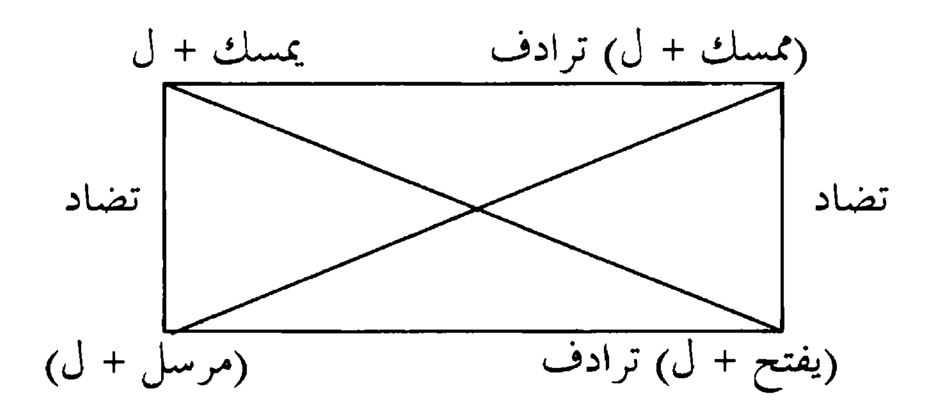
(٢) الكشاف ٢/ ٧١.

(٣) تلخيص البيان في مجازات القرآن ص٥٨، وانظر ما نقله ابن الجوزي عن الزجاج في زاد المسير ٣/ ٢٣٤، وانظر المحرر الوجيز ٧/ ١١٩.

(٤) قال الشريف الرضى في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ۝ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ﴾ [سورة الطارق: الآيتان]، وهذه استعارة المراد بها صفة السماء، ترجع بدرور الأمطار وتعاقب الأنواء مرة بعد مرة... والمراد بـ﴿ٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ﴾ انصداها عن النبات وتشققها عن الأعشاب. تلخيص البيان ص٣٥٤.

(٥) انظر الحديث في الدر المنثور ٣/ ١٠٤.

(٦) إزالة الإغلاق على المستوى المجازي.



فالفتح هنا (فتح + ل) يرادف الإرسال[1] (أرسل + ل) وكلاهما في حالة تضاد مع الإمساك[2] وقد وقع كل ذلك في سياق واحد الملامح الكنائية والمجازية في هذه الآية:

تتضح علاقة المجاز في الآية من خلال وقوع الفتح على الرحمة[3] وهي دلالة مجازية أما خلو الفعل الثاني (يمسك) عن المفعول فيفسره لنا الشيخ عبدالقادر الجرجاني بأنه دلالة على إثبات المعنى في نفسه للشيء على الإطلاق وعلى الجملة من غير التعرض لحديث المفعول.

ويقول الزمخشري ـ موضحا الانتقال الدلالي بين معاني الألفاظ في الآية استعير الفتح للإطلاق والإرسال ألا ترى إلى قوله ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ مكان (فلا فَاتِحَ لَهُ)[4].

* * *

(١) انظر في علاقة الفتح والإرسال وشروط الترادف بينهما بالمبحث الخاص بالمشترك اللفظي من هذا المبحث. ص (١١٩، ١٢٤، ١٢٥).

(٢) وردت علاقة التضاد بين (أرسل) و(أمسك) في هذا الموضع وفي غيره في مثل قوله ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: ٣٩/ ٤٢].

(٣) الفعل (يمسك) في الآية المشار إليها ليس له مفعول يمكن النص عليه لفظا أو تقديرا مع كونه فعلا متعديا.

(٤) الكشاف (٣/ ٢٦٧).

الوحدة الدلالية الثانية:

الفتح عندما يكون بمعنى البشارة والنصر[١]:

استخدم القرآن الكريم مادة الفتح في الدلالة على النصر والتمكين وظهور الدين استخدامًا مجردًا من الإضافة إلى محسوس وجعل منها صيغة مطلقة في أداء هذه الدلالة[٢].

ويمكن أن نرصد من خلال تلك الوحدة غرضين أساسيين جاءت بها الآيات وهما:

الأول: يخص التبشير بالبعثة المحمدية والتبشير بانتصار الدين والرسالة.

الثاني: يتعلق ببعض الإنجازات الكبرى التي حققها المسلمون في العهد المدني حيث أطلق القرآن الكريم تسمية الفتح على أحداث بعينها وهي غزوة بدر، وصلح الحديبية، وغزوة خيبر، وفتح مكة ولا شك أن هذه الفتوحات هي أعظم الفتوحات في تاريخ حركة الإسلام الأولى في الجزيرة العربية.

وقد تعمقت دلالة الفتح بهذا المعنى المشار إليه في وجدان الأمة الإسلامية على مر العصور وشاعت هذه الدلالة في أوساط المسلمين وبلغ شيوعها أنها أخفت ما سواها من دلالات أخرى للفتح[٣].

وتتميز هذه الوحدة الدلالية بمجموعة من السمات تربط بينها، نجملها في النقاط التالية:

---

(١) وقع التبادل بين النصر والفتح في موضع وسياق واحد مما يدل على علاقة الترادف بينهما كما جاء في القراءة المروية عن بن عباس ﴿إِذَا جَاءَ فَتْحُ الله وَالنَّصْرُ﴾ والقراءة المشهورة ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾. انظر الكشاف (٤/ ٢٣٩) والمرشد الوجيز (١٤٠).

(٢) استخدمت اللغة العبرية لفظة الفتح بهذا المعنى لكنها قرنت بالمدينة أو بالأسوار وفي الأدب الجاهلي اقترنت بلفظة الباب أو لفظة الخرق بمعنى الصحراء انظر دراستنا لهذا المعنى في اللغة العبرية بالمبحث التاريخي والأدب الجاهلي.

(٣) دأب كثير من المسلمين على مر العصور على إطلاق تلك الدلالة ـ النصر والتبشير بالخير ـ في لفظة الفتح، في كل مناسبة يرغبون تحقيق أقصى النجاح والفوز فيها أو يصفون ما تم تحقيقه بالفعل سواء في الحروب أو الثورات ضد المحتلين أو كتائب المجاهدين أو تسمية المؤلفات العلمية والخطط الحربية في الجيوش والمساجد والمدارس والمحلات وغير ذلك يسمونها بالفتح استبشارًا وتفاؤلاً.
انظر الفصل الخاص بالتطور الدلالي ص (١٩١) وما بعدها.

١ـ اتفقت جميع آيات هذه الوحدة في تاريخ النزول فكلها آيات مدنية، وهي حقبة مناسبة لأجواء تلك الدلالة.

٢ـ الآيات التي حملت فيها لفظة الفتح دلالة التبشير بالرسالة وردت في سياق كبير يتحدث عن اليهود بشكل مفصل (مثل سورة البقرة) والآيات التي تحملت فيها اللفظة دلالة انتصار الرسالة وردت في سياق سورة نزلت بكاملها في شأن غزوات (الأنفال والفتح والنصر) أو في شأن أمور تتعلق بالحرب والجهاد (الصف والحديد).

٣ـ مصاحبات الفتح في هذه الوحدة هي النصر[١] والغنائم والأخذ[٢] والفوز وظهور الدين[٣] والإنفاق والقتال[٤] والتبشير[٥].

أولاً: الفتح بمعنى التبشير ببعثة النبي ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ[٦] وانتصار رسالته وجاء في ذلك أربع آيات:

الآية الأولى:

قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[٧].

قال النيسابوري: «والتحقيق أن ذكر الكتاب في الآية كناية عن الرسول؛ لأن

(١) في سورة الفتح والنصر والصف.
(٢) في آيات فتح خيبر.
(٣) في آيات فتح الحديبية وخيبر والنصر والصف.
(٤) في آية سورة الحديد.
(٥) في آية سورة الصف.
(٦) سبق التبشير ببعثة النبي ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ عند أهل الكتاب نزولَ الوحي على رسول الله ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ بكثير وقدم كثير من الباحثين الأدلة الدامغة على وجود خبر البشارة في التوراة والإنجيل وقد شاعت هذه البشارة بين أهل الكتاب بدرجة كبيرة قبيل ظهور النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ. انظر خبر البشارة في تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب (أبو عبدالله الترجمان)، القس أنسلم تورميدا الإسباني سابقاً، ص (٦٦، ٦٧، ٢٥٥ ـ ٢٨٤). وانظر كذلك: إعراب ثلاثين سورة (٢١٨) وعقيدة المؤمن (٣٠٦).
(٧) البقرة: ٢/ ٨٩.

الرسول يلزمه الكتاب عرفًا أو مجازًا»[1].

وقد ذكر المفسرون ثلاثة معانٍ محتملة لدلالة الاستفتاح الواردة في الآية، أوردها، أبو حيان وبيّن وجاهة كل معنى من ناحية النقل واللغة. قال: «يستفتحون، يستحكمون أو يستعلمون أو يستصرون أقوال ثلاثة» ثم عقب عليها بقوله: «وكل ذلك داخل في عموم الاستفتاح»[2].

وما وضحه لنا أبو حيان بعموم الدلالة في الآية هو ما تؤيده الشواهد فقد تعددت المواقف التي حدث فيها احتكاك مباشر بين العرب واليهود قبل بعثة النبي ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ إما سلمًا، وإما حربًا، وإما منافرةً[3] ويكون اليهود قد رددوا الاستفتاح بالبشارة على مشركي العرب[4] إما على سبيل الاستخبار والاستعلام[5] في وقت السلم، وإما على سبيل الاستنصار في وقت الحرب، وإما على سبيل الاستحكام في أوقات المخاصمة والمنافرة، وغلبة العرب لهم، وقد جمعت الآية كل تلك المواقف وذمت موقف اليهود بعد حدوث البشارة. ولذلك ناسب أن تكون دلالة الفتح دلالة عامة في المعاني الثلاث.

الآية الثانية:

قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ

---

(١) غرائب القرآن (١/ ٣٦٩).

(٢) انظر البحر المحيط (١/ ٣٠٢ـ ٣٠٤).

(٣) ذكر في التفسير بالمأثور، أن خبر الاستفتاح قد حدث من اليهود تجاه طوائف مختلفة من العرب (الأوس، والخزرج، وغطفان، وأناس من العرب، أو العرب جميعًا) ولا شك أن علاقات طوائف العرب وطوائف اليهود لم تكن على وتيرة واحدة. انظر في هذه الروايات: الدر المنثور (٨٧١، ٨٨) ومفاتيح الغيب (٢/ ٢٤٧، ٢٤٨).

(٤) ذكر العلماء في سبب نزول الآية أن اليهود كانت إذا قاتلت أهل الشرك استنصروا الله عليهم باسم النبي المبعوث وذكروا أوصافه المكتوبة عندهم في التوراة، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به عنادًا وجحودًا وحبًّا في الرياسة. انظر في ذلك مجاز القرآن (١/ ٤٧) وتفسير غريب القرآن (٥٨) وغريب القرآن وتفسيره (٧٥) وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ١٢٤). والمحرر الوجيز (١/ ٢٨٩).

(٥) ذكر هذا المعنى الزمخشري ونقله النيسابوري والسيوطي دون ذكر مصدره قال الزمخشري: «وقيل معنى يستفتحون: يفتحون عليهم ويعرفونهم أن نبيًّا يبعث منهم فد قرب أوانه والسين للمبالغة. أي يسألون أنفسهم الفتح عليهم كالسين في استعجب واستسخر أو يسأل بعضهم بعضا أن يفتح عليهم». انظر الكشاف (١/ ٨١)، وغرائب القرآن (١/ ٣٦٩)، ومعترك الأقران (٣/ ٤٥٨).

قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ (١).

ساق المفسرون عدة معان للفتح في هذه الآية فقالوا إن معنى قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾ هو:

١ـ بما أمركم الله به(٢).

٢ـ بما أنزل عليكم في نعت محمد ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ(٣) وذكروا في ذلك معاني من قبيل أخبر وبيَّن وقصَّ عليكم(٤) ومنَّ عليكم(٥) وأكرمكم(٦).

٣ـ بما حكم الله عليكم به من العذاب.

٤ـ بما قضاه الله عليكم وأخذ ميثاقه به من اتباع محمد ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ(٧).

وقد أسند الطبري في تفسيره (٨) وأبو حيان الأندلسي في البحر المحيط(٩) كل تلك الأقوال لأصحابها من الصحابة والتابعين والعلماء.

ونستنتج مما ذكره علماء السيرة والمفسرون حول معنى هذه الآية إفادة مؤداها أن القرآن الكريم تحدث عن عدة موضوعات تتعلق باليهود بشكل مجمل وتعرفها يهود بشكل مفصل وكان بعض اليهود يفشي بها للمسلمين فخشي الزعماء والأحبار من أن يقوض ذلك مركزها الديني والعلمي عند العرب لصالح الرسالة الجديدة، ويمكن أن نجمع هذه الموضوعات في محورين أساسيين:

الأول: ما يتعلق بقضية البشارة بالنبي العربي وصفاته في التوراة.

---

(١) البقرة: ٢/ ٧٦.

(٢) تفسير الطبري (٢/ ٢٤٩).

(٣) المرجع السابق نفسه وانظر كذلك المحرر الوجيز (١/ ٢٦٨، ٢٦٩). وتنوير المقياس (٩) والكشاف (١/ ٧٧) وغرائب القرآن (/ ٣٥٠).

(٤) ذكر ذلك في معاني القرآن للفراء (١/ ٥٠) ومعاني القرآن للزجاج (١/ ١٥٨).

(٥) ذكره مجاز القرآن (١/ ٤٥).

(٦) الإتقان (٢/ ٤٨).

(٧) ذكر هذا المعنى والسابق عليه الماوردي في التفسير (١/ ١٤٨، ١٤٩).

(٨) انظر تفسير الطبري (٢/ ٢٤٩ ـ ٢٥٦).

(٩) انظر البحر المحيط (١/ ٢٧٣، ٢٧٤).

الثاني: ما يتعلق بأحداث مرت باليهود منها حوادث الثواب وحسن الجزاء[1] وحوادث العقاب والمسخ والعذاب[2]، ويدخل في هذا الإطار بعض الأوامر التي كلفوا بها[3].

وبناء على ذلك يمكن أن ننظر إلى اختلاف المفسرين حول الدلالة على أنه من اختلاف التنوع لا من اختلاف التضاد، فمن قال إن معنى الفتح هو الحكم والقضاء نظر إلى حوادث العقاب الإلهي لبني إسرائيل.

ومن قال إن معناه إنزال المن والإكرام نظر إلى ما خص الله به بني إسرائيل من الفضل والإنعام في فترات معينة من تاريخهم. ومن قال إن معناه قصَّ وأخبر وأذكر وعرف وعلم وبين نظر إلى مطلق تلك الأمور وجعلها من دلائل الإقرار ببعثة محمد ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وأنه النبي المبشر به في التوراة ولكنه للعرب خاصة!

وتخلص من ذلك إلى أن دلالة الفتح تتجه نحو العلم والبيان وهي دلالة عامة في كل المعاني السابقة وذلك من وجهة نظري لسببين:

الأول: أن هذا العموم يتفق مع كل النقول والآثار الصحيحة[4].

الثاني: أن هذه الدلالة تتفق مع ما توصلنا إليه في الفصل الخاص بمقابلة اللغتين العبرية والعربية حيث وجدت دلالة الفتح في اللغة العبرية بمعنى إزالة الجهل وكناية عن قول الحكمة وتنوير الجهلة[5].

פֵּתַח דְּבָרֶיךָ יָאִיר מֵבִין פְּתָיִים
= (pēṯaḥ dĕbāreḵe yāir mēḇīn pĕṯāyīm)[6].

---

(١) جاءت بذلك آيات كثيرة في القرآن الكريم: ﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٢/ ٤٧]، ﴿وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡغَمَامَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ﴾ [البقرة:٢/ ٥٧].

(٢) نقل المفسرون في سبب النزول أن رسول الله ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ في حصاره لليهود ناداهم بقوله: «يا إخوة القردة والخنازير» فلام بعضهم بعضا وقالوا ما خرجت إلا منكم ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾ أي بما حكم الله عليكم من العذاب. انظر تفسير الطبري (٢/ ٢٤٩).

(٣) انظر ما رواه البخاري في حكم الرجم في التوراة. فتح الباري (٦/ ٧٢٩).

(٤) انظر الهوامش السابقة حول هذه الآية.

(٥) انظر ما لاحظناه على هذه الكناية في المبحث التاريخي وتطورها عن فتح الفم أو الشفتين.

(٦) سفر المزامير (١١٩/ ١٣٠).

والمعنى «فَتْحُ كَلَامِكَ يُنِيرُ يعقِّل الجُهَّال». ولم تكن يهودُ لترغب في إنارة أو إعلام العرب بأية قضية لا تخدم اليهود وقد سجل القرآن الكريم موقفهم العام تجاه العرب قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ (١) ولا شك أن موقفهم تجاه المسلمين من العرب سيكون أشد إخفاءً وكتمانًا.

الآية الثالثة:

قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ۚ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾(٢).

بعد وقوع البشارة وظهور النبي ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ شكك اليهود والمنافقون(٣) في انتصار رسالته وظهورها على العرب فجاءت الآية تكذب هذا الزعم وتؤكد انتصار الرسالة وتبشر بقدوم الفتح.

واتفق أغلب المفسرين على أن معنى الفتح في الآية هو النصر(٤) ولكنهم اختلفوا في تحديده أهو فتح مكة أم فتح قرى اليهود أم بقية فتوح النبي ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ والذي نختاره أن في الآية بشارة مطلقة بانتصار الإسلام، ومن مفردات تلك البشارة ما ذكره المفسرون من فتوح مختلفة وقد لاحظ ذلك ابن عطية بعد أن أورد الأقوال المختلفة في معنى الفتح قال: «وظاهر الفتح في الآية ظهور رسول الله ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وعلو كلمته»(٥).

---

(١) آل عمران: ٣/ ٧٥.

(٢) المائدة: ٥/ ٥٢.

(٣) والي عبدالله بن أبي بن أبي سلول اليهود في عدة مواقف ظنا منه أن الدائرة ستدور على المسلمين ولن يبقى له إلا اليهود فقال عبارته المشهورة «إني امرؤ أخشى الدوائر» يقول ابن عطية: لفظ محفوظ عن عبدالله بن أبي المنافق ولا محالة أنه قال بقوله منافقون كثير. انظر المحرر الوجيز (٥/ ١٣٠) وانظر الرحيق المختوم (٢٦٦)، وانظر نور اليقين (١٢٦، ١٢٧).

ونقل ابن الجوزي بعض الآيات في تشكيك المنافقين واليهود في انتصار هذه الرسالة. انظر زاد المسير (٦/ ٣٥٩).

(٤) انظر مجاز القرآن (١/ ١٦٩) والبحر المحيط (٣/ ٥٠٧، ٥٠٨) وتفسير الجلالين (١٢٣) وذكر بعضهم بعض المعاني إضافة إلى هذا المعنى فسماه ابن قتيبة أن معناه الفرج (تفسير غريب القرآن ١٤٤). وذكر الماوردي (٢/ ٤٧) أن من معانيه الحكم في هذه الآية.

(٥) المحرر الوجيز (١٣٠).

وصرح بهذا المعنى أبو حيان فقال: «هذه بشارة للرسول وللمؤمنين بوعده ـ تَعَالَى ـ بالفتح والنصر»[(١)].

وقد خص الزمخشري[(٢)] وابن عطية[(٣)] وأبو حيان[(٤)] والنيسابوري دلالة الفتح الموعود به في الآية ـ بما يترتب على سعي النبي ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وأصحابه ويسببه جدهم وعملهم وهذا ما صرحت به الآية الرابعة.

الآية الرابعة:

قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [(٥)].

تشير الآية إلى جنس الفتح المترتب على سعي النبي ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وأصحابه وأنه قريب من المؤمنين بشرط سابق في السياق وهو قوله ـ تَعَالَى ـ ﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ﴾ [(٦)] ولم يحدده المفسرون بفتح من الفتوح ولكنهم اتفقوا على أن معنى الفتح هو النصر والظفر الذي يترتب على الجهاد في سبيل الله[(٧)].

ثانيًا: بعض الانتصارات التي حققها المسلمون في العهد المدني وسماها القرآن الكريم فتحًا:

١. غزوة بدر:

قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [(٨)].

ونرصد في دلالة الفتح في هذه الآية معنيين اثنين قال بهما المفسرون الأول: الفتح

---

(١) البحر المحيط (٣/ ٥٠٧).

(٢) الكشاف (١/ ٣٤٤).

(٣) المحرر الوجيز (٥/ ١٣٠).

(٤) البحر المحيط (٣/ ٥٠٨) غرائب القرآن (٦/ ١١).

(٥) الصف: ٦١/ ١٣.

(٦) الصف: ٦١/ ١١.

(٧) انظر معاني القرآن للزجاج (٥/ ١٦٦) وتفسير الماوردي (٥/ ٥٣١) وإعراب القرآن لأبي جعفر النحاس (٤/ ٤٢٣). والمحرر الوجيز (١٥/ ٥١٠) وغرائب القرآن (٢٨/ ٤٦). وتفسر الجلالين (٥٩٧).

(٨) الأنفال: ٨/ ١٩.

يعني النصر[1]، والثاني: الفتح يعني الحكم والقضاء [2] ويرجع هذا الاختلاف في فهم الدلالة في رأيي لأمرين:

١ـ حمل مرجع ضمير الخطاب في الآية على وجهين فإن عاد على المؤمنين ناسبته دلالة النصر[3] وإن عاد على الكافرين ناسبته الدلالتان.

٢ـ صلاحية المعنى في الحالتين لأحد التوجيهين.

ويمكن أن نستبعد من قال بأن مرجع الضمير في صدر الآية موجه للمؤمنين ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ وبقية ضمائر الآية موجهة للكافرين[4] وذلك لوجود قرينة العطف لتي تمنع ذلك وتجعل الخطاب نسقًا واحدًا.

ونرى أن دلالة الفتح في الآية تتجه نحو معنى النصر والمراد منه غزوة بدر وذلك في رأيي لقرائن ثلاث:

١ـ اتفاق المفسرين وعلماء أسباب النزول على أن السورة قد نزلت في شأن غزوة بدر[5].

٢ ـ الموقف الذي وردت فيه الآية ليس موقف منافرة ومخاصمة، وإنما موقف قتال ورمي وزحف وثبات وبلاء[6].

٣ ـ لاحظ أبو حيان أن الخطاب موجه للمؤمنين بقرينه السياق فقد سبقت الآية

---

(١) انظر: مجاز القرآن (١/ ٢٤٥) وتفسير غريب القرآن (١٧٨) وغريب القرآن وتفسيره (١٥٨) ومعاني القرآن للفراء (١/ ٤٠٦).

(٢) هو قول مروي عن عكرمة في غرائب القرآن (٩/ ١٣٦) وعن عكرمة ومجاهد وقتادة في زاد المسير (٣/ ٣٣٥) وذكره جامع تفسر مجاهد (٣٥٣) وانظر تفسير الجلالين (١٨٨). وذكر المعنيين معا ابن كثير (انظر تفسير القرآن العظيم ٢/ ٢٩٦) والسيوطي (الدر المنثور ٣/ ١٧٥).

(٣) انظر البحر المحيط (٤/ ٤٧٨).

(٤) ذكره أبو حيان لطائفة من المفسرين المرجع السابق (٤/ ٤٧٩).

(٥) انظر الكشاف (٢/ ١٢٠) ، والدر المنثور (٣/ ١٧٥) ، وتفسير القرآن العظيم (٢/ ٢٩٦)، والبحر المحيط (٤/ ٤٧٨، ٤٧٩).

(٦) من خلال دراسة المصاحبات اللفظية للسياق وجدنا أن مصاحبات فتح بمعنى حكم هي فصل وحكم وقضى ومرتبطة بالظرف (بين) ومصاحبات فتح بمعنى النصر والظفر هي لفظة نصر أو لفظة تدل على القتال والحرب وسياق معنى حكم سياق خصومة ومنافرة في غير وقت الحرب وإنما في سياق حرب الكلام والجدل.

بنداء للمؤمنين وتبعتها آية نداء كذلك[1].

٢. صلح الحديبية:

قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾[2].

بين لنا فريق من اللغويين والمفسرين دلالة الفتح في هذه الآية عن طريق عرض الدلالة الأصلية لمادة الفتح وهي فتح الشيء المغلق ثم بيّنوا الدلالة التجريدية المرادة من ذلك وهي صلح الحديبية يقول الفراء في هذا المعنى: «كان فتح وفيه قتال قليل، مراماة بالحجارة، فالفتح قد يكون صلحا، ويكون أخذ الشيء عَنْوةً، ويكون بالقتال وإنما أريد به صلح الحديبية»[3] وقال الزجاج: «والفتح إنما هو الظفر بالمكان والمدينة والقرية كان بحرب أو بغير حرب أو كان دخول عنوة أو صلح، فهو فتح لأن الموضع إنما يكون منغلقًا فإذا صار في اليد فهو فتح»[4] وقال بتلك الدلالة الأصلية الزمخشري[5] إلا أنه جعل الفتح المقصود هو فتح مكة، ولاحظ النيسابوري وابن الجوزي الدلالة الأصلية إلا أنهما اتفقا على أن المراد بالفتح الصلح وهي الدلالة الكنائية المجردة يروي ابن الجوزي ذلك قائلا: «إن معنى الفتح في اللغة فتح المغلق، والصلح الذي جعل مع المشركين كان مسدودًا متعذرًا حتى فتحه الله»[6] وسماه النيسابوري (الظفر بالصلح)[7].

واختار فريق آخر معنى الحكم والقضاء إلا أنهم قالوا إن المعنى في الآية إنا قضينا لك بفتح مكة أو قضينا لك بالنصر والظَّفَر على كل أعدائك أو حكمنا لك بالإسلام والنبوة والحجة والسيف وهذا الفريق وإن كان فسر الفتح بالحكم والقضاء إلا أنه جعله خاصًّا

---

(١) انظر تفسير أبي حيان لذلك في ضوء الآيات السابقة واللاحقة للآية التي نحن بصدد الحديث عنها. البحر المحيط (٤/ ٤٧٨، ٤٧٩).

(٢) الفتح: ٤٨/ ١، ٢ .

(٣) معاني القرآن للفراء (٣/ ٦٤). ويريد بـ كان فتح أي حدث فتح على معنى كان التامة .

(٤) معاني القرآن للزجاج (٥/ ١٩، ٢٠).

(٥) الكشاف (٣/ ٤٦١).

(٦) زاد المسير (٧/ ٤٢٠).

(٧) غرائب القرآن (٢٦/ ٣٩).

بالنصر والغلبة والتمكين وهو منسوب لقتادة[1] وابن قتيبة[2] ومقاتل[3] وروته كتب التفسير مثل المحرر الوجيز[4] وتفسير الماوردي[5] والجلالين[6] واختاره الطبري[7].

وذكر ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن عن ابن عباس ـ رَضِيَ الله عَنْهُمَا ـ في معنى هذه الآية كنت أقرؤها ولا أدري ما هي حتى تزوجت بنت مشرح الكندية فقالت: «ففتح الله بيني وبينك» أي حكم الله بيني وبينك[8].

وقال فريق ثالث الفتح في الآية بمعنى الإرشاد والهداية والعلم يقول الماوردي «معنى الفتح العلم، أي أعلمناك علمًا مبينًا فيما أنزلنا عليك من القرآن وأمرناك به من الدين، وقد يعبر عن العلم بالفتح»[9].

ونخلص من أقوال اللغويين والمفسرين إلى عدة نتائج نجملها فيما يلي:

ـ اتفاق جميع المصادر التي أشرت إليها أن سورة الفتح ـ والتي سميت بهذه الآية التي نحن بصدد الحديث عنها ـ نزلت عقب انصراف النبي ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ من الحديبية[10] وما ورد من الآثار الصحيحة بأن الرسول ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ سمي هذا

---

(١) روي عن قتادة في غرائب القرآن (٢٦/ ٤٠).

(٢) تفسير غريب القرآن (٤١٢) وروي عنه في زاد المسير (٧/ ٤١٩).

(٣) روي في المرجع السابق نفسه.

(٤) المحرر الوجيز (١٥/ ١٨٥).

(٥) تفسير الماوردي (٥/ ٣٠٩).

(٦) تفسير الجلالين (٥٤٨).

(٧) تفسير الطبري (٢٦/ ٤٢، ٤٣).

(٨) تأويل مشكل القرآن (٤٩٢) وقد تعرضنا لهذه المقولة في المبحث التاريخي وبينا مصدر هذه الدلالة وسنوضح في الوحدة الثالثة أن من مصاحبة مادة (فتح) للظرف (بين) تنتج دلالة حكم أما مصاحبة فتح مع (اللام). فإنها تتبع إزالة الإغلاق سواء على الحقيقة أو المجاز كما بينا بالوحدة الأولى.

(٩) تفسير الماوردي (٥/ ٣٠٩).

(١٠) انظر الأسانيد التي رواها أبو جعفر النحاس في ذلك (إعراب القرآن ٤/ ١٩٥) وما ذكره تفسير الجلالين (٥٤٨) وما ذكره الإمام البخاري في الصحيح فتح الباري (٧/ ٥٠٥) وانظر شرح الإمام بن حجر وتفصيل القول في هذا الفتح. المرجع السابق (٧/ ٥٠٦) وانظر كذلك ما رواه الإمام البخاري عن أنس في معنى الآية ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾. قال: الحديبية. المرجع السابق (٨/ ٤٤٧).

الصلح فتحًا عندما سأله عمر بن الخطاب ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ أو فتحٌ هو يا رسول الله؟! قال: نعم والذي نفسي بيده إنه لفتح[1].

ـ المجال الدلالي للسورة يتحدث عن مصاحبات لفظية لا ترد إلا في سياق الحرب والقتال في حالة تعذر الصلح أو إتمامه مثل: النصر والبيعة والقتال والبأس والظفر والمغانم.

ـ إن مصاحبة مادة فتح لحرف اللام لا تأتي إلا بمعنى إزالة الإغلاق سواء على سبيل الحقيقة أو الكناية والمجاز كما اتضح لنا من دراسة المصاحبات المختلفة لمادة الفتح في الأدب الجاهلي والوحدة الدلالية الأولى في القرآن الكريم وهو ما يتفق مع الفريق الذي فسر الفتح بأنه تطور دلالي عن فتح المغلق كما بينا منذ قليل.

٣. فتح خيبر:

وجاء في ذلك الفتح آيتان:

قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [2].

وقال ـ تَعَالَى ـ: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[3].

قال أبو جعفر النحاس[4]: «أكثر أهل التفسير على أنه فتح خيبر كان لأهل الحديبية» وقال الزمخشري[5]: «وهو فتح خيبر لتستروح إليه قلوب المؤمنين إلى أن يتيسر الفتح

---

(١) انظر البحر المحيط (٨/ ٨٩) وأخرج الإمام البخاري في الصحيح موقوفًا عن البراء ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قال: «تعدون أنتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحًا، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية».
فتح الباري (٧/ ٥٠٥).

(٢) الفتح: ٤٨/ ١٨.

(٣) الفتح: ٤٨/ ٢٧.

(٤) إعراب القرآن (٤/ ٢٠١) وانظر ما نقله الإمام ابن حجر بأن المراد بالفتح القريب هو فتح خيبر حيث قال: «المراد بها ـ أي الآية ـ فتح خيبر على الصحيح لأنها هي التي وقعت فيها المغانم الكثيرة للمسلمين «فتح الباري (٧/ ٥٠٦).

(٥) الكشاف (٣/ ٤٦٨).

الموعود» وقال أيضًا: «إن رسول الله ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ رأى فتح مكة في منامه ورؤيا الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ وحي، فتأخر ذلك إلى السنة القابلة، فجعل فتح خيبر علامةً وعنوانًا لفتح مكة»[1].

وهو رأي الزجاج[2] ومروي عن ابن عباس وعن عطاء ومقاتل وابن زيد[3] وقال بعض المفسرين هو فتح الحديبية[4] وهو مردود بقرينة نزول الآية نتيجة لبيعة الرضوان ومكافأة لرضا المؤمنين بالصلح، ومن قال إنه فتح مكة أو فتح هجر[5] رد عليهم ابن عطية بأن هذه الفتوح لم تكن أقربها لنزول الوعد[6] وعقب أبو حيان الأندلسي بقوله[7]: «والقرب أمر نسبي لكن فتح خيبر كان أقرب» والآية تحمل قرينة تمنع أن يكون المقصود بالفتح فتح مكة لقوله ـ تَعَالَى ـ ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ ثم قال ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ ولا تنطبق أوصاف المغانم الكثيرة المترتبة على هذا الفتح إلا على أرض خيبر ذات المال والعقار.

٤. فتح مكة:

ذكر بعض المفسرين أن المراد بالفتح في كثير من الآيات كما رأينا في الوحدتين الثانية والثالثة هو فتح مكة لكننا لم نأخذ به لمناسبته لمعان أخرى ـ أشرت إليه في حينها ـ والذي دعاهم لذلك ـ في رأيي ـ هو شهرة فتح مكة[8] عند المؤرخين وقبله عند المحدثين وهي الغزوة التي سميت بغزوة الفتح في كتب الحديث وسمي العام الذي فتحت فيه مكة بعام

---

(١) الكشاف (٣/ ٤٦٥، ٤٦٦).

(٢) انظر معاني القرآن (٥/ ٢٥).

(٣) زاد المسير (٧/ ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٤٤).

(٤) انظر المرجع السابق نفسه وإعراب القرآن لأبي جعفر النحاس (٤/ ٢٠١).

(٥) فتح هجر ذكره الزمخشري عن الحسن. انظر الكشاف (٣/ ٤٦٨). وذكر فتح مكة في إعراب القرآن لأبي جعفر (٤/ ٢٠١) والمحرر الوجيز (١٥/ ١٠٦).

(٦) المرجع السابق (١٥/ ١٢١) وغرائب القرآن (٢٦/ ٤٦).

(٧) البحر المحيط (٨/ ٧٨، ١٠١).

(٨) انظر فتح الباري (٧/ ٥٩٢، ٥٩٦، ٥٩٧، ٦١٣، ٦١٥). وقد عرف «فتح مكة» بأنه «فتح الفتوح» ويشبه به كل فتح جليل القدر. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب (٦٨٥).

الفتح ونحو ذلك[1].

وقد وردت آيتان لا يتفق إطلاق دلالة الفتح فيهما إلا على فتح مكة كما سنرى وهما قوله ـ تَعَالَى ـ في سورة الحديد[2]﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

وهي تدل على عِز الإسلام وقوة أهله ومن علامات ذلك تفضيل السابقين في الإسلام وذلك لدخولهم وقت الشدة والأذى أي قبل الفتح ودخول الناس في دين الله أفواجًا، وقد اتفق معظم المفسرين على أن ذلك لم يحدث إلا بعد الفتح وهو فتح مكة[3] وما ذكر من الفتح المراد هو فتح الحديبية[4] لا تؤيده دلالة كمال الرسالة وانتصارها انتصارًا حاسمًا.

والآية الثانية هي سورة النصر[5] قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾[6].

***

(١) وهو الفتح الوارد بصيغة التجريد المعرفة في قول النبي ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ «لا هجرة بعد الفتح».

(٢) الحديد: ٧٥/ ١٠.

(٣) انظر إعراب القرآن لأبي جعفر (٤/ ٢٥٣) وتفسير القرطبي (٢٧/ ١٢٧) وتفسر الماوردي (٥/ ٤٧١) والمحرر الوجيز (١٥/ ٤٠٣) وغرائب القرآن (٢٧/ ٩٥) وتفسير الجلالين (٥٨١).

(٤) وهو قول مروي عن الشعبي في عدة مصادر.
انظر زاد المسير (٨/ ١٦٤).

(٥) النصر: (١١٠/ ١ـ٣) وقد أجمع المفسرون على الفتح المقصود هو فتح مكة.
انظر في ذلك فتح الباري (٧/ ٥٠٦) ومعاني القرآن للفراء (٣/ ٢٩٧) وتفسير مجاهد (٧٥٨) وتفسير الطبري (٣٠/ ٢١٥) (غير المحقق) وتفسير الماوردي (٦/ ٣٦٠) وتفسير الجلالين (٦٦٥،٦٦٦) وتنوير المقباس (٣٩٧).

(٦) وقالوا أن ذلك كان علامة لدنو أجله ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ بعد كمال الفتح.
انظر في ذلك فتح الباري (٧/ ٦١٣، ٦١٤) وتفسير التستري (١٩٨) ولطائف الإشارات (٦/ ٣٤٧).

الوحدة الدلالية الثالثة:

(الفتح عندما يكون بمعنى الحكم والقضاء في القرآن الكريم)

الآيات

قال - تَعَالَى -:

١- ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ۝ فَٱفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢٦/ ١١٧، ١١٨].

٢- ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٧/ ٨٩].

٣- ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [سبأ: ٣٤/ ٢٦].

٤- ﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٤/ ١٥].

٥- ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ۝ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ [السجدة: ٣٢/ ٢٨ - ٣٠].

وقفنا في المبحث التاريخي عند المناسبة التاريخية التي تطورت من خلالها لفظة الفتح إلى معنى الحكم والقضاء، والخلفية المعرفية لذلك التطور (ممثلة في البيئة الثقافية) وتلمسنا الطريق التي سلكتها تلك الدلالة عبر وسائل متعددة للوصول إلى مستوى اللغة الفصحى، ثم جاء القرآن الكريم، واستخدم تلك الدلالة، لكنه وسع من استخدامه لها وأمدها بمفاهيم جديدة تتلاءم مع المفاهيم القرآنية حول الخلق والكون والحياة. ستتضح من خلال السياق القرآني لتلك الدلالة.

وإذا نظرنا إلى الآيات التي وردت فيها لفظة الفتح محملة بتلك الدلالة ـ دلالة الحكم والقضاء ـ وجدناها على ضربين:

الأول: يحتوي على محددات دلالية تفصل معناه عن المعاني الأخرى للفظة الفتح وتقصره على معنى واحد هو معنى الحكم القضاء وآيات هذا الضرب قطعية الدلالة في ذلك.

الثاني: لا تحتوي الآيات فيه على محددات مباشرة فدلالة الحكم والقضاء دلالة محتملة أو ظنية ومع ذلك توجد بعض القرائن التي رجحت لدينا اتجاه دلالة اللفظة نحو الحكم والقضاء، وهذا الضرب نضعه تحت «الغموض الدلالي»[1]. ونتوصل إليه من خلال الضرب الأول.

أولا: المحدد الدلالي:

ائتلاف الفعل والظرف (فتح + بين)

لا بأس أن نستخدم هذا التعبير محددًا دلاليًا لتلك الوحدة فهو مصطلح معروف في علم اللغة وشائع عن الانكليزية (phrasal verb) في مثل الأفعال يخترع (Make up) ويستسلم (give in) ويقمع (put down) يقول عنه بالمر:

«فمعنى هذه الائتلافات لا يمكن التنبؤ به من الفعل وحده أو الظرف وحده»[2].

وإن كان بالمر قد جعل منه نوعا من المصطلحات أو التعبيرات فإننا نعدهن مظهرا من مظاهر السلوك اللغوي العام الذي تتبعه اللغة في التحديد الدلالي للألفاظ[3]، وقد

---

(١) انظر المقدمة المنهجية بالمبحث الدلالي.

(٢) علم الدلالة. إطار جديد (١٥١).

(٣) قسم النحاة العرب الكلام على ثلاثة أقسام اسم وفعل وحرف وارتبط الاسم والفعل بوجود الحدث على حين استقل الحرف عنهما، وقد عالجت كتب النحو جزئيا علاقات الفعل والاسم بالحرف في أبواب النحو المختلفة إذ اهتمت المؤلفات النحوية ببيان وظيفة الحروف على حين تناول المعجم تأثير الحروف عندما تأتلف بالأفعال في اختلاف دلالة الفعل. ولا يبعد تقسيم العلماء المحدثين بالكلمات عن تقسيم اللغويين العرب هذا فقد قسم اللغوي الإنكليزي هنري سويت (Henry Sweet) الكلمات إلى: كلمات تامة (ful)، وكلمات صورية (Form) وأراد بالكلمات التامة، الأسماء والأفعال، وبالكلمات الصورية ـ الحروف (انظر دور الكلمة في اللغة ٥٨ ـ ٦١) وتابع اللغويون هنري سويت على هذا التقسيم، ولاحظ «بالمر» أن الأدوات أو الحروف تدرس بشكل=

اتضح لنا من خلال دراسة مادة الفتح الدور الحاسم الذي يؤديه الظرف وحرف الجر في تمييز المعنى وفصله عن بقية المعاني المتعددة، وما يترتب على هذا الائتلاف من ظواهر دلالية مثل الترادف والتضاد.[1].

وبعد مطالعة ذلك المحدد ـ ائتلاف الفعل والظرف في هذه الوحدة الدلالية ـ وجدنا القرآن الكريم يستخدم الظرف (بين) مصاحبا للفعل (فتح) للدلالة على معنى الحكم والقضاء وإذا استقصينا بعض الأفعال الدالة على هذا المعنى في القرآن الكريم مثل (حكم/ قضى/ فصل) وجدنا الظرف (بين) هو المميز لهذا المعنى عن غيره من معاني تلك الأفعال[2].

ويمكن أن نصوغ علاقة (فتح) الدلالية في ضوء قرينة الظرف على النحو التالي:

قائمة (أ)		قائمة (ب)
حكم	ترادف ↑	فتح
قضى		حكم
فتح	+ بين	فصل
فصل		قضى

ويمكن أن نصوغ العلاقة الدلالية على النحو التالي:

أي فعل في القائمة (أ) يرادف جميع الأفعال في القائمة (ب) في دلالة الحكم

= مكثف في المؤلفات النحوية بينما يركز المعجم على الكلمات بين نوع الأسماء والأفعال انظر علم الدلالة إطار جديد ٦٢

(١) انظر دور حروف الجر في إيجاد نوع من الترادف مثل (فتح على ـ أرسل على ـ أنزل على)، (فتح بين ـ حكم بين ـ فصل بين) والتضاد (فتح لـ فتح على) مما عالجناه في المبحث الخاص بالمشترك اللفظي عند القدماء.

(٢) وردت الصيغة الفعلية من مادة (حكم) قرابة خمسين مرة في القرآن الكريم ارتبطت في خمس وعشرين منها بالظرف (بين) (المعجم المفهرس :٢١٢)، بينما ارتبطت الصيغة الفعلية من (قضى) بالظرف (بين) في ثلاثة عشر موضعًا وهي المواضع التي جاءت فيها بمعنى الحكم (المرجع السابق ٥٤٧) وارتبط الفعل (فصل) بذلك الظرف في ثلاثة مواضع دل فيها على هذا المعنى. (المرجع السابق: ٥٢٠).

والقضاء بشرط أن يأتلف بالظرف (بين).

وقد وردت لفظة (الفتح) في صيغتها الفعلية مقترنة بالظرف (بين) ـ في ثلاث آيات مكية[1]. وبيانها كما يلي:

الأولى: في إطار حوار نوح ـ عليه السلام ـ مع قومه وتأتي المفاتحة في نهاية الحوار قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢٦/ ١١٧ ـ ١١٨].

والثانية: في نهاية الحوار الذي دار بين شعيب ـ عليه السلام ـ ومعه فريق المؤمنين من جهة وبين الكافرين من جهة أخرى قال ـ تَعَالَى ـ على لسان المؤمنين: ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٧/ ٨٩].

والثالثة: توجيه من الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ لنبيه محمد ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ في محاورته للكافرين بأن الحكم الذي لا لبس فيه إنما يقضي به الله الفتاح العليم، قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [سبأ: ٣٤/ ٢٦].

ويتبين لنا من دراسة هذه الآيات في سياقها القرآني ومما نقله المفسرون عدة ملحوظات دلالية:

١ـ اقترن الفعل بالظرف (بين) في الآيات الثلاث.

٢ـ جاءت الآيات ختاما لحوار وصل إلى درجة الجدل العقيم من قبل الكافرين مع اقترانه بالإيذاء والتكذيب فلم تبق حيلةٌ ولا وسيلةٌ يملكها الأنبياء إلا الاحتكام إلى الله[2].

---

(١) انظر ما نقله السيوطي عن سور (الأعراف والشعراء وسبأ) الاتقان (١/ ٢٤، و٢٥) وانظر زاد المسير (٦/ ٤٣١، و١١٤، و٣٣٢) وانظر الجامع لأحكام القرآن: (٧/ ١٦٠، و١٣/ ٨٧، ١٤/ ٢٥٩). وهي السور التي ذكرت فيها الآيات الثلاث.

(٢) في محاورة نوح لقومه انظر الملحق الخاص بذلك وفي محاورة شعيب انظر الآيات (٨٥ ـ ٨٩) من=

٣ـ اتفقت الإجابة الإلهية لاستفتاح الأنبياء في أولئكم الآيات بعقاب الكافرين ونجاة المؤمنين.

٤ـ اتفقت الآيات من ناحية تاريخ النزول فكلها آيات مكية.

٥ـ اتفق المفسرون ـ فيما استقصيت من تفاسير ـ على أن معنى الفتح فيها هو الحكم والقضاء[١].

٦) جاءت دلالة (الفتاح)[٢]. في الآية الثالثة سبأ: (٣٤/ ٢٦) بمعنى الحاكم الذي لا يرد حكمه، والقاضي الذي يباشر تنفيذ ما يحكم به ـ منسجمة مع السياق العام للسورة التي وردت بها حيث تحدثت السورة عن سبأ ومملكة سبأ في بلاد اليمن التي ولدت فيها تلك الدلالة كما بينا ذلك بالمبحث التاريخي.

ثانيًا: الآيات ظنية الدلالة (غموض المعنى):

وقد ورد من ذلك آيتان:

١ـ الأولى: قوله ـ تَعَالَى ـ في سورة إبراهيم: ﴿وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ في إطار حوار بين كوكبة من الأنبياء وأقوامهم المكذبين بالرسالات والمجادلين بالباطل وكانت الآية الكريمة هي خاتمة هذا الحوار[٣].

= سورة الأعراف. والآيات (٢١ ـ ٢٦) من سورة سبأ في توجيه النبي ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ. وانظر كذلك ما نقله ابن كثير في حوار شعب لقومه (٢/ ٢٣٢) وانظر كذلك غرائب القرآن (١٩/ ٦٢).

(١) انظر في ذلك: تفسير غريب القرآن: (١٧٠، و٢٥٧، و٣١٨) وغرائب القرآن: (٩/ ٧، و١٩، ٦٢، و٣/ ٥٥)، ومعاني القرآن للفراء: (١/ ٣٨٥)، ومجاز القرآن (١/ ٢٢٠، و٢/ ٨٧)، وغريب القرآن وتفسيره: (/ ١٤٨)، وتفسير الطبري: (١٩/ ٥٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير: (٣/ ٥٣٨)، وتنوير المقباس: (٢٣١، و٢٦٧)، وتفسير الماوردي: (٢/ ٤٤٥)، والكشاف: (٢/ ٧٦، ٣/ ١٣١، و٢٥٩)، والمحرر الوجيز: (٧/ ١١٣، و١٢/ ٧١، و١٣/ ١٣٨)، والإتقان: (٢/ ١٣، و٣١)، والدر المنثور (٣/ ١٠٢)، وتفسير الجلالين (٣٩٤، و٤٥٨، و٦٧٠)، وانظر فتح الباري: (٨/ ١٤٧).

(٢) تحدثنا عن هذه الصيغة في المبحث التاريخي في لغات اليمن وحققنا الوثائق اللغوية التي وردت في هذا الشأن.

(٣) عرض القرآن الكريم هذا الحوار على لسان الرسل مجتمعين حكاية عن مسلكهم في الحوار =

وقد اختلف المفسرون حول دلالة الاستفتاح في هذه الآية ولخص لنا الزمخشري هذا الخلاف وقدم معنى محتملاً غير المعاني التي دار حولها الخلاف ومجمل ما ذكر الزمخشري[١]. هو جمع لكلام المفسيرين واللغويين حول دلالة لفظ الاستفتاح حيث قال: «واستفتحوا: واستنصروا الله على أعدائهم أو استحكموا الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ وسألوه القضاء بينهم من الفتاحة وهي الحكومة .. وقرئ (اِسْتَفْتِحُوا) بلفظ الأمر[٢]. وعطفه على لنهلكن أي أوحى إليهم ربهم وقال لهم (لنهلكن..) وقال لهم استفتحوا ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ معناه: فنصروا وظفروا وأفلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم.

وقيل: واستفتح الكفار على الرسل ظنا منهم بأنهم على الحق والرسل على الباطل وخاب كل جبار عنيد منهم ولم يفلح باستفتاحه «ثم قال الزمخشري بعد ذلك: «ويُحتمل أن يكون أهل مكة قد استفتحوا أي استمطروا ـ والفتح المطر[٣]. ـ في سنى القحط التي

= ومسلك الأقوام المكذبة وتأتي الآية في نهاية هذا الحوار، قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ۝ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ۝ وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٤/ ٩ ـ ١٥].

(١) انظر الكشاف (٢/ ٢٩٧) وانظر ما حكاه عنه النيسابوري في غرائب القرآن (١٣/ ١١٥).

(٢) قال ابن الجوزي: قرأ ابن عباس، ومجاهد، وحميد، وابن محيصن (واستفتحوا) بكسر التاء على الأمر. وانظر زاد المسير (٤/ ٣٥١) وانظر كذلك المحرر الوجيز (١٠/ ١٧).

(٣) هذه الدلالة انفرد بها الزمخشري عن بقية المفسرين، وقد بحثت عن هذه الدلالة. والفتح بمعنى المطر ـ فوجدت أن الفتح يطلق ويراد به الماء الجاري أو الماء السيح ـ وهي من صفات المطر ـ فقالوا الماء الفتح إلى الأرض ليسقى به وعن أبي حنيفة: والفتح الماء الجاري على وجه الأرض وجاء في الحديث: «ما سقى فتحا ففيه العشر» وفي رواية أخرى (ما روى سيحا) (انظر كتاب الخراج ١٦٤) وذكر أبو طاهر التميمي أن النهر: الفتح والفتح النصر (انظر المسلسل في غريب لغة العرب (٢٩٤) وقد نصرت البلاد إذا مطرت فهي منصورة أي ممطورة، وفي الحديث: (أن هذه السحابة تنصر أرض بني كعب) اللسان (٦/ ٤٤٤٠) ويبدو أن هذه المعاني الأولى معان حسية حيث يعني النصر والفتح/ المطر ويمكن أن نفسر ما ذكرته المعاجم عن النباتات التي تسمى بالفتح والفتاتيح أنها نباتات =

أرسلت عليهم بدعوة رسول الله ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فلم يسقوا فذكر سبحانه ذلك، وأنه خيب رجاء كل جبار عنيد، وأنه يسقى في جهنم بدل سقياه ماء آخر وهو صديد أهل النار. واستفتحوا على هذا التفسير كلام مستأنف منقطع عن حديث الرسل وأممهم».

ويمكن أن نميز في اجتهادات المفسرين عدة معانٍ بعضها معانٍ عامة في الرسل وأقوامهم، وبعضُها معانٍ جزئية تَخُص أحد الفريقين وبيانها كما يلي:

١ـ معنى الحكم والقضاء استحكموا الله وسألوه القضاء[1].

٢ـ معنى النصر استنصروا الله وسألوه النصر[2].

٣ـ معنى المطر استمطروا الله وسألوه السقيا[3].

٤ـ الابتداء بالدعاء[4].

= تنجم عن هذا الماء الفتح أو السيح ولكن لا نستطيع أن نفسر دلالة الاستفتاح في الآية بما ذكره الزمخشري.

(١) قال ابن كثير في التفسير: «استنصرت الرسل ربها على قومها، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة. وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم: استفتحت الأمم على أنفسها مما قالوا: {} ثم قال ابن كثير معقبا على ذلك: ويحتمل أن يكون هذا مرادًا، وهذا مرادا... والله أعلم انظر تفسير القرآن العظيم: (٢/ ٥٢٦)، وقال ابن عطية: «والاستفتاح: طلب الحكم، والفتاح: الحاكم والمعنى: أن الرسل استفتحوا أي سألوا الله ـ تَعَالَى ـ إنفاذ الحكم بنصرهم وتعذيب الكفرة، وقيل: بل استفتح الكفار، على نحو قول قريش: ﴿عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ «انظر المحرر الوجيز ١٠/ ٧١، و٧٢) وقال النيسابوري: «قوله: (واستفتحوا) الضمير إما للرسل والمعنى: استنصروا الله على أعدائهم، أو استحكموا الله وسألوه القضاء بينهم من (الفتاحة وهي الحكومة، وإما للكفرة بناء على ظنهم أنهم على الحق والرسل على الباطل.. وأصل الكلام على الأول ـ تقدير الضمير للرسل ـ واستفتح الرسل وخاب الكفرة، وعلى الثاني تقدير الضمير للكفرة ـ استفتحوا وخابوا، فوضع الأعم موضع الأخص والظاهر مقام الضمير تنصيصا على الكفرة بأن سبب خيبتهم عن السعادة الحقيقية تجبرهم وعنادهم» انظر غرائب القرآن (١٣/ ١١٤). وقال السيوطي: الضمير للرسل، أي استنصروا بالله وأصله طلب الفتح وهو الحكم انظر معترك الأقران (٣/ ٣٨٦).

(٢) اقتصر فريق من العلماء على ذكر معنى واحد هو النصر والمظاهرة انظر في ذلك مجاز القرآن (١/ ٣٣٧) وتفسير مجاهد (٤١٠) وحكاه ابن الجوزي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة في زادر المسير (٤/ ٣٥١) وقد جعل الإمام القرطبي الاستنصار من الفريقين انظر الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٣٤٩) وانظر تنوير المقباس (١٦١) وتفسير الجلالين (٢٧٠).

(٣) وهو رأي الزمخشري المشار إليه.

(٤) ذكره الماودري في التفسير ٣/ ١٢٧ وتبناه سيد قطب في ظلال القرآن (٤/ ٢٠٩٣).

على أنه قد رجح بعضهم أن ضمير (واو الجماعة) المتصل بالفعل عائد على المؤمنين في المعنى الأول والثاني[1]. وعائد على الكافرين في المعنى الثالث خاصة ويحتمل مرجعه للفريقين في المعنى الرابع[2]. وكذلك الحال في القراءة بفعل الأمر (واستفتحوا).

وأظن أن السبب في ذلك يرجع إلى عدة عوامل:

١ـ تعدد دلالة لفظة الفتح ـ فهي كما نعلم من المشترك اللفظي ـ في ظل غياب قرينة مصاحبة سواء بالتضاد أو بالترادف، أو أية قرينة لغوية أخرى، حيث جاءت صفة الفعل مطلقة.

٢ـ عدم تحديد مرجع الضمير المتصل بالفعل على وجه قاطع لاحتمال عوده على فريقيّ الحوار.

٣ـ صحة المعنى على جميع الوجوه والتقديرات.

ونخلص من ذلك كله إلى أن دلالة الاستفتاح عند هؤلاء المفسرين في هذه الآية دلالة ظنية، وإن ترجح لدينا معنى الحكم والقضاء فلعدة قرائن:

فبداية نستبعد المعنى الذي تفرد به الزمخشري وهو معنى الاستمطار وذلك لاعتماده على قطع الآية عن سياقها السابق واللاحق وتأوله لما بعد الآية بما يتناسب معها (انظر احتمال الزمخشري السابق).

ـ وجود الحوار الذي أشرنا إليه في الآيات قطعية الدلالة السابقة وعناصره وتشابه الختام ـ ختام الحوار ـ والنتائج المترتبة عليه واتفاق الإجابة والاتفاق من ناحية تاريخ النزول[3]. كل هذا يرجح لدينا أن هذا الاستفتاح هو احتكام إلى الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ من قبل الأنبياء بعدما فقدوا الأمل في قبول المشركين لدعوتهم على ما جرت به سنة الأنبياء من تفويض الأمر إلى الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ في وقت الشدائد.

---

(١) انظر كلام النيسابوري المشار إليه منذ قليل.

(٢) انظر رأي ابن كثير المشار إليه وكذلك كلام الزمخشري.

(٣) فهي سورة مكية.

وانظر في ذلك ما ذكره ابن الجوزي عن مكية السورة سورة إبراهيم ـ وعدم وجود خلاف بين العلماء في مكيتها. زاد المسير (٤/ ٣٤٣) وانظر الاتقان (١/ ٢٤، و٢٥) وانظر ما ذكره القرطبي في مكية هذه السورة. الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٣٣٨).

الآية الثانية:

ورد من الآيات ظنية الدلالة في معنى الفتح قوله ـ تَعَالَى ـ في سورة السجدة: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ [السجدة:٣٢/ ٢٨ـ ٣٠].

ويمكن أن نجمل أقوال المفسرين حول دلالة الفتح في الآيات في معنيين اثنين:(١).

الأول: الفتح في الآية بمعنى الحكم، وبالتالي يصبح المشار إليه بيوم الفتح هو يوم القيامة.

الثاني: الفتح في الآية بمعنى النصر، وبالتالي يصبح المشار إليه بيوم الفتح هو فتح بدر أو فتح مكة.

وقد احتج الفريق(٢). الذي ذكر أن معنى الفتح هو الحكم والقضاء في هاتين الآيتين ـ بقرينة موجودة في الآية وواقع حدث من السيرة النبوية قال الطبري: «والصواب من القول في ذلك قول من قال معناه: ويقولون متى يجيء هذا الحكم بيننا وبينكم (أي العذاب)، يدل على أن ذلك معناه قوله: ﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ ولا شك ـ ولا زال الكلام للطبري ـ أن الكفار قد كان جعل الله لهم التوبة قبل الفتح وبعده، ولو كان معنى قوله (متى الفتح) على ما قاله من قال يعني فتح مكة، لكان لا توبة لمن أسلم من المشركين بعد الفتح ولا شك أن الله قد تاب على بشر كثير من المشركين»(٣).

---

(١) ذكر الماوردي في التفسير ثلاثة أقوال في معنى الفتح:

١ـ أنه فتح مكة (قاله الفراء).

٢ـ أن الفتح انقضى بعذابهم في الدنيا (قاله السدي).

٣ـ الحكم بالثواب والعقاب (قاله مجاهد). وذكر مثل ذلك في يوم الفتح. انظر تفسير الماودري (٤/ ٣٦٨). وذكر ابن الجوزي مثل ذلك ونسب الأول للفراء وابن السائب الكلبي وابن قتيبة وزاد على الأقوال الثلاثة المتقدمة فتح بدر. انظر زاد المسير (٦/ ٣٤٥).

(٢) قاله مجاهد (تفسير مجاهد (٥٤٥)، واليزيدي (غريب القرآن وتفسيره (٣٠١) وعبارته: الفتح الحكم، والفتاح الحاكم والمعنى: أنهم كانوا يسألون العذاب. ومن هذا الفريق أبو عبيدة انظر مجاز القرآن (٢/ ١٤٩).

ومن هذا الفريق الطبري، وابن كثير، وابن الجوزي، وابن عطية (انظر الهوامش التالية).

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ٧٣).

وقريبًا من قول الطبري هذا قول أبي جعفر النحاس في إعراب القرآن[1]. وقول ابن عطية في التفسير[2]، وهاجم ابن كثير بشدة من قال إن معنى الفتح في هاتين الآيتين هو فتح مكة فقال: «ومن زعم أن المراد من هذا الفتح فتح مكة فقد أبعد النجعة، وأخطأ فأفحش، فإن يوم الفتح قد قبل رسول الله ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ إسلام الطلقاء، وقد كانوا قريبًا من ألفين، ولو كان المراد فتح مكة لما قَبِلَ إسلامهم... وإنما المراد الفتح الذي هو القضاء والفصل»[3].

أما الفريق الذي ذهب إلى أن، دلالة الفتح في الآيات هي النصر ويوم الفتح هو فتح مكة[4]. فقدم عدة حجج لتأييد ما ذهب إليه وهي:

١ـ ذكر أهل السير أن خالدًا دخل يوم الفتح من غير الطريق التي دخل منها رسول الله ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فلقيه صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو في آخرين فقاتلوه، فصاح خالد في أصحابه وقاتلهم فقتل أربعة وعشرين من قريش، وأربعة من هذيل وانهزموا، فلما ظهر رسول الله ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قال: «ألم أنه عن القتال؟!» فقيل: إن خالدًا قوتل فقاتل[5].

٢ـ فسروا الإيمان الموجود في الآيات على أنه ليس الإيمان الذي هو ضد الكفر بل

---

(١) يقول: «ويروى أن المؤمنين قالوا سبحكم الله ـ جل وعز ـ بيننا يوم القيامة فيثيب الله المحسن ويعاقب المسيء، فقال الكفار على التهزي متى هذا الفتح؟! أي هذا الحكم (إعراب القرآن ٣/ ٢٩٩).

(٢) وعبارته: «قالت فرقة يعني بالفتح فتح مكة، وهو ضعيف يرده الإخبار بأن الكفرة لا ينفعهم الإيمان» انظر المحرر الوجيز (١٣/ ٤٣).

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم (٣/ ٤٦٤).

(٤) من هذا الفريق الفراء (انظر معاني القرآن (١/ ٣٣٣) وابن السائب الكلبي منقول عنه في كثير من التفاسير انظر زاد المسير (٦/ ٣٤٥).

وهو قول ابن قتيبة. انظر تفسير غريب القرآن (٣٤٧) وروى في كثير من كتب التفسير بصيغة التجهيل وقالت فرقة وقال ناس ونحو ذلك.

(٥) ذكر هذه الحجة الفراء وأشار إليها ابن قتيبة وفصَّلها والحجة التالية لها ذكرها ابن الجوزي وإن اعتذر عنها بقوله: «وهذا القول الذي دافعنا عنه ليس بالمختار، وإنما بينا وجهه لأنه قد قيل» انظر زاد المسير (٦/ ٣٤٥).

وانظر فيما ذكر أصحاب السير سيرة ابن هشام (٤/ ١٢٤٩) وما بعدها.

وانظر الرحيق المختوم (٤٥٣ ـ ٤٥٤) وليس بينها وبين ما ذكر اللغويون كبير خلاف.

معناه الأمان واستشهدوا بقول «الزجاج» في معنى الإيمان يقال آمنت فلانا إيمانا، فعلى هذا يكون معنى (لا ينفع الذي كفروا إيمانهم) لا يدفع هذا الأمان عنهم عذاب الله. وهم يشيرون إلى قول النبي ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ «من أغلق بابه فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن»[١].

٣ـ قال الزمخشري: «فمن فسره ـ الفتح ـ بيوم فتح مكة أو بيوم بدر كيف يستقيم على تفسيره أن لا ينفعهم الإيمان، وقد نفع الطلقاء يوم فتح مكة وناسا يوم بدر قلت: المراد أن المقتولين منهم لا ينفعهم إيمانهم في حال القتل كما لم ينفع فرعون إيمانه عند إدراك الغرق[٢]. ونلحظ على حجة هذا الفريق ـ الثاني ـ ملحوظتين:

١ـ أنه فسر الإيمان في الآية بالأمان وتأول في ذلك لأن الآيات تدور بين فريقين مؤمنين وكافرين ولم ترد في السورة إشارة لغزوة أو معركة أو صلح وإذا أعطى الرسول ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ أمانًا لأحد فلا بد أن ينفذ وقد أعطى الغالبية العظمى من المشركين هذا الأمان العام في فتح مكة فكيف لا ينفعهم أمان رسول الله ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ!

٢ـ من قال أن المراد ـ بمن لا ينفعهم الإيمان يوم الفتح القتلى من المشركين لا ينفع إيمانهم حال قتلهم ـ من قال ذلك لا بد أن يجعل هذه الآيات خاصة بفريق القتلى، ولا توجد قرينة للتخصيص. ولذلك ترجح لدينا أن دلالة الفتح في هذه الآيات تعني الحكم والقضاء واليوم الموصوف بيوم الفتح هو يوم القيامة وإضافة لما قدمه الإمام الطبري وابن كثير وغيره من الأئمة في ترجيح هذا المعنى، نرى أن هناك بعض الشواهد الأخرى الدالة على ذلك وهي:

١ـ وردت الآيات في سياق سورة مكية تتحدث منذ مطلعها عن يوم القيامة، وصح

---

(١) استشهد المحتجون للمعنى الثاني بقول الزجاج في دلالة كلمة الإيمان في الآية أما رأي الزجاج في دلالة الفتح فقال في بيانه: جاء في التفسير أن أصحاب النبي ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قالوا: يوشك أن يكون لنا يوم نستريح فيه فقال المشركون: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾؟ فأعلم الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ أن الراحة في الجنة في الآخرة وجاء أيضًا في الفتح: ﴿يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ (أي أنهم ما داموا في الدنيا فالتوبة معروضة لهم ولا توبة لهم في الآخرة). انظر معاني القرآن للزجاج (٤/ ٢١١).

(٢) انظر زاد المسير (٦/ ٣٤٦).

عن النبي ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ أنه كان يقرأ هذه السورة ليلة الجمعة لما اشتملت عليه من ذكر المبدأ والمعاد وخلق آدم ودخول الجنة والنار مما يكون في يوم الجمعة تذكيرًا بيوم القيامة[١].

٢ـ يوم القيامة موصوف في القرآن الكريم بأنه يوم الفصل ويوم الحكم ويوم القضاء، وهو اليوم الذي لا ينفع فيه الإيمان ولا تصح فيه التوبة[٢]. وهذا هو ما أشارت إليه الآيات في صفة يوم الفتح[٣].

٣ـ أن ما قيل عن عدم مطابقة الجواب للسؤال في الآيات حيث سألوا عن وقت الفتح (متى هذا الفتح) فلم يكن في الإجابة بيان حقيقته وكيف ينتظرون يوم القيامة وهم ـ أي الكافرون ـ لا يؤمنون به؟ قد أجاب عنه العلماء بما لا يدع مجالا للظن، قال أبو بكر الرازي: «لما كان سؤالهم سؤال تكذيب واستهزاء بيوم القيامة لا سؤال استفهام ـ أي استفهام إنكاري ـ أجيبوا بالتهديد المطابق للتكذيب والاستهزاء لا ببيان حقيقة الوقت»[٤].

وما قاله الرازي قاله علماء البلاغة وعدوه من ضروب البديع فأطلق عليه «السكاكي» الأسلوب الحكيم[٥]. وهو تلقي المخاطب بغير ما يترقب بحمل كلامه على

(١) انظر الكشاف: (٣/ ٢٢٤).

(٢) فقه السنة ١/ ١١٣، و١١٤ .

(٣) وردت في ذلك عشرات الآيات القرآنية ويمكن أن نستشهد ببعض منها في مثل سورة البقرة (٢/ ١١٣)، وآل عمران (٣/ ٢٥)، والسجدة (٣٢/ ٢٥)، والدخان (٤٤/ ٤٢)، وغافر (٤٠/ ٥٢)، والجاثية (٤٥/ ١٧)، وسورة الروم (٣٠/ ٥٥ ـ ٥٧) وأورد الإمام ابن الجوزي في سبب نزول سورة الواقعة: بأنه لما قال المشركون متى هذا الوعد، متى هذا الفتح؟! أنزله قوله: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ [الواقعة: ١] زاد المسير: (٨/ ١٣٠) وجاءت الأحاديث النبوية بذلك قال ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت من مغربها آمن الناس كلهم أجمعون فومئذ لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا». انظر الحديث بسنده وشرحه في صحيح مسلم بشرح النووي (٢/ ١٩٤).

(٤) انظر مسائل الرازي وأجوبتها (٢٧٧).

(٥) عد الخطيب القزويني هذا الأسلوب العربي من الخروج على مقتضى الظاهر لأغراض بلاغية في إطار علم البديع وسماه السكاكي «الأسلوب الحكيم»، بينما كان يسميه الشيخ عبدالقاهر الجرجاني «مغالطة» ومن أمثلته في الشعر: (الطويل)

=

خلاف مراده، تنبيها على أنه الأولى بالقصد أو السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره، تنبيها على أنه الأولى بحاله أو المهم له.

وأجاب أبو جعفر النحاس على قولهم: كيف ينتظرون يوم القيامة وهم لا يؤمنون به؟ فقال: إما أن يكون المعنى أنهم ينتظرون الموت وهو من أسباب القيامة فيكون مجازًا وإما أن يكون فريق منهم يوقن بالقيامة وفريق آخر يشك فيكون خطابًا للصنفين(١).

وبهذا نكون قد وقفنا على الإشكال الدلالي في الآيات الكريمة والذي مصدره تعدد دلالة لفظة الفتح. وغياب القرينة اللفظية أو المحدد الظرفي (بين).

* * *

= أتـت تـشتكي عنـدي مزاولـة | وقــد رأت الــضيفان ينحــون منــزلي
قلـت ـ كـأني مـا سـمعت كلامهـا | هـم الـضيف جـدي في قـراهم وعجـلي

انظر في ذلك النقد العربي(٩٢ ـ ٩٨).

(١) إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس: (٣/ ٣٠٠).

الفصل الثالث
ظاهرة التغير الدلالي

ـ مفهوم التغير الدلالي.

ـ الأسباب التاريخية والاجتماعية.

ـ الأسباب اللغوية.

ـ التغير الدلالي والإيحاء.

التغير الدلالي: semantic change

تغير المعنى ليس إلا جانبًا من جوانب التطور اللغوي، ولا يمكن فهمه فهما تامًا إلا إذا نظر إليه من هذه الزاوية الواسعة، فاللغة ليست هامدة أو ساكنة بحال من الأحوال[1].

والمستوى الدلالي هو أكثر المستويات اللغوية عرضة للتغير وذلك لارتباطه بالعوامل الاجتماعية والتاريخية التي من طبيعتها التحول والتغير وهو يحدث بغير وعي غالبًا[2].

وقد تحدَّث علماء الدلالة عن أسباب التغير الدلالي ومظاهره وبيّنوا ـ بعد استقراء الظاهرة في لغات مختلفة ـ أن أسبابه ترجع إلى عوامل ثلاث وهي إما لغوية أو تاريخية أو اجتماعية[3]. وحصروا مظاهره أيضًا في ثلاثةِ حدودٍ منطقية وهي توسيعُ المعنى، وتضييقُه، وانتقالُ الدلالة[4]. وقد تحدثنا عن بعض هذه الأسباب والمظاهر في المبحثين

(١) دور الكلمة في اللغة ص١٧٠ .

(٢) انظر التطور اللغوي. المرجع المذكور (١٥، و١٦، و١٨٩) وما بعدها .

(٣) انظر دور الكلمة في اللغة (١٧١ ـ ١٧٤). ما ذكره العلماء عن ظهور الحاجة والتطور الاجتماعي والاستعمال اللغوي والمشاعر العاطفية والنفسية والانحراف اللغوي والانتقال المجازي. يرجع إلى هذه الأسباب العامة. انظر في ذلك علم الدلالة (٢٣٧ ـ ٢٤٢) ودلالة الألفاظ (١٣٤ ـ ١٥١).

(٤) انظر دور الكلمة في اللغة (١٨٠، و١٨١) وانظر كذلك في تفصيل هذه العوامل دلالة الألفاظ (١٥٢ ـ ١٦٧)، ودلالة الألفاظ (٢٣٤ ـ ٢٥٠)، وعلم اللغة بين القديم والحديث (٢٦٠ ـ ٢٦٢).

التاريخي والدلالي، أما هذا الفصل فنحدد مظاهر التغير الدلالي وأسبابه من خلال استقراء رحلة الفتح عبر الزمن بكل تغيراته بصورة مجملة، وبيان قضية التغير والاستقراء في الدلالة.

١. أسباب تاريخية واجتماعية

الفتاح/ الفاتح/ الفتح.

توصلنا من خلال دراسة النقوش السامية لمادة الفتح، أن الدلالة الأولى لهذه المادة اللغوية كانت تدور حول عدة معانٍ حسيَّة مثل الشق والحفر، أو إحداث فجوة وفتحة في جسم صلب[١]. ثم ارتبطت بالأشياء المغلقة بعد ذلك كالقبر، والبيت، ونحوها[٢]. فأصبح معنى الفتح فيها هو إزالة الإغلاق وهو المعنى الذي استقر بعد ذلك عند الساميين كدلالة أصلية لهذه اللفظة، ولم يمنع ذلك وجود الدلالة الأولى[٣]. ووجود التطور عنها فنجد في العبرية مثلا أن פִּתֵּחַ =piṯṯaḥ التي معناها نحت أو نقش قد تطور عنها פַּתָּח = paṯṯāḥ بمعنى نحات أو نقاش أو פִּתֵּחַ =piṯṯaḥ بمعنى حمَّض فلمًا فوتوغرافيًا في العبرية الحديثة[٤].

وحدث تطور مماثل في المصرية القديمة من معنى النحت والشق حيث ارتبطت لفظة الفتح بعبادات طقوسية يرددها الكاهن عند الاحتفال بعملية إتمام صناعة التمثال فيفتح الكاهن عينه ليرى شمس رع، ويفتح أذنه ليسمع ثناء الناس عليه، ومن خلال هذه المناسبة الفرعوينة ظهر اسم معبود الفراعنة «بتاح»[٥]. وأخذ دلالته في الثقافة المصرية القديمة وفي الثقافة القبطية بعد ذلك ـ من خلال هذه المناسبة المصرية القديمة فبتاح هو الذي يبارك التماثيل وهو الذي يعطي التمثال قداسته ودخل بذلك قاموس الآلهة المصرية القديمة وارتفع إلى مصاف آلهة المصريين القدماء.

---

(١) انظر الفصل الخاص بدراسة النقوش.

(٢) انظر المبحث التاريخي المقارن.

(٣) لاحظ ابن عطية ذلك في معنى الفتح حيث قال: «والفتح في اللغة ينقسم أقسامًا تجمعها بالمعنى التوسعة وإزالة الإبهام». وانظر المحرر الوجيز (١/ ٢٦٩).

(٤) انظر قاموس قوجمان (٧٤٨).

(٥) انظر تفاصيل ذلك بالمبحث التاريخي والمقارن.

ولا شك أن تطور دلالة الفتح من معنى النحت والشق والحفر إلى نحات ونقاش في العبرية وإلى معبود في المصرية يناسب البيئة التي تحدث فيها ذلك التطور الدلالي في اللغتين.

ونعود إلى معنى إزالة الإغلاق والذي تطور في العربية الجنوبية تطورًا يناسب المجتمع الحضاري في بلاد اليمن حيث ارتبطت لفظة الفتح بنشر خطاب يحمل قانونا ينظم العلاقات الاجتماعية، وتولى أمر نشر هذا الخطاب وتنفيذ ما فيه شخص له مكانة اجتماعية عالية وأطلق عليه الفاتح أو الفتاح وهو القائم بأمر الفُتاحة أي الحكومة والقضاء(١).

وباستمرار قيامه بالفتح في المنازعات تُنُوسِيَتْ المناسبة التاريخية لبعد الزمن وبقى شاهد الحال دليلًا عليها(٢).وظهرت دلالة جديدة للفتح هي الحكم والقضاء فالفاتح والفتاح هو القاضي والحاكم(٣). والفتح والفُتاحة الحكومة والقضاء والمفاتحة والتفاتح هو التقاضي ويوم الفتح هو يوم القضاء وبعد استعارة اللغة الفصحى لهذه الدلالة اليمنية، استخدمها القرآن الكريم، وارتقى بها من الدلالة على إنسان يقضي ويحكم بين الناس في التعامل الاجتماعي ـ إلى صفة من صفات الله الحسنى واسم من أسمائه العليا، فنقلها بذلك من الدلالة الحسية المادية إلى دلالة مجردة تجريدًا ساميًا تتناسب مع ما وصف الله -سبحانه وتعالى- في القرآن الكريم من صفات الكمال والجلال حين قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ وهو منحنىً من التجريد الفكري لم يكن موجودًا عند العرب(٤). لقد رفع القرآن الكريم لفظ (الفتاح) من آفاق محدودة إلى آفاق مطلقة من التجريد والسمو،

---

(١) انظر المبحث التاريخي المقارن.

(٢) من الشواهد على ذلك أن دلالة فتح خطاب القضاء والحكم فيه ظلت مستعملة حقبة كبيرة إلى جوار الدلالة المتطورة عنها نجد ذلك في أرجوزة الحج للرداعي اليمني يمدح بني عبد شمس يقول:

هم سبقوا الأقوام سبق الأمسى ... والسادة الشُّمّ الكماةِ القعسِ

الفاتحي باب خطاب اللبس ... والمشترينَ الحمدَ لا بالبخسِ

(انظر صفة جزيرة العرب ٤٤٩).

وانظر دارستنا لهذه الدلالة عند شعراء الجنوب العربي في الباب الأول.

(٣) أهل اليمن يسمون القاضي الفتاح حتى هذه الأيام (من حديث الشيخ متولي الشعراوي).

(٤) انظر المولد (٢٥٢، و٢٥٤) والآية من سورة الشورى (٤٢/ ١١).

وقل مثل ذلك في دلالة (يوم الفتح) في القرآن الكريم الذي يراد به يوم فصل القضاء يوم القيامة. أما صيغة «الفاتح» التي تطورت عن فتح أسوار المدن والحصون في أوقات الحروب فلها سلوك دلالي آخر، فبعد أن كانت تعني الفارس كثير التجوال والرحلة عبر الصحراء[١]. أمدها القرآن الكريم بسياق دلالي جديد حيث أطلق على سعي النبي ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وأصحابه للتمكين لدين الله في الأرض فتحًا فأطلقها على غزوة بدر ولم تكن حصون ولا أسوار وأطلقها على صلح الحديبية ثم على فتح خيبر ومكة[٢]. وفرق القرآن الكريم بين سعي المؤمنين والكافرين فسمى سعي المؤمنين فتحًا وسمى سعي الكافرين نصيبًا قال ـ تَعَالَى ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَـٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٤/ ١٤١] وكان لهذه التفرقةِ أثرُها بعد ذلك[٣] ، فأطلق لقب «الفاتح» من الفتح الذي هو بمعنى الغلبة والتمكين وظهور الإسلام على الدين كله ـ أطلق على النبي ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ[٤]. يقول الإمام ابن القيم[٥]. في ذلك: «وأما الفاتح فهو الذي فتح الله به باب الهدى بعد أن كان مُرْتَجًا، وفتح به الأعين العمي والآذان الصم، والقلوب الغُلف، وفتح اللهُ به أمصار الكافرين، وفتح الله به أبواب الجنة، وفتح به طرق العلم النافع، والعمل الصالح، ففتح به الدنيا والآخرة، والقلوب والأسماع والأبصار، والأمصار»[٦].

(١) انظر الوحدة الدلالية الثانية في الأدب الجاهلي في الباب الأول.

(٢) انظر الوحدة الدلالية الثانية في القرآن الكريم في الباب الثاني.

(٣) لاحظ ذلك كثير من العلماء والمفسرين يقول الزمخشري: «فإن قلت لم سُمِّى ظَفَرُ المؤمنينِ فتحًا، وظفرُ الكافرين نصيبًا قلت: تعظيمًا لشأن المسلمين وتخسيسًا لحظَ الكافرين لأن ظفر المسلمين أمر عظيم تفتح له أبواب السماء» الكشاف (١/ ٣٠٦) ووضح الرازي أن التفرقة بين ظفر المسلمين وظفر الكافرين تتمايز بمكانة المسلمين من دين الله والآخرة أما الكافرون فحظهم عرض الدنيا ومتاعها الزائل. انظر في ذلك مسائل الرازي (٥٩، ٦٠).

(٤) أورد هذا اللقب الإمام ابن القيم نصا على أسماء الرسول ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ حيث عقد فصلا في أسمائه ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ثم شرحها بعد ذلك.
انظر في أسماء النبي ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ. زاد المعاد (١/ ٢٠) وما بعدها.

(٥) المرجع السابق نفسه.

(٦) يتضح من شرح الإمام ابن القيم لدلالة «الفاتح» في أسمائه ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ أن هذه المعاني متطورة عن معنى إزالة الإغلاق على سبيل الكناية والمجاز انظر المرجع السابق نفسه.

وهنا ملاحظة جديرة بالاهتمام وهي أن صيغة «الفتاح» لم تستخدم في المعاني السابقة وذلك بعد رقيها الكبير في سلم التعظيم والإجلال بالنظر إلى كونها اسما من أسماء الله الحسنى، فقد خصصت دلالتها بلفظ الجلالة أو ما يمكن أن نسميه عرفية شرعية[1]، وخصصت دلالة الفاتح بمعنى المجاهد المنصور بالنبي ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ، وهذا يفسر لنا السر في تلقب عظماء ملوك وسلاطين المسلمين بعد ذلك زَمَنَ دولةِ الإسلام بلقب «الفاتح» دون لقب «الفتَّاح»[2]. فالرسول ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قدوة المجاهدين الفاتحين، وبالتالي حدث تمايز دلالي بين صيغة «الفتاح» و«الفاتح» على مستوى الاستخدام اللغوي بعد ذلك[3]، فقد بيّن لنا القلقشندي في صبح الأعشى[4]. شيوع لقب الفاتح في العصر المملوكي بقوله: «الفاتح: فاعل من الفتح بمعنى النصر، والمراد فتح الأمصار

(١) بين لنا الأصوليون هذا المنحى من التطور الدلالي «تصرف الشرع في الشروط التي تجعل اللفظة مناسبة للدلالة الجديدة» وهو هنا نقل دلالة الفتاح من كونها صفة لبشر إلى كونها صفة لرب البشر واستعملها عن طريق التجوز بتقييدها بشروط معينة وكثر دورانها على ألسنة أهل الشرع فاكتسبت عرفية شرعية».

وقال الغزالي معقبًا على هذه القضية: «والمختار عندنا أنه لا سبيل إلى إنكار تصرف الشرع في هذه الأسامي، ولا سبيل إلى دعوى كونها منقولةً عن اللغة بالكلية كما ظنه قوم، ولكن عرف اللغة تصرف في الأساس فتصرف الشرع في الحج والصوم إذ للشرع عرف في الاستعمال كما للعرب».

انظر التصور اللغوي عند الأصوليين ٧٨، ٧٨).

(٢) ورد لفظ الفاتح والفتاح في القراءات المشهورة والشاذة وصفا لله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ بدرجة متساوية، أما وروده في القراءة السبعية ففي قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَـٰتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٧/ ٨٩] وفي الشاذة {وهو الفاتح العليم} انظر مختصر شواذ القراءات لابن خالويه (١٢).

(٣) لاحظ العلماء أن التطور من الاتساع إلى التضييق هو التطور الطبيعي لتاريخ اللغة وهذا ما ذهب إليه الأصوليون في تحديد الدلالة، يظهر ذلك من قولهم المشهور: «ما من عام إلا ويتخيل فيه التخصيص، التصور اللغوي (٩٦) وهذا ما حدث للفظه «الفتاح» التي خصصت بلفظ الجلالة بعد نزول القرآن الكريم على العكس من كلمة الفاتح التي رغب كثير من الملوك في التلقب بها والتشبه بصاحبها بينما لم يسمح العرف يفعل ذلك مع صفة الفتاح.

(٤) صبح الأعشى (٦/ ٢٢).

وتملكها، وكان يطلق على ملوك المغرب في عصر المماليك» ومنها «فاتح الأقطار»[١]. و«فاتح الحصون والقلاع والأمصار»[٢]. ولقب «فتح الدولة والدين» الذي أطلق على بعض سلاطين بنجال[٣]، وقد انتشر التلقب بصفة الفاتح أو أبو الفتح على امتداد رقعة العالم الإسلامي[٤].

وأشهر من أطلق عليهم لقب «الفاتح» ـ أسوة بالنبي ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وأصحابه ـ هو السلطان صلاح الدين الأيوبي «فاتح الطراز الأخضر من بني الأصفر»[٥]. كما أطلق على السلطان «محمد الفاتح» فاتح القسطنطينية في عهد الدولة العثمانية وقد لقب في اللغة التركية بـ«فاتح الأبواب» وأصبح هذا اللقب الأخير لقبًا مستقرًا في الدولة العثمانية يلقب به من يدير شئون الخلافة وذلك استبشارًا بما حققه السلطان محمد الفاتح[٦].

وقد اختفى لقب «الفاتح» من سجل الحكام المسلمين في عصور انكماش حركة الفتح الإسلامي وحلت ألقاب تتناسب وموقف الدفاع مثل «غياث الإسلام والمسلمين»[٧]. و«كهف الأمة»[٨]. و«قاتل الكفرة والمشركين»[٩]. وأمعن لقب الفاتح في الاختفاء في عصور التدهور والانحطاط السياسي والعسكري وأصبح لقبًا تاريخيًا في ذاكرة الأمة.

---

(١) المرجع السابق: ٦/ ٦٣).

(٢) أطلق على الظاهر بيبرس في وقفية بتاريخ ٦٦٦هـ في مسجد خالد في حمص وهو يشير إلى إجلائه الصليبيين عن حصونهم، والحشيشية عن قلاعهم وفتحه بلاد الأرمن وسلاجقة الروم. انظر الألقاب الإسلامية (١١٥).

(٣) المرجع السابق: ٤١٦).

(٤) انتشر مصطلح (فاتح شدن) في اللغات الفارسية والكردية والأوردية وكذلك في لقب (أبو الفتح بهلوان جهان) في حقبة الحروب الصليبية وانتصارات المسلمين المتتابعة. انظر المرجع السابق (٢٢٧، و٢٢٨) والمعجم الذهبي (٤٢٢).

(٥) أطلق على السلطان صلاح الدين الأيوبي في نص جنائزي بتاريخ شعبان ٦٢١هـ في ضريح الملك الظاهر في حلب. انظر الألقاب الإسلامية ٤١٥.

(٦) انظر أثر المعجم العربي في لغات الشعوب الإسلامية (٨١).

(٧) الألقاب الإسلامية (٤١٤).

(٨) المرجع السابق: (٤٤٠).

(٩) المرجع السابق: (٤٢٣، ٤٢٤).

وقد اختفى لقب «الفاتح» و«الفتح» الذي هو بمعنى النصر والظفر في وجدان المسلمين بظلال وإيحاءات دلالية خاصة جعلت منه لقبًا محببًا للنفوس فلا يطلق إلا على الفتوح الإسلامية والفاتحين المسلمين، أما ما يحققه الأعداد من انتصار علينا فإننا نُطَلق عليه غزوًا أو احتلالًا[١]. وما ذلك إلا لما أحاط بلفظة الفتح في ظلال دلالية جعلت منها رمزًا لعزة المسلمين وقوتهم، مع أن الفتح والغزو لا يستقلان في أصل الدلالة[٢].

٢) أسباب لغوية:

من أبرز الأسباب اللغوية في التغير الدلالي هو ما أشرنا إليه في الوحدة الدلالية الأولى في القرآن الكريم وهو ما يعرف بعلاقة المصاحبة وقد تحدثنا في الوحدة المشار إليها عن حضور علاقة المصاحبة وكون ذلك جزءا من الأداء الدلالي أما في هذا الفصل فيكون الحديث منصبًا على التطور الدلالي حال حضور علاقة التصاحب وحال غيابها فقد تتجاور كلمتان لتأدية معنى معين ولكثرة ورودهما تحمل إحدى الكلمتين فقط معنى الكلمتين وهما في حالة تصاحب وحضور وسنتحدث هنا عن نماذج من التطور الدلالي في وجود علاقة المصاحبة ونماذج أخرى تغيب فيها هذه العلاقة ظاهريًا مع وجود آثارها الدلالية وهذه بعض النماذج:

١. فتح + الشفتين (الفم):

سلكت هذه العلاقة طريقًا خاصًا في التطور للغة العبرية يختلف عن طريقها في اللغة العربية وأكملت مسيرتها التاريخية في المجال الدلالي العبري فتعبير مثل (pithou pe = piṯēn pē) بمعنى فتح الشفتين وهو كناية عن مجرد الحديث والكلام قد

---

(١) من ذلك أني عرضت عبارة «إسرائيل ولفنسون» في كتابه تاريخ اللغات السامية «الفتح الإسرائيلي لفلسطين». على مجموعات مختلفة من المثقفين فوجدت نفورًا واستهجانًا لهذا التعبير ومع ذلك نجد أن بعض العلماء والمفكرين المسلمين يستخدمون لفظة الفتح في معنى القهر والغلبة فيطلقونها على كل من يتحقق له ذلك. نجد ذلك عند الأمير شكيب أرسلان عندما يصف نابليون والإسكندر الأكبر بالفاتح العظيم في ص (١٥، و١٠٨) وفعل ذلك الدكتور علي عبدالحليم محمود عالمية الدعوة (٢/ ٣٥٩) والأستاذ مصطفى أمين في وصفه لجيش الاحتلال الفرنسي والفرنسيين للجزائر بالفاتحين في عموده فكرة بأخبار اليوم ٣٠/ ١٢/ ١٩٩١ وغير هؤلاء كثيرون...

(٢) انظر الوحدة الدلالية الثانية في الأدب الجاهلي بالمبحث التاريخي.

تطور في العبرية إلى معان مثل الفصاحة وطلاقة اللسان والذريعة والحجة(١).

وتلك الدلالات المتطورة عن المصاحبة المشار إليها هي التي تداولها Pitḥen pē اليهود فيما بينهم موصين بعضُهم بعضًا بكتمان علمهم ببعثة النبي - صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كي لا يعطوا المسلمين حجة عليهم وذريعة للإيمان به - صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -(٢). قال - تَعَالَى -: ﴿وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٢/ ٧٦].

وقد وجدت المصاحبة بين الفتح والفم في اللغة العربية ولكنها سلكت طريقًا آخر في تطورها الدلالي فهي من المجال الدلالي الخاص بالإنسان وقد نقلت إلى المجال الدلالي الخاص بالحيوان على سبيل الكناية والمجاز وقد تم النقل لطرفي المصاحبة قال الشاعر(٣). واصفًا غناء حمامة:

عجبت لها أني يكون غناؤها ... فصيحا ولم تفتح لمنطقها فما

وقال آخر في وصف حيوان مفترس:(٤)

يَفْتَحُ للضَّغْمِ فَمًا لَهَمَّا ... عَنْ سُبُكٍ كَأَنَّ فيه السُّمَّا

ومثل قول أبي النجم:(٥)

لِلشَّق تَهوى جَوفُها مفتوحا ... تحكي الفصيلَ الهَادِلَ المقروحا

أي تهوى منفتحا جوفُها، مشبها انفتاح الجوف أو الضربة بانفتاح فمِ الفصيل.

واستخدمت كلمةُ اللُّهَا بديلا عن الفم في مصاحبة الفتح، وقد وردت كناية عن كثرة الثناء المترتب على كثرة العطاء قال الشاعر:(٦)

(١) انظر قاموس قوجمان (٧٤٩) وانظر سفر المزامير (١١٩/ ١٣٠) وسفر الأمثال (٨/ ٦) وسفر المزامير (٧٨/ ٢).

(٢) انظر تفسير الآية وبيان هذه القضية بالوحدة الدلالية الثانية في القرآن الكريم.

(٣) انظر الوحدة الدلالية الثانية في الدراسة المقابلة بالمبحث التاريخي.

(٤) انظر: كتاب الفرق لقطرب (٤٧) وكتابان في الفرق: الكتاب الأول (٢٥)، والثاني (١٥)، وكتاب الفرق والشاء للأصمعي (٣٤، و٥٥، و٥٦).

(٥) انظر كتاب الشعر لأبي علي الفارسي (١/ ٥١٦، و١١٧).

(٦) كذا ورد بنظام الغريب (٧٤) ولم يبين الربعي أو محقق الكتاب نسبته إلى قائل.

لابـــنِ يَحْيَـــى مكـــارمٌ بَلَغَـــــتْ إلى الـــــسُّهَا

جَـــادَ شِـــعْرِي بِجُـــودِهِ واللُّهَـــا تَفْـــتَحُ اللُّهَـــا

ومع وجود هذه المعاني الكنائية في اللغة العربية إلا أن مصاحبة الفتح للفم لم تتطور إلى دلالة العلم والفصاحة أو البيان والحجة كما هو الحال في العبرية إلا بعد المناسبة التاريخية التي انتقلت من خلالها الدلالة إلى العربية فقد دخل هذا المعنى إلى اللغة العربية ـ كما أشرنا من قبل ـ في حكاية القرآن الكريم لقول اليهود، وباستخدام القرآن الكريم لهذه الدلالة ترسخت ظلالها في الاستخدام العربي بعد ذلك فأصبح معنى «فتح الله عليك»[1]. أو «فتح الله لك»[2]. علمك وهداك وأرشدك ومن هذا المعنى أخذت المؤلفات العربية التي تسمت بالفتح دلالتها الإيحائية مثل «فتح القدير» في التفسير و«فتح الباري» في الحديث الشريف، و«الفتح على أبي الفتح»[3]. في النقد و«الفتوحات المكية» في التصوف وعدد المؤلفات الإسلامية في ذلك كثير وقد غلب هذا المعنى على غيره من المعاني عند الصوفية في تفسيرهم لآيات الفتح كما سنرى في الدلالة الهامشية الخاصة عند الصوفية.

٢. تطور فتح إلى معنى بدأ:

تطور معنى فتح من إزالة الإغلاق إلى معنى بدأ في العربية والعبرية والآرامية وذلك للعلاقة المنطقية التي تربط بين نهاية الإغلاق وبداية الإزالة، وهو تطور لغوي، ففتحة

(١) انظر: الاقتباس من القرآن الكريم (٢/ ٩٥).

(٢) جاء في الحديث «وأن يفتح لهم الكتاب» أي يتيسر لهم علمه.

انظر الإتقان (٢/ ٥) وعلى لسان الأخطل (فتح ـ والصليب ـ لي القول) طبقات فحول الشعراء (٢/ ٤٨٧) وعلى لسان زوجة جرير الشاعر المعروف (حتى فتح له) والمعنى في العبارتين ألهم قول الشعر. المرجع السابق (٢/ ٤٣٧). وعلى لسان عبدالحميد الكاتب (حتى يفتح الله عليك) أن ييسر لك الأمر وفي رواية «حتى يفتح الله لك». انظر العقد الفريد: (١/ ٢١٠). وجاء معنى استفتح المصحف بمعنى استعلم حظّه لأحد خلفاء بني أمية. انظر خزانة الأدب (٢/ ٢٢٨).

(٣) الكتاب لمحمد بن أحمد بن فُورَّجة من نقاد القرن الرابع الهجري وهو بتحقيق عبدالكريم الدجيلي. بغداد ١٩٨٧م.

الباب هي أول ما يبدأ به الزائر[(١)]. وهكذا فاتحة كل شيء بدايته وأوله[(٢)]. «ففاتحة الكتاب» هو أول الكتاب في رسم المصاحف وأول التلاوة في الصلاة فموضعها من الكتابة والتلاوة يعطي معناها[(٣)].

وقد وجد هذا المعنى في الآرامية פְּתִי תָא =pĕīṯhte بمعنى مقدمة أو تمهيد أو افتتاحية واقتبستها العبرية من الآرامية بهذا المعنى[(٤)].

٣. السيف المسلول والسيف المفتوح!

من خلال دراستنا لعلاقة المصاحبة في الوحدة الدلالية الأولى في القرآن الكريم تبين لنا أن مادة الفتح في مصاحبتها لكلمة متاع ـ والذي فيه وجه من وجوه الإغلاق كالشد والربط والتغطية[(٥)]. قد نقلت دلالة الفتح إلى معان مثل فك وحل وكشف الغطاء في اللغتين العربية والعبرية[(٦)] وهذا التطور يفسر لنا إطلاقَ لفظةِ פְּתִיחָה = pĕṯiḥā على «السيف المسلول» في اللغة العبرية[(٧)].

فالمظنونُ أن اللفظة المصاحبةَ للفتح وهي الوعاء الذي يوضع فيه السيف قد حذفت لكثرة الاستخدام وبقيت لفظة الفتح تحمل دلالة التصاحب بمفردها، والقرنية العقلية تمنع أن يكون الفتح قد حدث للسيف بل لما يوضع فيه السيف.

وربما يفسر لنا هذا الاستنتاج مصدرَ اللحنِ المشهور لعبيدالله بن زياد[(٨)](٣٠ ـ ٦٧هـ)

---

(١) (فَتحِ بابِ) بمعنى بداية العمل في اللغة الفارسية وهي مستعارة من اللغة العربية. انظر أثر المعجم العربي في لغات الشعوب الإسلامية (٣٩).

(٢) فقه اللغة وسر العربية (٢٠) يُطلق لفظُ الفاتح في بعض البلاد العربية ويُراد به الأول فالفاتح من رمضان هو أول أيامه والفاتح من سبتمبر هو أول أيام الثورة الليبية.

(٣) انظر مجاز القرآن (١/ ٦) وتفسير الطبري (١/ ١٠٧)، وتفسير الماوردي (١/ ٤٥)، وإعراب ثلاثين سورة (١٨)، والمحرر الوجيز (١/ ٦١).

(٤) انظر قاموس قوجمان (٧٤٩، و٧٤٦).

(٥) انظر الوحدة الدلالية الأولى بالمبحث الدلالي. وانظر ما نقلناه عن ا بن عطية وفخر الدين الرازي في هذا الشأن والمراجع هناك.

(٦) انظر قاموس قوجمان (٦٤٨).

(٧) المرجع السابق نفسه (٧٤٩).

(٨) انظر في ذلك: خزانة الأدب (٢/ ١٤)، والمولد (٢٨٢)، والعربية ليوهان فك (٢٤).

عندما قال للجنود: «افتحوا سيوفكم» وهجاه يزيد بن مفرغ بقوله:

ويـوم فتحـتَ سـيفكَ مـن بعيـدٍ أضـــعت وكـــلُّ أمـــرك للـــضياع

فقد بيّن يُوهان فك[1]. أن هذا اللحن يرجع إلى الأوساط اللغوية التي نشأ فيها عبيدالله بن زياد، حيث ظلت التعبيراتُ المتعارفةُ لدى السكانِ الأصليين، تمثل شبكة تحيط باللغة العربية، فالأنباط الذين كانوا ينطقون اللهجات الآرامية، وغيرُهم ممن احتك بهم العرب في ذلك القرن الذي عاش فيه عبيدالله بن زياد وغيره ـ كانوا من مصادر اللحن.

٣. الإيحاء والتغير الدلالي:

(دلالات خاصة لآيات الفتح عند الصوفية)

من صور التطور الدلالي ما نجده في مصطلحات الصوفية من دلالات خاصة لآيات الفتح عند الصوفية، ومعنى العلم والتوفيق الإلهي للوصول إليه والفيض والكشف عن الحقائق والأسرار هو أوضح دلالات الفتح عند الصوفية في معناه العام عندهم، إضافة إلى الدلالات الرمزية الخاصة بهم.

لقد أسقط الصوفية رؤيتهم الوجدانية والروحانية وأوهامهم أحيانًا على دلالة الآيات وتوسعوا في هذا المعنى الأساسي عندهم ـ وهو العلم[2]. ـ توسعا كبيرًا.

فالفتوح عند الصوفية أنواع:

فتوح عبارة في الظاهرة وفتوح حلاوة في الباطن وفتوح مكاشفة للحق[3].

---

(١) المرجع السابق: (٢٤ ـ ٢٦).

(٢) لو نظر نظرة سريعة لتفسير ـ أو بمعنى أصح إيحاءات الدلالة ـ آيات الفتح عند الصوفية لوجدناها منصبة على هذا المعنى.

انظر على سبيل المثال: تفسير ابن عربي (١/ ٦٦، ٢/ ٣٦٣ و٣٨٩ و٥٠٥ و٥٦٣ و٧٥٧) وتفسير التستري (١٣٦)، وتفسير غرائب القرآن (التعليقات الإشارية) (١/ ٣٧٣، و٩/ ١٣٧، و١٤/ ٢٣). وانظر مقدمة ديوان ابن الفارض (٢٥،٢٣،٢٢، ٢٦، ٤١).

(انظر دلالة فتح المذكورة في أقوال ابن الفارض وشيوخه وتلاميذه في الصفحات المشار إليها) وانظر ديوان ابن الفارض (١٢٨، و١٦١).

(٣) انظر المعجم الصوفي (٤٩٣، و٨٦٤) وملحق بتعريفات الجرجاني (١٥٧).

وقد أثرت نظرتهم الخاصة في معاني الفتح فنجد أن معنى الحكم والقضاء في دلالة «الفتاح» مهمل عند الصوفية لقد صرفوا دلالتها إلى معنى الفتح بالعلم والأسرار[١]. والنصر والرزق (وهو المعنى الشائع عند عامة المسلمين في هذه الأيام)[٢]. ثم أدخلوا تلك الدلالة في مجالهم الإيحائي الخاص فاسم «عبدالفتاح» عند الصوفية يطلق على السالك الذي أعطاه الله أسرار المفاتيح على اختلاف أنواعها ففتح به الخصومات والمغالق والمعضلات والمضائق وأرسل به فتوحات الرحمة وما أمسك من النعمة)[٣].

و«حضرة الفتح»[٤]. ـ وهي خاصة باسم الفتاح ـ هي الزمن الذي يفتح الفتاح له بما شاء من أسرار يقول ابن عربي في هذه الحضرة.

حضرة الفتاح للفتح وما ... يعلم الشخص بما يفتح له

«والفتح القريب» الوارد في القرآن الكريم ليس هو فتح خيبر كما رأينا في التفسير بالمأثور، بل هو رمز لما انفتح على العبد من مقام القلب وظهور صفاته وكمالاته عند قطع منازل النفس، وهذا هو رمز لمقام الرضا عند الصوفية[٥].

و«الفتح المبين» الوارد في قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [٦].

فهو دلالة على مقام الولاية، وتجليات أنوار الأسماء الإلهية المفنية لصفات القلب وكمالاته[٧].

---

(١) قال الإمام أبو حامد الغزالي في دلالة «الفتاح» هو الذي بعنايته ينفتح كل مغلق، وبهدايته ينكشف كل مشكل، فتارة يفتح الممالك لأنبيائه، ويخرجها من أيدي أعدائه يقوله ـ تَعَالَى ـ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ وتارة يرفع الحجاب عن قلوب أوليائه ويفتح لهم الأبواب إلى ملكوت سمائه وجمال كبريائه يقول: «ومن بيده مفاتح الغيب والرزق فالأحرى أن يكون فاتحًا». المقصد الأسنى (٨٠). والغزالي بهذا الشرح يعرف مفهوم صفة الفتاح عند الصوفية.

(٢) يشيع على ألسنة العامة والخاصة عبارة «يا فتاح يا عليم يا رزاق يا كريم» وهي: تشير إلى أن دلالة الفتاح تتجه إلى معنى من يفتح أبواب الرزق والعلم وهي عبارة تسربت من حياة الصوفية والروحية الخاصة إلى الحياة العامة.

(٣) اصطلاحات الصوفية ١٢٣.

(٤) انظر الفتوحات المكية (٤/ ٢٢٠، و٢٢١).

(٥) انظر تفسير ابن عربي (٢/ ٦٣٩).

(٦) الفتح: ٤٨/ ١.

(٧) اصطلاحات الصوفية (١٤٥).

وقوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ [الأنعام: ٦/ ٥٩] يوضح ابن عربي الدلالة ـ في إطارها الإيحائي لديه ـ في الآية ببيانه أن معنى الفتح هو حركة إلهية، هي حركة المفتاح عند الفتح، وهو حال تعلق التكوين بالأشياء ويقسم المفاتح إلى ثلاثة أقسام المفاتح الأول، والثواني، والثوالث، وهذا التقسيم يبينه على نظرتين فيهما تفاوت كبير، نظرة عرفانية والفتح فيها: إنساني علمي، ونظرة إيجادية يصور فيها ما يدعيه في ما يعرف بالتجليات[1].

أما قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [النصر: ١١٠/ ١] فهو أعلى الفتوحات وأكملها عند الصوفية وهو ما انفتح على العبد من تجلي الذات الأحدية والاستغراق في عين الجمع بفناء الرسوم الخَلْقِيْة[2].

ويتبين لنا مما سبق أن الصوفية قد ولدوا دلالات جديدة مشبعة بإيحاءات خاصة بإطارهم الفكري والثقافي.

وقد حدد الفقهاء والعلماء أن هذه الإيحاءات لا تصلح أن تكون تفسيرًا للقرآن الكريم، إنما دلالة الألفاظ في القرآن الكريم مرتبطة بدلالتها اللغوية عند العرب زمن نزول القرآن الكريم وعرف الشرع في معانيها. ولذلك بينوا أن عرف الناس أو طائفة بعينها لدلالة تخالف الدلالة القرآنية لا يغير من العرف الشرعي حول الدلالة شيئا[3].

ويمكن أن نسمي هذا النوع من التطور تطورًا عن طريق الإيحاء الدلالي.

* * *

(١) انظر الفتوحات المكية (٢/ ٥٠٥، و٥٠٨، و٥٥٦، و٣/ ١٥٣).

(٢) انظر اصطلاحات الصوفية (١٤٥) وتفسير ابن عربي (٢/ ٦٠١، و٦٣٩، و٨٦٥).

(٣) بتصرف عن أصول الفقه للشيخ محمد أبو زهرة (١٥٥ ـ ١٥٧).

الخاتمة

١- ملخص النتائج.

٢- الملحقات الخاصة بالبحث.

٣- المصادر والمراجع.

* * *

الخاتمـة

وتشمل أهم النتائج والتوصيات الخاصة بالبحث ثم الملحقات.

(١) أهم النتائج:

أولا: النتائج العامة:

١- قدمت الدراسة نموذجًا جديدًا لتتبع تاريخ الدلالة، يقوم على أساس تحديد المنطلق أو المحور الأساسي، ثم البحث في أصولها الأولى، ومعالجة تطورها عن تلك الأصول.

٢- ربطت الدراسة بين النظرية والتطبيق في كل خطواتها. فنقلت الدرس الدلالي مباشرة إلى حيز التطبيق العلمي.

٣- وضعت الدراسة جهود علمائنا القدامى في إطار علم اللغة الحديث، سواء فيما يخص الأشباه والنظائر، أو المشترك اللفظي، أو المعجم، أو ما يخص علم التفسير، وكشفت عن قيمة هذه الجهود. وتراثها النظري والتطبيقي.

أما النتائج الخاصة بالأبواب والفصول فتتلخص فيما يأتي:

فيما يخص الدراسة التاريخية:

١- تمكنت الدراسة من رصد الأصول الدلالية لمادة الفتح في النقوش السامية، وقدمت نموذجًا تطبيقيًا لتوظيف دراسة النقوش في البحث اللغوي عامة والدرس الدلالي خاصة.

٢- توصلت الدراسة إلى المناسبة التاريخية التي تطور عنها معنى (فتح) إلى دلالة الحكم والقضاء وكشفت عن الخلفية الثقافية والاجتماعية لذلك التطور وبيئته، وقد ظل ذلك أمرًا مجهولاً أو غير بيِّن في المؤلفات اللغوية والتفسير على مر العصور.

٣- توصلت الدراسة إلى حل الإشكال واللبس البادي في دلالة (بتاح) على معبود مصري قديم، ودلالة (الفتاح) في العربية، ووضحت اختلاف المسيرة التاريخية للدلالتين المصرية القديمة والعربية الفصحى اختلافًا كليًّا، وأثبتت الدراسة وجود الصلة بين اللغة المصرية القديمة واللغات السامية عن طريق الاستخدام اللغوي، كما فندت

الدراسة الآراء التي قالت بأن لفظ الفتاح ودلالته قد وقعت للعرب من المصرية القديمة.

٤- كشفت الدراسة عن أهم المصاحبات القديمة للفظة الفتح في اللغة العبرية، وبمقارنة ذلك بمثيلها في العربية وضعت الدراسة الأساس الدلالي الذي تولدت عنه الوحدات الدلالية بعد ذلك في اللغتين واللغات الأخرى ذات الارتباط.

٥- رصدت الدراسة خط سير الدلالة في الأدب الجاهلي اعتمادًا على نتائج الفصلين السابقين، وتمكنت من تحقيق نسبة بعض الوثائق والشواهد إلى قائليها، ومعرفة قبائلهم وبيئتهم اللغوية وصولا إلى مصادر الدلالة في اللغة العربية قبل نزول القرآن الكريم، وإيضاح العلاقات اللغوية بين قبائل العرب، وموقع ذلك من اللغة الفصحى، وقد حققت الدراسة في ذلك بعض النتائج التي أحسبها مفيدة، أشرت إليها في سياقها.

الدراسة الدلالية:

١- وظفت الدراسة عبارات علماء المشترك والغريب عن دلالات الفتح في قضية تعدد المعنى، واختبرت صحة تلك العبارات عن طريق مفهوم المصاحبة، وأوضحت الدراسة أن مؤلفات الأشباه والوجوه والنظائر ينقل بعضها عن بعض، وتتبع طريقة شبه واحدة في عرض الدلالة، أما مؤلفات غريب القرآن ومعاني القرآن فتابعت في أغلبها نظام أبي عبيدة في مجاز القرآن بخصوص دلالة الفتح.

٢- تمكنت الدراسة من استخدام معطيات علم الدلالة في التحليل الدلالي مثل استخدام المكي والمدني في تحصيل المعنى وتقسيم الوحدات الدلالية في القرآن الكريم، واستخدام مفهوم التضاد في التعريف اللغوي وتطبيق ذلك على المعجم العربي، واستخدام مفهوم المصاحبة اللغوية في قضية غموض المعنى (الآيات ظنية الدلالة)، واستخدام نظام الوحدة الدلالية في التفسير.

٣- رصدت الدراسة ظاهرة التغير الدلالي عبر الزمن، وأوضحت بعض مظاهرها وأسبابها، وتوصلت في ذلك إلى بعض النتائج والفروق الدلالية على مستوى الاستخدام عبر العصور التاريخية، وعلى مستوى تخصيص الدلالة وتعميمها، ومعرفة مسيرتها التاريخية.

بعض التوصيات:

١- توجيه العناية إلى دراسة تاريخ دلالة الألفاظ في اللغة العربية، على أن نبدأ بدراسة ألفاظ القرآن الكريم، فهو أهم مصادر الثروة اللغوية العربية.

٢- توجيه العناية إلى دراسة الألفاظ المشكلة دلاليًّا حتى يمكن تحقيق هدفين:

الأول: الإسهام في التأريخ للدلالة وحياة الألفاظ في اللغة العربية وصولا لصناعة المعجم اللغوي التاريخي للغة العربية.

الثاني: حل المشكلات الدلالية المتعلقة بتحصيل المعنى وتعدد الدلالة، والوقوف على مصادر اللحن، وضبط قضية التغير الدلالي، ومعرفة النتائج المترتبة عليها.

٣- إعادة قراءة جهود علمائنا القدامى في ضوء علم اللغة الحديث والإفادة من تلك الجهود في كل مستويات البحث اللغوي.

* * *



الملحقـــات

١- آيات الفتح.
٢- الحديث عن نوح . عليه السلام . في القرآن الكريم.
٣- مادة فتح وسكر.
٤- النقوش السامية.
٥- بعض المصاحبات اللفظية في العهد القديم.
٦- نموذج لخط سير الدلالة.

* * *

ملحق رقم (١)

ملحق بآيات الفتح وبيان المكي والمدني:

م	آيات الفتح في القرآن الكريم	السورة ورقم الآية	المكي	المدني
١	﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾	البقرة ٢/ ٧٦	-	مدنية(١)
٢	﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ﴾	الأنعام٦/ ٤٤	مكية(٢)	-
٣	﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾	الأعراف ٧/ ٩٦	مكية(٣)	-
٤	﴿وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ﴾	الحجر ١٥/ ١٤	مكية(٤)	-
٥	حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا ذَا عَذَابٖ شَدِيدٍ إِذَا	المؤمنون ٢٣/ ٧٧	مكية(٥)	-

---

(١) قال ابن عباس هي أول ما نزل بالمدينة، وبها آيات من آخر ما نزل على الإطلاق.
انظر: زاد المسير في علم التفسير ١/ ١٩، ٢٠، والبرهان في علوم القرآن ١/ ١٩٤.

(٢) الأنعام في السور المكية التي نزلت جملة واحدة إلا ثلاث آيات نزلت بالمدينة أشار إليها العلماء من أول قوله: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡ﴾. انظر: الإتقان ١/ ٢٤، ٢٥، والبرهان ١/ ١٩٣، وقوله: (فتحنا) قرأه ابن عامر بالتشديد، وخففه باقي القراء. قال أبو طالب القيسي: (والتخفيف والتشديد لغتان غير أن التشديد فيه معنى التكثير والتكرير). والتخفيف والاختيار للإجماع عليه.

(٣) الأعراف سورة مكية. انظر البرهان في علوم القرآن ١/ ١٩٣.

(٤) قال ابن الجوزي: سورة الحجر مكية كلها من غير خلاف نعلمه. زاد المسير ٤/ ٣٧٩.

(٥) سورة المؤمنون هي من أواخر ما نزل في العهد المكي. انظر: البرهان ١/ ١٩٤. وقد أجمع القراء السبعة على تخفيف لفظ (فَتَحۡنَا) في هذه الآية والآية السابقة عليها، وعلل أبو طالب القيسي ذلك بوقوع اسم مفرد بعدها ﴿وَلَو فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا﴾. ينظر: زاد المسير ٧/ ٤١٨.

م	آيات الفتح في القرآن الكريم	السورة ورقم الآية	المكي	المدني
	هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾			
٦	﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾	الفتح ٤٨/ ١	-	مدنية[(١)]
٧	﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾	القمر ٥٤/ ١١	مكية	-
٨	﴿وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾	يوسف ١٢/ ٦٥	مكية	-
٩	﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ﴾	سبأ ٣٤/ ٢٦	مكية	-
١٠	﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾	فاطر ٣٥/ ٢	مكية[(٢)]	-
١١	﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾	الأعراف ٧/ ٨٩	مكية	-
١٢	﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾	الشعراء ٢٦/ ١١٧، ١١٨	مكية	-
١٣	﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾	الأنبياء ٢١/ ٩٦	مكية	-

(١) سورة الفتح بإجماع العلماء مدنية نزلت بعد صلح الحديبية. انظر: زاد المسير ٧/ ٤١٨، والبرهان في علوم القرآن ١/ ١٩٣، ١٩٤، والرحيق المختوم ص٣٧٨ - ٣٨٩.

(٢) (القمر/ يوسف/ سبأ/ فاطر) نقل العلماء الإجماع على مكية هذه السور. ينظر: البرهان ١/ ١٩٣، وزاد المسير في علم التفسير ٦/ ٤٣١، ٤٧٢، ٧/ ٩٦.

م	آيات الفتح في القرآن الكريم	السورة ورقم الآية	المكي	المدني
١٤	﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾	الزمر ٣٩/ ٧١	مكية	-
١٥	﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾	الزمر ٣٩/ ٧٣	مكية	-
١٦	﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا﴾	النبأ ٧٨/ ١٩	مكية	-
١٧	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾	الأعراف ٧/ ٤٠	مكية(١)	-
١٨	﴿وَٱسۡتَفۡتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ﴾	إبراهيم ١٤/ ١٥	مكية(٢)	-
١٩	﴿إِن تَسۡتَفۡتِحُواْ فَقَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُۖ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدۡ وَلَن تُغۡنِيَ عَنكُمۡ فِئَتُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَوۡ كَثُرَتۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾	الأنفال ٨/ ١٩	-	مدنية

(١) ﴿لَا تُفَتَّحُ﴾ قرأه حمزة والكسائي بالياء مضمومة؛ لأن تأنيث الأبواب غير حقيقي، ولأنه فَرّق بين المؤنث وفعله، وكلتا العلتين تجيز التذكير، وقرأ الباقون بالتاء، على تأنيث لفظ الأبواب، كما قال: {}، وخفف الفعل أبو عمرو والكسائي وحمزة على معنى التخفيف يقع للمرة والأكثر وشدده عاصم وابن عامر وأهل الحرمين، واختار أبو طالب التشديد في هذه الآية. ينظر: الكشاف ١/ ٤٦٢.

(٢) سورة إبراهيم مكية سوى آيتين ذكر فيهما خلاف. ينظر: زاد المسير ٤/ ٣٤٣.

م	آيات الفتح في القرآن الكريم	السورة ورقم الآية	المكي	المدني
٢٠	﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾	سورة البقرة ٢/ ٨٩	-	مدنية
٢١	﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾	النساء ٤/ ١٤١	-	مدنية
٢٢	﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾	المائدة ٥/ ٥٢	-	مدنية(١)
٢٣	﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾	السجدة ٣٢/ ٢٨	مكية	-
٢٤	﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ۝ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾	السجدة ٣٢/ ٢٩، ٣٠	مكية	-
٢٥	﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾	الحديد ٥٧/ ١٠	-	مدنية
٢٦	﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾	الصف ٦١/ ١٣	-	مدنية(٢)

(١) سورة المائدة نزلت بين غزوتي بدر وأحد في أوائل العهد المدني. ينظر: الرحيق المختوم ص٢٦٦.

(٢) روى ابن يسار أنها مكية، والجمهور على أنها مدنية. ينظر: زاد المسير ٨/ ٢٤٩.

م	آيات الفتح في القرآن الكريم	السورة ورقم الآية	المكي	المدني
٢٧	﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾	النصر كلها	-	مدنية
٢٨	﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ ۝١١٦ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوۡمِي كَذَّبُونِ ۝١١٧ فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾	الشعراء ١١٦-١١٨	مكية	-
٢٩	﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا﴾	الفتح ٤٨/ ١٨	-	مدنية
٣٠	﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتۡحٗا قَرِيبًا﴾	الفتح ٤٨/ ٧	-	مدنية
٣١	﴿هَٰذَا ذِكۡرٞۚ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ۝٤٩ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ﴾	ص ٣٨/ ٥٠	مكية	-
٣٢	﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾	الأنعام ٦/ ٥٩	مكية	-
٣٣	﴿...أَوۡ بُيُوتِ أَخۡوَٰلِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمۡ أَوۡ مَا مَلَكۡتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾	النور ٢٤/ ٦١	-	مدنية
٣٤	﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ...﴾	القصص ٢٨/ ٧٦	مكية	-

ملحق (٢) حديث القرآن الكريم عن نوح عليه السلام

المعنى	الآية الدالة عليه
١- رسالة نوح وشريعته حلقة في سلسلة متصلة من حديث النبوة، وهي أول حلقة مباركة يُقتدى بها.	﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [النساء ٤/ ١٦٣]. ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى ٤٢/ ١٣، والأحزاب ٣٣/ ٧].
٢- تزكية نوح - عليه السلام - ومن آمن معه.	﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء ١٧/ ٣]. ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ...﴾ [مريم ١٩/ ٥٨].
٣- ذم قوم نوح - عليه السلام - والتذكير في كل مناسبة بما حاق بهم.	﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَـٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَـٰتِۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [التوبة ٩/ ٧٠] كذلك سور: إبراهيم ١٤/ ٩، والإسراء ١٧/ ١٧، والحج ٢٢/ ٤٢، والفرقان ٢٥/ ٢٧، وص ٣٨/ ١٢، وغافر ٤٠/ ٥، ٣١، وق ٥٠/ ١٢، والذاريات ٥١/ ٤٦، والنجم ٥٣/ ٥٢.

سورة يونس ١٠/٧١- ٧٣

المعاني	الآيات الدالة عليها
١- موقف خاص من وسائل الدعوة التي اتبعها نوح ـ عليه السلام	﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ (الآية: ٧١).
٢- من مبادئ دعوة الأنبياء	﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ (الآية ٧٢).
٣- تكذيب قومه ـ نجاة نوح ـ عليه السلام ـ ومن آمن — موضع النظر والاعتبار	﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ (الآية ٧٣).

سورة هود ١١/٢٥ — ٤٨

المعاني	الآيات الدالة عليها
١- مضمون رسالة نوح ـ عليه السلام ـ	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾﴾.
٢- حوار بين نوح ـ عليه السلام ـ وقومه يكشف فيه نوح ـ عليه السلام ـ عن مبادئ دعوته، وهو ـ أي الحوار ـ وسيلة من وسائل الدعوة التي سلكها نوح ـ عليه السلام ـ	﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَآ

	أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَـٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَـٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ يَـٰنُوحُ قَدْ جَـٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾﴾.
٣- وحي من الله ـ عز وجل ـ لنبيه بتوقف إيمان قومه عند هذا الحد	﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾.
٤- أمر من الله ـ تعالى ـ لنبيه بصناعة سفينة النجاة، وامتثال النبي لأمر ربه ومواصلة تذكير قومه	﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَـٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾.

٥ – حدث الطوفان	﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾.
٦ – سفينة النجاة تجري باسم الله وتعتصم برحمة الله	﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾.
٧ – عاطفة نوح – عليه السلام – البشرية نحو ابنه، وتوجيه الله – سبحانه وتعالى – له في هذا الشأن	﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾.
٨ – تحية الله – سبحانه – لنبيه نوح – عليه السلام – مع بيان سنة الله تعالى التي لا تتخلف	﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾﴾.

المعاني	الآيات الدالة عليها
١ – مبادئ دعوة نوح – عليه السلام – وتكذيب قومه	﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾﴾.
٢ – محاولة قوم نوح – عليه السلام – لأن يتنازل عن أحد مبادئ الدعوة، وموقف نوح – عليه السلام – من تلك المحاولة	﴿قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾.
٣- دعاء نوح عليه السلام- وطلبه النجاة، والحكم بينه وبين قومه	﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾.
٤ - نجاة نوح - عليه السلام - والمؤمنين - غرق وإهلاك الكافرين - موضع الاعتبار	﴿فَأَنجَيْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾﴾.

سورة الصافات: ٣٧/٧٥ — ٨٢

المعاني	الآيات الدالة عليها
١- نداء استغاثة من نوح - عليه السلام - لربه واستجابة سريعة مشكورة	﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾﴾.
٢- تحية من عند الله، وتزكية بأعظم ما يوصف به البشر	﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾﴾.
٣- الإشارة إلى حدث الإغراق، وإبهام تسميتهم	﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾﴾.

سورة القمر: ٥٤/٩ — ١٧

المعاني	الآيات الدالة عليها بالترتيب
١- تكذيب قوم نوح - عليه السلام - اتهامه بالجنون - محاولات منعه من الدعوة	﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾﴾.
٢- استغاثته وطلب النصرة	﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾﴾.
٣- الاستجابة الإلهية للدعاء	﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾﴾.
٤- نجاة نوح - عليه السلام - وعناية الله بوسيلة النجاة	﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾.
٥- لفت الأنظار إلى موضع العبرة	﴿جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾؟

المعاني	الآيات الدالة عليها بالترتيب
١- مضمون رسالة نوح -عليه السلام-	﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾.
٢- وسائل الدعوة التي سلكها نوح -عليه السلام- في تبليغ رسالته	﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾.
٣- وصف مردود قومه من الدعوة وصاحبها	﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ ... وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾.

المعاني	الآيات الدالة عليها بالترتيب
٤- حــــــدث الإغراق	﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾﴾.
٥- مواصلة نوح -عليـه الـسلام - لرسالته	﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾﴾.

هذا الملحق الخاص بقراءة السياق القرآني لسيرة نوح عليـه الـسلام وذلـك لأننـا في الدراسة المقارنة قمنا بقراءة السياق الذي وردت فيـه القـصة في العهـد القـديم والقـرآن الكريم بصورة مختصرة جدًّا فالملحق هنا توضيح لتلك القراءة المقارنة .

* * *

ملحق رقم (٣)

- أصل الدلالة في مادة (سكر).

- العلاقة بين مادتي (سكر) و(فتح).

يقول العكبري: (سكرت) يقرأ بالتشديد والضم، وهو منقول بالتضعيف، يقال: سكر بصره، وسكرته. ويقرأ بالتخفيف[1]، وفيه وجهان:

أحدهما: أنه متعدٍّ مخففًا ومثقلاً.

والثاني: أنه مما لازمه ومتعديه بلفظ واحد، ويقرأ بفتح السين وكسر الكاف[2]، أي سدت وغطيت كما يغطي السكر على العقل، وقيل: هو مطاوع: أسكرت الشيء فسكر، أي: انسد[3] انتهى قول العكبري[4].

ويتبين لنا من خلال وصف العكبري لهذه المادة أن بنيتها تأتي على عدة صور؛ وهي: (سَكِرَ، وسُكِرَ، وسُكِّرَ).

أما من حيث المعنى فقد ذكر المفسرون معاني متقاربة لهذه المادة؛ فقالوا: إن معناها سُدَّت أو عميت، أو أُخذت وغطيت وحُبست، أو أنها بمعنى سَكَنَتْ وتاهت وتحيرت وخُدعت وسُحرت[5].

---

(١) في الكشف ٢/ ٣٠: {إنما سكرت} خففه ابن كثير وشدده الباقون، وهما لغتان. وانظر في ذلك أيضا المحتسب ٢/ ٣، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٨، وفتح الباري ٨/ ٢٣٠.

(٢) هي قراءة عن الإمام الزهري. انظر: فتح الباري ٨/ ٢٣١.

(٣) وقد رُوي عن مجاهد والضحاك أن معنى (سكر) في الآية هو (سد)، وقد اختار السجستاني والنيسابوري والسيوطي هذا القول. انظر في ذلك الدر المنثور ٤/ ٩٥، وغريب القرآن للسجستاني ص١٥، وغرائب القرآن ١٤/ ١١، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٥٤٧، وتفسير الماوردي ٣/ ١٥١، وتفسير مجاهد ص٤١٥.

(٤) التبيان في إعراب القرآن ٢/ ٧١٥، ٧٧٨.

(٥) وقد وضح لنا ابن عطية أن هذه التفاسير إنما هي تفسير بالمعنى، ولا يرتبط باللفظ نفسه، وهذه ملاحظة دقيقة تفرق بين عبارات المفسرين عن الدلالة وبين الدلالة الأصلية، يقول في ذلك: (وعبر بعض المفسرين عن هذه اللفظة بقوله: غشى على أبصارنا، وقال بعضهم: عميت أبصارنا، وهذه=

وإذا تتبعنا دلالة مادة (سكر) وعلاقتها بمادة (فتح) في اللغات السامية وجدنا وضوح علاقة التضاد... ففي العربية: سَكَرَ النهرَ يَسْكُرُه سَكْرًا: سدَّ فاه، وكل شق سُدّ فقد سَكِر والسِّكْرُ ما سَدَّ به[1].

وفي العبرية: סָגַר = sagar بمعنى أغلق الباب، أو حاصر.

وفي الآرامية: סְגַר = sgar بمعنى حجز skar بمعنى أغلق skqrq بمعنى الشيء الذي يسد النهر)[2].

وفي السريانية سجر = sgar بمعنى حجز أيضا.

والاسم منه في العبرية: סוּגַר= sugar بمعنى سجن، وهو في الحبشية sagarat بمعنى سجن أو حرس[3].

وقد أشار الدكتور رمضان عبد التواب (رحمه الله) إلى اسم آخر في الحبشية فيه دلالة الحجز والحبس، وهو كلمة Mašgart بمعنى الشبكة[4]، وقد وقع التبادل الدلالي في العربية بين (سكر) و(سجر) في مثل قولهم: (سَكَرْتُ الإناءَ وسَجَرْتُه[5] ، وقد دلت مادة (سجر) في اللغة العربية على المنع والتقييد الحبس[6] .

والإبدال بين الجيم والكاف ظاهرة عامة في الساميات[7] ، والتفسر الصوتي لإبدال

= ونحوه تفسير بالمعنى لا يرتبط باللفظ). ينظر: المحرر الوجيز ١٠/ ١١٦.

(١) اللسان ٣/ ٢٠٤٨.

(٢) غرائب اللغة العربية ص١٨٨.

(٣) ينظر: ظاهرة الإبدال في المشترك السامي ص٦٩.

(٤) ينظر: في قواعد الساميات ص٣١٨.

(٥) اللسان ٣/ ١٩٤٢.

(٦) من ذلك ما قيل في المراد بالبحر المسجور، قالوا: الممنوع المكفوف عن الأرض لئلا يغرق أهلها. (تفسير القرآن العظيم ٤/ ٢٤٠)، وقالوا: كلب مُسَوجرٌ في عنقه قلادة، وكتب الحجاج إل عامل له: ابعث إليَّ فلانًا مُسَمَّعًا مُسَوْجَرًا، أي: مقيدًا مغلولاً. اللسان ٣/ ١٩٤٣، وقد ورد التلازم بين الأغلال القيود من ناحية، السجر بمعنى الحبس والسجن من ناحية أخرى في قوله تعالى: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ۝ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [غافر ٤٠/ ٧١، ٧٢].

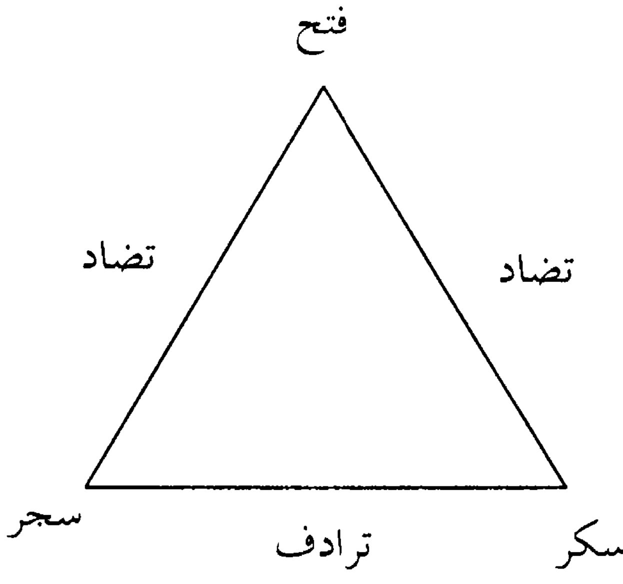
(٧) مثل الإبدال في كلمة (كدس) العربية و גדש = gādas في العبرية وفي الآرامية גְדַשׁ = ydaš. ينظر: ظاهرة الإبدال في المشترك السامي ص٤٥. وقد تبادل الصوتان كذلك في الآرامية =skar=

الجيم كافًا هو أن كلا الصوتين يخرجان من مخرج واحد، هو المخرج الطبقي velar كما يتفقان في بعض الصفات الصوتية كالشدة plosive والترقيق softening [1] .

وقد ورد التضاد بين مادة (سجر) و(فتح) في اللغة العربية، وذلك في حديث عمرو بن العاص: (فصل حتى يعدل الرمح ظله ثم أقصر، فإن جهنم تسجر وتفتح أبوابها)، وقد أراد الإبراد بالظهر[2] .

وبناء على ما تقدم فإن دلالة (سكر)[3] ، وفي الأصل هي أغلق، ثم إن هذا المعنى الأساسي قد ألقيت عليه ظلال دلالية مختلفة، فأطلق على مَنْ يتعاطي الخمر الذي يُسْكِر، أي: يَحبس ويغطي العقل، وأطلق في مجال السحر على أساس أن السحر يغطي على قدرة الحواس بطريق التخييل والمخادعة.

ونستطيع اختصار علاقة المصاحبة والتضاد بين مادتي (فتح) و(سكر) في الساميات على النحو التالي:



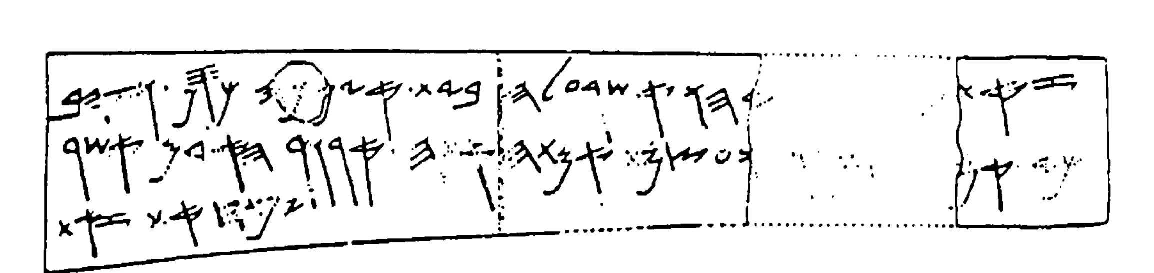
= sgar بمعنى أغلق وحجز. ينظر: غرائب اللغة ص ١٨٨.

(١) ينظر: المدخل إلى علم اللغة ص٢٦.

(٢) ينظر: اللسان ٣/ ١٩٤٢. وقد تصاحبت مادة (فتح) و(سجر) في العبرية في كثير من النصوص العبرية. ينظر على سبيل المثال: سفر إشعياء ٤٥/ ١، و٦٠/ ١١، ٢٢/ ٢٢، حزقيال ٤٤/ ١.

(٣) ينظر: تحليل أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري لمادة (سكر) في العربية في كتابه الزاهر في معاني كلمات الناس ٢/ ٨٦، ومعاني القرآن للفراء ٢/ ٨٦.

ملحق النقوش (٤)



النقش الجنالزي لسلوان (حوالي ٧٠٠ ق.م)

نقلاً عن كتاب نافيه **Naveh** ص ٦٨

الكتاب من أقلام الساميين ص١٢٢

كتابة النقش بحروف عربية

١- ز أ ـ (ق ب ر ت . ش ب ن) ي هـ و . أ ش ر . ع ل . هـ ب ي ت . أ ي ن .
< ف > هـ . ك س ف . و ذ هـ ب .

٢- (ك ي) . أ م . (ع ص م ت و) و ع ص م <ت> هـ . أ ر و ر .
هـ أ د م . أ ش ر .

٣- ي ف ت ح . أ ت . ز أ ت .

ترجمة النقش إلى العربية:

٤- هذا (القبر الذي بنا) مشرف البيت (وزير القصر). لا يوجد (هنا) فضة وذهب.

٥- (فقط رفاته ورفات) أَمَتَهُ (زوجته من العبيد) معه . ملعون الإنسان الذي.

٦- يفتح ذلك (القبر).

نقش اشمنعزر ملك صيدا

(نقلاً عن تاريخ اللغات السامية) ص٦٥

(٤) بقم اش بنت قنمي ات كل مملكت وكل ادم ال يفتح ايت مشكب زو

....

(٧) كل ادم اشن يفتح علت مشكب زام اشن يسااين حلت مشكبي ام اش بعمسن

بـ بم.

....

(١٠) صتنم ايت مملكت أم أدم هااش يفتح علت مشكب زام اش يااين.

ترجمة السطور إلى اللغة العربية

(٤) في المكان الذي عمرته استحلف كل ملك وكل إنسان ألا يفتح هذا المرقد.

(٧) كل إنسان يفتح هذا القبر أو ينقل خلة مضجعي أو يحلمني من هذا القبر.

(١٠) (يقطع) دابر ذلك الملك أو الإنسان الذي يفتح هذا المضجع.

نقش تبنت ملك صيدا

حل رموز نقش تبنت ملك صيدا بحروف عربية (نقلا عن تاريخ اللغات السامية)

(١) انخ تبنت كهن عثرت ملك صدنم بن

(٢) اشمعنزر كهن عشترت ملك صدنم شخب بارن

(٣) زمى ات كل ادم اش تفق ايت هارن زال ال ت

(٤) فتح علتى وال ترجزن كاى ادلن كف أى ادلن

(٥) حرص وكل منهم مشد بلت انخ شخب بارن زال ال تفت

(٦) ح علتى وال ترجزن كتعبت عشبرت هدبرها وام فت

(٧) ح تفتح علتى ورجز ترجزن ال ى (ك) ن دز لخ زرع بحيم تحت شم

(٨) ش ومشكب ات رفام

ترجمة نقش الملك تبنت Tabnith

(١) أنا تببت كهن عشترت (صم . وهي زوجة البعل) ملك صيدونم (صيدا) ابن

(٢) اشمنعزر كاهن عشترت ملك صيونيم اضطجع في هذا التابوت

(٣) لمنتى على كل من يخرج هذا النعش . لا . لا .

(٤) تفتح غرفتي (قبري) لا تقلقني فليس عندي فضة وليس عندي

(٥) ذهب أو نفائس لأضطجع في هذا التابوت . لا . لا . تفتح

(٦) غرفتي (قبري) لا تقلقني ولا تثر سخط عشترت فإذا

(٧) فتحت غرتي وأقلقتني فلن تكون لك ذرية بين الأحياء تحت الشمس

(٨) ولا مضجع بين الأموات

نقش تبنت Tabnit (حوالي ٣٠٠ ق.م) من النقوش الفينيقية المتأخرة في صيدا
(نقلاً عن كتاب تاريخ اللغات السامية)

نقل النص إلى حروف عربية:

١- أن ك . ت ب ن ت . ك هـ ن . ع ش ت ر ت . م ل ك . ص د ن م . ب ن .

٢- أ ش م ن ع ز ر . ك هـ ن . ع ش ت ر ت . م ل ك . ص د ن م . ش ك ب . ب أ ر ن .

٣- ز . م ي . أ ت . ك . أ د م . أ ش . ت ف ق . أ ي ت . هـ أ ر ن . ز . أ ل . أ ل . ت

٤- ف ت ح . ع ل ت ي . و أ ل . ت ر ج ز ن . ك . أ ي . أ ر <د> . ل ن . ك س ف . أ ى . أ ر <د> . ل ن

٥- ح ر ص . و ك ل . م ن م . م ش ر <د> . ب ل ت . أ ن ك . ش ك ب . ب أ ر ن . ز . أ ل . ت ف ت

٦- ح . ع ل ت ي . و أ ل . ت ر ج ز ن . ك . ت ع ب ت . ع ش ت ر ت .

٧- ح . ت ف ت ح . ع ل ت ي . و ر ج ز . ت ر ج ز ن . أ ل . ي [ك] ن . ل [ك]. ز ر ع . ب ح ي م . ت ح ت . ش م

٨- ش . و م ش ك ب أ ت . ر ف أ م [1]

ترجمة نقش تبنت إلى العربية:

١- أنا تبنت كاه عشترت ملك صيدا (الصيدونيين) ابن

٢- «إِشْمُنْعَزْرْه كاهن عشترت ملك صيدا . اضطع في هذا التابوت.

٣- مهما كنت فلعنتي على كل إنسان يخرج هذا التابوت .. لا . لا .

٤- تفتحه علي وتزعجني، فلم يجمعوا لي فضة (فليس عند فضة) ولا .

٥- ذهبا ولا نفائس على الإطلاق لأضطجع في هذا التابوت .. لا .. لا تفتحه .

٦- عليّ ولا تزعجني ، تُثر سُخط عشترت (بهذا العمل) ، فإذا فتحته

٧- عليّ وأزعجتني، فلن تكون لك ذرية في الحياة تحت الشمس.

٨- ولا مضجع بين الأموات .

نقش مدائن صالح (٢٦٧م)

[Nabataean inscription drawing — not detected as image]

نقش مدائن صالح (٢٦٧م)

نقلاً عن (تاريخ اللغات السامية).

نقل النص إلى حروف عربية:

١- د ن هـ . ق ب و ر . ص ن ع هـ . ك ع ب و . ب ر

٢- ح ر ت ت . ل ل ق ص . ب ر ت

٣- ع ب د . م ن و ت و . أ م هـ . و هـ ي

٤- هـ ل ك ت . فـ ي . أ ل ح ج ر و

٥- س ن ت . م أ هـ . و س ت ي ن

٦- و ت ر ي ن . ب ي ر ح . ت م و ز . و ل ع ن

٧- م ر ي . ع ل م أ . م ن . ي ش ن أ . أ ل ق ب و ر

٨- د أ . و م ن . ي ف ت ح هـ . ح ش ي . و

٩- و ل د هـ . و ل ع ن . م ن . ي ع ي ر . د أ . ع ل ي . م ن هـ[1].

ترجمة النقش إلى العربية:

١ - هذا قبر صنعه كعب ابن

٢ - الحارثة للقيض بنت

٣ - عبد مناة أمه ، وهي

٤ - قد هلكت (ماتت) في الحِجْر

٥ - في سنة مائة وستين

٦ - واثنين في شهر تموز ، ولعنة

٧ - رب العالمين على كل من يغير هذا القبر

٨ - وكل من يفتحه حاشا (سوى) و [٢]

٩ - ولدها ويلعن كل من يُغيِّر ما عليه (من كتابة)

* * *

ملحق رقم (٥)

بعض المصاحبات اللفظية للفتح في العهد القديم:

(١) וַיִּפְתַּח נֹחַ אֶת־ חַלּוֹן הַתֵּבָה

وفتح نوح طاقة الفلك

(٢) וַיִּפְתְּחוּ אִישׁ אַמְתַּחְתּוֹ

وفتحوا كل واحد متاعه

(٣) וַתִּפְתַּח וַתִּרְאֵהוּ אֶת־ הַיֶּלֶד

(٤) ولما فتحته رأت الولد

(٥) וְדַלְתֵי שָׁמַיִם פָּתָח

وفتح أبواب السماء

(٦) פֶּתַח הָאֹהֶל — مدخل الخيمة

(٧) מְפֻתָּחֹת פִּתּוּחֵי חוֹתָם

منوقشان نقش الخاتم

(٨) כְּקֶבֶר פָּתוּחַ — كقبر مفتوح

* * *

---

(١) سفر التكوين ٨/ ٦ .
(٢) سفر التكوين ٤٤/ ١١ .
(٣) سفر الخروج ٢/ ٦ .
(٤) ولما فتحته — الضمير عائد على الصندوق أو السفط الذي وضع فيه الغلام.
(٥) سفر المزامير ٧٨/ ٢٣ .
(٦) سفر الخروج ٣٩/ ٣٨ .
(٧) سفر الخروج ٣٩/ ٦ .
(٨) سفر ارمياء ٥/ ١٦ .

ملحق (٥) بالكتابة اللاتينية

1- Wayylftaḥ Noaḥ ’et ḥalon hatēb̲a

2- = Wayyi fteḥū ’iš amtaḥtō

3- = Watēftaḥ watlr. ’ ehū ’ et̲ hayyeled

4-

5- = Wedalte šānylm pātaḥ

6- = pet̲aḥ hā ’ ōhel

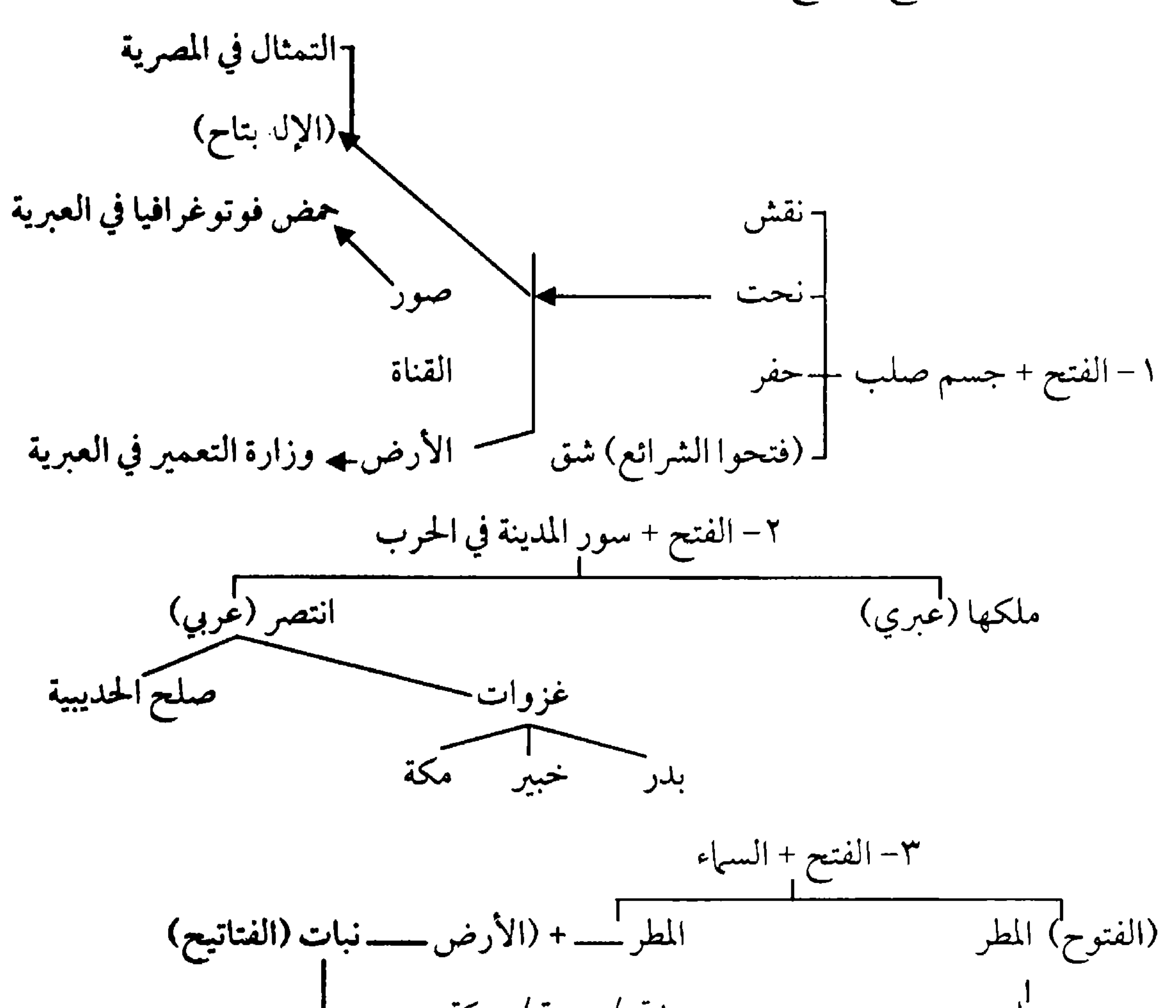
7- = Mĕfotāḥōt̲ bltūḥĪ ḥōt̲am

8- = kĕḳeb̲er. pāt̲ūaḥ

* * *

ملحق رقم (٦)

نموذج يوضح خط سير الدلالة وتطورها عن طريق المصاحبة



(١) وردت على لسان وفد ظبيان عام وفادتهم على النبي صلى الله عليه وسلم . قال أحدهم فتحوا الشرائع وبنوا المصانع) الشرائع: موارد الشرب. العقد الفريد ٢/ ٣٧ .

(٣) قال أبو النجم:

تزجي السحاب العهد والفتوحا

والفتوح مطر بعد مطر نظام غريب في اللغة ٢٢٨ .

أهم المصادر والمراجع

أولا: المصادر والمراجع العربية:

١- آثار الأردن ، لانكستير هاردبج، تعريب سليمان موسى: الأردن ١٩٦٥م.

٢- آلهة مصر العربية، علي فهيم خشيم، ليبيا: ١٩٩٠م.

٣- الإتقان في علوم القرآن. لجلال الدين السيوطي، دار عالم المعرفة (د.ت).

٤- أثر المعجم العربي في لغات الشعوب الإسلامية، حسين مجيب المصري: القاهرة ١٩٩١م.

٥- أدب الكتاب، لابن قتيبة الدينوري، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، القاهرة ١٩٦٣م.

٦- الأدب المقارن، للدكتور محمد غنيمي هلال، القاهرة، (د. ت).

٧- ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان الأندلسي تحقيق رجب عثمان، رسالة دكتوراه ، عيش شمس ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٨- أزد عمان في القرنين الأول والثاني للهجرة، رسالة ماجستير، القاهرة ١٩٩٠م، إعداد سعيد بن محمد بن سعيد الغيلاني.

٩- أساس البلاغة للزمخشري، القاهرة ١٣٤١هـ، ١٩٢٢م.

١٠- الأساس في الأمم السامية ولغاتها، لعلي العناني وليون محرز ومحمد عطية الإبراشي، القاهرة ١٩٣٥م.

١١- أسس علم اللغة، لماريوباي، ترجمة الدكتور أحمد مختار عمر، القاهرة، ١٩٨٤م.

١٢- الأشباه والنظائر، للثعالبي، تحقيق محمد المصري، القاهرة، ١٩٨٤م.

١٣- الاشتقاق، لابن دريد، تحقيق عبدالسلام هارون، القاهرة، ١٩٥٨م.

١٤- اشتقاق أسماء الله، لأبي القسم عبدالرحمن الزجاجي، تحقيق عبدالحسين المبارك، بيروت، ١٩٨٦م.

١٥- اصطلاحات الصوفية، لعبدالرزاق الكاشاني، تحقيق عبدالخالق محمود عبدالخالق، القاهرة ١٩٨٠م.

١٦- إصلاح المنطق، لابن السكيت، تحقيق أحمد محمد شاكر، وعبدالسلام هارون، القاهرة ١٩٤٩م.

١٧- إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، للدامغاني، تحقيق عبدالعزيز سيد الأهل، بيروت ١٩٧٧م.

١٨- الأصمعيات، لابن قريب الأصمعي، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون، القاهرة ١٩٦٣م.

١٩- أصول الفقه، محمد أبو زهرة، القاهرة ١٩٦٩م.

٢٠- أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة نايف خرما، الكويت، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.

٢١- إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، لابن خالويه، القاهرة ١٩٤١م.

٢٢- إعراب القرآن، لأبي جعفر النحاس، تحقيق زهير غازي زاهد، القاهرة، ١٤٠٥، ١٩٨٥م.

٢٣- الإفصاح في فقه اللغة، لعبدالفتاح الصعيدي وحسين يوسف موسى، القاهرة، ١٩٢٩م.

٢٤- الاقتباس من القرآن الكريم، للثعالبي، تحقيق ابتسام مرهون الصفار وجاهد مصطفى بهجت، القاهرة ١٩٩٢م.

٢٥- ألفاظ الأشباه والنظائر، لعبدالرحمن الهمداني، تحقيق الدكتور البدراوي زهران، القاهرة (د.ت).

٢٦- الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، حسن الباشا، القاهرة ١٩٨٩م.

٢٧- أمالي المرتضى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٣٧٢هـ، ١٩٥٤م.

٢٨- البحث اللغوي عند العرب، أحمد مختار عمر، القاهرة ١٩٨٨م.

٢٩- البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي الغرناطي، القاهرة ١٩٨٣م.

٣٠- البرهان في علوم القرآن، للزركشي، القاهرة ١٩٨٠م.
٣١- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزآبادي، تحقيق محمد علي النجار، بيروت (د.ت).
٣٢- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لجلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م.
٣٣- البيان في غريب إعراب القرآن، لابن الأنباري، تحقيق الدكتور طه عبدالحميد طه القاهرة ١٩٨٠م.
٣٤- تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، شرحه ونشره السيد أحمد صقر، القاهرة ١٩٧٣م.
٣٥- تاج العروس، للزبيدي، القاهرة ١٣٠٦هـ.
٣٦- تاريخ الأدب العربي، لكارل بروكلمان، ترجمة عبدالحليم النجار ورمضان عبدالتواب وآخرين، القاهرة ١٩٥٩م.
٣٧- تاريخ الحضارة الإسلامية، ف - بارتولد، ترجمة حمزة طاهر، القاهرة (د.ت).
٣٨- تاريخ اللغات السامية، إسرائيل ولفنسون، القاهرة ١٦٢٩م.
٣٩- تاريخ مصر القديمة، (الموسوعة المصرية). القاهرة (د.ت).
٤٠- التبيان في إعراب القرآن، للعكبري، تحقيق محمد البيجاوي - بيروت - ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
٤١- تحصيل نظائر القرآن، للحكيم الترمذي، تحقيق حسني نصر زيدان، القاهرة، ١٩٧٠م.
٤٢- تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق سمير المجذوب، بيروت ١٩٨٣م.
٤٣- تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، لأبي محمد عبدالله الترجمان الميورقي، (القس الأندلسي أنسلم تورميدا)، دراسة وتحقيق عمر وفيق الداعوق، بيروت ١٩٨٨م.

٤٤- تذكرة الأريب في تفسير الغريب، لابن الجوزي، تحقيق علي حسين البواب، الرياض ١٩٨٦م.

٤٥- الترجمة السبعينية للعهد القديم بين الواقع والأسطورة، سلوى ناظم، القاهرة، (د.ت).

٤٦- التصاريف (تفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه) ليحيى بن سلام، تحقيق وتقديم هند شلبي، تونس، ١٩٧٩م.

٤٧- التصور اللغوي عند الأصوليين، السيد أحمد عبدالغفار، الرياض ١٩٨٥م.

٤٨- التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، رمضان عبدالتواب، القاهرة، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

٤٩- التطور النحوي للغة العربية، لبرجشتراسر، تعليق رمضان عبدالتواب، القاهرة، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.

٥٠- التعريفات، لأبي الحسن الحسيني الجرجاني، تحقيق الدكتور عبدالرحمن عمر، بيروت ١٩٨٧م.

٥١- تفسير أسماء الله الحسنى، للزجاج، تحقيق أحمد يوسف الدقاق، بيروت ١٩٨٦م.

٥٢- تفسير ابن عربي (تفسير القرآن الكريم) لمحيي الدين ابن عربي، تحقيق وتقديم، مصطفى غالب، بيروت ١٩٧٨م.

٥٣- تفسير ابن كثير، (تفسير القرآن العظيم) لابن كثير، القاهرة، (د.ت).

٥٤- تفسير التحرير والتنوير، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، ط. عيسى الحلبي، القاهرة ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م.

٥٥- تفسير التستري، (تفسير القرآن العظيم)، لأبي محمد سهل التستري، القاهرة، ١٣٢٦هـ، ١٩٠٨م.

٥٦- تفسير الجلالين، للإمامين جلال الدين المحلى، وجلال الدين السيوطي، بيروت، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.

٥٧- تفسير سفيان بن عيينة، جمع وتحقيق ودراسة أحمد صالح محايري، بيروت، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٤م.

٥٨- تفسير الطبري، (جامع البيان عن تأويل القرآن) لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (من أول القرآن إلى سورة إبراهيم) تحقيق محمود محمد شاكر، القاهرة، دار المعارف ١٩٧٤م.

٥٩- تفسير الطبري (جامع البيان في تفسير القرآن) لأبي جعفر الطبري (من سورة إبراهيم إلى آخر القرآن الكريم)، القاهرة ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م نسخة غير محققة.

٦٠- تفسير غريب القرآن، لابن قتيبة، تحقيق السيد أحمد صقر، بيروت، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.

٦١- تفسير غريب القرآن، لزيد بن علي، دراسة وتحقيق د. حسن محمد تقي الحكيم، بيروت، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

٦٢- تفسير الماوردي (النكت والعيون) لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، راجعه وعلق عليه السيد بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم، بيروت، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

٦٣- تفسير مجاهد بن جبير، تحقيق محمد عبدالسلام أبو النيل، القاهرة، ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م.

٦٤- التفسير الموضوعي للقرآن الكريم للشيخ أحمد الكومي، القاهرة (د.ت).

٦٥- تقرير أوجيست فيشر عن عمل المعجم اللغوي التاريخي، مصور بمكتبة الدكتور رمضان عبدالتواب.

٦٦- التكملة والذيل والصلة، للحسن بن محمد بن الحسن العناني (الجزء الثاني)، تحقيق إبراهيم إسماعيل الأبياري، دار الكتب المصرية، ١٩٧١م.

٦٧- تلخيص البيان في مجازات القرآن، للشريف الرضى، تحقيق الدكتور علي محمود مقلد، بيروت، ١٩٨٦م.

٦٨- التناقض في تواريخ وأحداث التوراة من آدم حتى سبى بابل، إعداد محمد قاسم محمد، القاهرة ١٩٩٢م.

٦٩- تنوير المقياس من تفسير ابن عباس، لابن طاهر الفيروزآبادي، القاهرة، ١٩٥١م.

٧٠- تهذيب إصلاح المنطق، للخطيب التبريزي (د.ت).

٧١- تهذيب السجستاني في غريب القرآن، صنعة محمد موسى، القاهرة، بدون تاريخ.
٧٢- تهذيب اللغة، للأزهري، تحقيق عبدالكريم الغرباوي، مراجعة، محمد علي النجار، القاهرة، (د.ت).
٧٣- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، للثعالبي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٥م.
٧٤- الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير جلال الدين السيوطي، دار القلم، القاهرة، (د.ت).
٧٥- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) للقرطبي، تصحيح أحمد عبدالعليم البردوني، القاهرة ١٣٨٧هـ، ١٩٦٧م.
٧٦- جمهرة أنساب العرب، لابن حزم الأندلسي، القاهرة، دار المعارف، ١٣٨٢هـ، ١٩٦٢م.
٧٧- جمهرة اللغة لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد، تحقيق الدكتور رمزي البعلبكي بيروت، ١٩٨٧م.
٧٨- جواهر الألفاظ، لقدامة بن جعفر، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، لبنان، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.
٧٩- الجيم، لأبي عمرو الشيباني، تحقيق عبدالكريم الغرباوي، القاهرة، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م.
٨٠- حصاد ندوة الدراسات العمانية، مجموعة بحوث صادرة عن وزارة الثقافة العمانية، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.
٨١- الحيوان، للجاحظ، تحقيق عبدالسلام هارون، القاهرة، ١٣٨٧هـ، ١٩٦٨م.
٨٢- الخراج، لأبي يوسف صاحب أبي حنيفة، تحقيق وتعليق محمد إبراهيم البنا، القاهرة، ١٩٧٨م.
٨٣- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبدالقادر بن عمر البغدادي، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون، القاهرة، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.
٨٤- الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار، القاهرة، (د.ت).

٨٥- دائرة المعارف للأعلمي (مقتبس الأثر ومجدد ما دثر)، لمحمد حسين الأعلمي، بيروت، ١٣٩٠هـ، ١٩٧٠م.

٨٦- دراسات في الحضارات السامية القديمة، محمد خليفة، القاهرة، ١٩٧٨م.

٨٧- دراسات في حضارة الإسلام، لهاملتون جب، ترجمة إحسان عباس وآخرين، بيروت ١٩٦٤م.

٨٨- دراسات في الشعر الجاهلي، للدكتور يوسف خليف، القاهرة، ١٩٨١م.

٨٩- دراسات في القرآن الكريم، للدكتور يوسف خليف، القاهرة، ١٩٨٩م.

٩٠- دراسات في اللغتين (السريانية والعربية) للدكتور إبراهيم السامرائي، بيروت، ١٩٨٥م.

٩١- دراسات في اللغة العربية وتاريخها للأستاذ محمد الخضر حسن، القاهرة، (د.ت).

٩٢- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين السيوطي، طهران، ١٣٧٧هـ.

٩٣- دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية، جمع وتقديم وتحقيق محمد السيد الجليند، دمشق، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

٩٤- دلالة الألفاظ، للدكتور إبراهيم أنيس، القاهرة، ١٩٨٤م.

٩٥- دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ترجمة كمال بشر، القاهرة، ١٩٨٧م.

٩٦- ديوان الأدب، لأبي إبراهيم إسحاق الفارابي، تحقيق أحمد مختار عمر، مراجعة إبراهيم أنيس، القاهرة، ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م.

٩٧- ديوان الأعشى الكبير (ميمون بن قيس) شرح وتعليق الدكتور محمد حسين، اعتمادا على نشره «دولف جاير»، الإسكندرية، ١٩٥٠م.

٩٨- ديوان ابن الفارض، تحقيق عبدالخالق محمود، القاهرة، ١٩٨٤م.

٩٩- ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٩هـ، ١٩٦٩م.

١٠٠-ديوان دريد بن الصمة، تحقيق عمر عبدالرسول، القاهرة، (د.ت).

١٠١-ديوان طرفة بن العبد، بيروت، (د.ت).

١٠٢-ديوان عمرو بن معد يكرب، صنعه هاشم الطعان، بغداد، ١٩٧٠م.
١٠٣-ديوان النابغة الذبياني، بيروت، (د.ت).
١٠٤-الرحيق المختوم، بحث في السيرة النبوية للشيخ صفي الرحمن المباركفوري، القاهرة، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م.
١٠٥-رسالتان في اللغة (الفرق والشاء للأصمعي)، تحقيق وتعليق صبحي التميمي، القاهرة، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.
١٠٦-رسالة الصاهل والشاحج، لأبي العلاء المعري، تحقيق عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ) الرباط، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م.
١٠٧-رسالة في بيان اصطلاحات رئيس الصوفية الواردة في الفتوحات المكية، نشرة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٢١هـ.
١٠٨-زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، بيروت، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م.
١٠٩-الزاهر في معاني كلمات الناس، لأبي بكر بن الأنباري، تحقيق حاتم صالح الضامن، بيروت، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.
١١٠-الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، لأبي حاتم بن حمدان الرازي، تحقيق حسين بن فيض الله الهمداني، القاهرة، ١٩٥٧م.
١١١-سر الفصاحة، لابن سنان الخفاجي، نشرة دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.
١١٢-سمط اللالي، لأبي عبيدالبكري الأَوْنَبِيّ، تحقيق عبدالعزيز الميمني، القاهرة، ١٣٥٤هـ، ١٩٣٥م.
١١٣-سميائية النص الأدبي، لأنور المرتجى، الدار البيضاء، ١٩٨٧م.
١١٤-السيرة النبوية، لابن هشام، راجع أصولها وعلق على حواشيها نخبة من العلماء، القاهرة، (د.ت).
١١٥-سيكلولوجية اللغة والمرض العقلي، جمعه سيد يوسف، الكويت، ١٩٩٠م.
١١٦-شرح الخطيب التبريزي، لأبي زكريا على ديوان أشعار الحماسة، لأبي تمام، لأبي زكريا يحيى بن علي التبريزي، بولاق، ١٢٩٦هـ.

١١٧-شرح ديوان عنترة بن شداد، تحقيق عبدالمنعم عبدالرءوف شلبي، القاهرة، (د.ت).

١١٨-شرح ديوان لبيد بن ربيعة، تحقيق وتقديم إحسان عباس، الكويت ١٩٦٢م.

١١٩-شرح مسند الإمام أبي حنيفة، لأبي حنيفة النعمان، ضبط وتقديم الشيخ خليل محيي الدين الميسي، بيروت، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

١٢٠-شعراء النصرانية، لويس شيخو اليسوعي، بيروت، ١٩٦٧م.

١٢١-الشعر = شرح الأبيات المشكلة الإعراب، لأبي علي الفارسي، تحقيق محمد محمود الطناحي، القاهرة، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

١٢٢-الشعر الجاهلي، تطوره وخصائصه الفنية)، للدكتور محيي الدين زيان، القاهرة، (د.ت).

١٢٣-الشعر الجاهلي (مراحله واتجاهاته الفنية - دراسة نصية)، للدكتور سيد حنفي حسنين، القاهرة، ١٩٧٠م.

١٢٤-شعر طفيل بن عوف الغنوي، رواية السجستاني عن الأصمعي، نشر في كرنكو، لندن، ١٩٢٧م.

١٢٥-شعر عمرو بن أحمد الباهلي، جمعه وحققه حسين عطوان، دمشق، (د.ت).

١٢٦-شعر النمر بن تولب، صنعه الدكتور نوري حمودي القيسي، بغداد، ١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م.

١٢٧-الصاحبي، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق السيد أحمد صقر، عيسى الباسي الحلبي، القاهرة، ١٩٧٧م.

١٢٨-صبح الأعشى، للقلقشندي، شرح وتعليق محمد حسين شمس الدين وآخرين، بيروت، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

١٢٩-الصحاح = تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق عبدالغفور عطار، القاهرة، ١٣٧٦هـ، ١٩٥٦م.

١٣٠-الصحيح المسند من التفسير النبوي للقرآن الكريم، لأبي محمد إبراهيم أبو عروة، القاهرة، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

١٣١-صِفةُ جزيرة العرب، لسان اليمن الحسن بن حمد الهمداني، تحقيق محمد بن علي الأكوع، الرياض، ١٩٧٤م.
١٣٢-الصناعتين (الكتابة والشعر)، لأبي هلال الحسن بن عبدالله العسكري، تحقيق علي محمد البيجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، (د.ت).
١٣٣-طبقات فحول الشعراء، لمحمد بن سلام الجمحي، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر، القاهرة، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.
١٣٤-ظاهرة الإبدال في المشترك السامي، للدكتور حازم علي كمال الدين، القاهرة ١٩٩٢م.
١٣٥-ظواهر لغوية من المسيرة التاريخية للغة العربية قبل الإسلام، عبدالعال سالم مكرم، بيروت،١٤٠٩هـ - ١٩٨٨ م.
١٣٦-العادات المصرية بين الأمس واليوم، وليم نظير، القاهرة، ١٩١٧م.
١٣٧-عالمية الدعوة الإسلامية، علي عبدالحليم محمود، الرياض، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.
١٣٨-العربية ليوهان فك، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ترجمة د. رمضان عبدالتواب، القاهرة ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.
١٣٩-العصر الجاهلي، شوقي ضيف، القاهرة، ١٩٦٠م.
١٤٠-العقد الفريد، لأبي عمر أحمد بن عبد ربه الأندلسي، شرح وضبط أحمد أمين، أحمد الرين، إبراهيم الإبياري، بيروت، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.
١٤١-علاقة الإسلام باليهودية، محمد خليفة، القاهرة ١٩٨٨م.
١٤٢-علم الدلالة، أحمد مختار عمر، القاهرة، ١٩٨٨م.
١٤٣-علم الدلالة إطار جديد، صبري إبراهيم السيد، الدوحة، قطر، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م.
١٤٤-علم اللغة بين القديم والحديث، عاطف مدكور، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨٦م.
١٤٥-علم اللغة العربية، محمود فهمي حجازي، القاهرة، ١٩٧٢م.

١٤٦-العمدة في غريب القرآن، المنسوب لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، حققه وعلق عليه يوسف عبدالرحمن المرعشلي، بيروت، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

١٤٧-العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، الكويت، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.

١٤٨-غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين النيسابوري، تحقيق ومراجعة إبراهيم عطوة عوض، القاهرة، ١٣٨١هـ، ١٩٦٢م.

١٤٩-غرائب اللغة العربية، روفائيل نخلة اليسوعي، بيروت، ١٩٨٦م.

١٥٠-غريب الحديث، لابن قتيبة، تحقيق عبدالله الجبوري، بغداد، ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م.

١٥١-غريب الحديث لأبي إسحاق بن إسحاق الحربي، تحقيق ودراسة سليمان بن إبراهيم العابد، جدة، ١٩٨٠م.

١٥٢-غريب الحديث للإمام أبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي القيسي المتوفى سنة ٣٨٨هـ، تحقيق عبدالكريم إبراهيم الغرباوي، دمشق، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.

١٥٣-غريب الحديث، لأبي عبدالقاسم بن سلام الهروي، تحت مراقبة ، محمد عبدالمعين خان، حيدر آباد، الهند، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م.

١٥٤-غريب القرآن = للسجستاني (نزهة القلوب) للإمام أبي بكر السجستاني، تصحيح لجنة من العلماء، القاهرة، ١٣٨٢هـ، ١٩٦٣م.

١٥٥-غريب القرآن من شعر العرب (سؤالات نافع بن الأرزق) عبدالله بن عباس، تحقيق محمد عبدالرحيم وأحمد نصر الله، بيروت، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

١٥٦-غريب القرآن وتفسير لأبي عبدالرحمن عبدالله بن المبارك اليزيدي، حققه وعلق عليه محمد سليم الحاج، بيروت، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

١٥٧-غريب القرآن وتفسيره، لأبي عبدالرحمن عبدالله بن المبارك اليزيدي، تحقيق عبدالرازق حسين، بيروت، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

١٥٨-الفاخر، لأبي طالب المفضل بن سلمة بن عاصم، تحقيق عبدالعليم الطحاوي، مراجعة محمد علي النجار، القاهرة، ١٣٨٠هـ، ١٩٦٠م.

١٥٩-فتح الباري، بشرح صحيح البخاري لابن حجر، القاهرة، الريان، (د.ت).

١٦٠-الفتوحات المكية لابن عربي، بيروت، (د.ت).
١٦١-الفرق لأبي حاتم السجستاني والفرق لثابت بن أبي ثابت، نُشرا تحت عنوان (كتابان في الفرق) تحقيق حاتم صالح الضامي، بيروت، ١٠٤٧هـ، ١٩٨٧م.
١٦٢-فصول في فقه العربية، رمضان عبدالتواب، القاهرة، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م.
١٦٣-فقه السنة، السيد سابق، القاهرة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٢م.
١٦٤-فقه اللغات السامية، لكارل بروكلمان، ترجمة رمضان عبدالتواب، الرياض، ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م.
١٦٥-فقه اللغة، للدكتور علي عبدالواحد وافي، القاهرة، (د.ت).
١٦٦-فقه اللغة وسر العربية، للثعالبي، تحقيق سليمان البواب، دمشق، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٢م.
١٦٧-في التطور اللغوي، عبدالصبور شاهين، بيروت، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.
١٦٨-في ظلال القرآن (تفسير سيد قطب) لسيد قطب، دار الشروق، بيروت، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.
١٦٩-في قواعد الساميات، رمضان عبدالتواب، القاهرة، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.
١٧٠-في اللهجات العربية ، إبراهيم أنيس، القاهرة، ١٩٨٤م.
١٧١-القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، عبدالصبور شاهين، القاهرة، ١٩٦٦م.
١٧٢-القاموس المحيط (للفيرزوآبادي)، دار الحديث، القاهرة، (د.ت).
١٧٣-قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، لأبي الضياء عبدالرحمن بن الديبع الشيباني الزبيدي، تحقيق محمد بن علي الأكوع، القاهرة، ١٣٧٤هـ.
١٧٤-الكامل، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، (د.ت).
١٧٥-الكتاب المقدس، الترجمة العربية المتداولة، مصر، ١٩٧٣م.

١٧٦-الكتابة من أقلام الساميين إلى الخط العربي، سيد فرج راشد الخانجي، القاهرة، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.

١٧٧-كشاف اصطلاحات الفنون، للشيخ محمد علي بن علي التهانوي، دار الخلافة مطبعة إقدام (١٣١٧هـ).

١٧٨-الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله الزمخشري، بيروت، (د.ت).

١٧٩-كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر، لابن العماد، تحقيق ودراسة الدكتور فؤاد عبدالمنعم أحمد، الإسكندرية، ١٩٧٧م.

١٨٠-كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون، للإمام ملا كاتب جلبي، دار سعادات، استنابول، ١٣١٠هـ.

١٨١-كلمات القرآن تفسير وبيان، حسنين محمد مخلوف، دار المعارف، القاهرة، ١٣٧٥هـ، ١٩٥٦م.

١٨٢-الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية) لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفوري، تحقيق عدنان درويش، ومحمد المصري، دمشق، ١٩٧٤م.

١٨٣-كنوز الحقائق للمناوي، القاهرة، (د.ت).

١٨٤-لسان العرب لابن منظور، القاهرة، طبعة دار المعارف، (د.ت).

١٨٥-لطائف الاشارات، للإمام القشيري، قدم له وحققه وعلق عليه إبراهيم بسيوني، القاهرة، (د.ت).

١٨٦-لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم، لأبي عبدالقسم بن سلام، شرح وتعليق وتحقيق الدكتور عبدالحميد السيد طلب، الكويت، ١٩٨٤م.

١٨٧-اللغة بين المعيارية والوصفية، للدكتور تمام حسان، القاهرة، ١٩٥٨م.

١٨٨-اللغة العربية في عصور ما قبل الإسلام، لأحمد حسين شرف الدين، القاهرة، ١٩٧٥م.

١٨٩-لماذا تأخر المسلمون؟ للأمير شكيب أرسلان، بيروت، ١٩٦٩م.

١٩٠-ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد، للمبرد، باعتناء الأستاذ عبدالعزيز الميمني الراجكوتي، القاهرة، ١٣٥٠هـ.

١٩١-ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه، للأصمعي، تحقيق ماجد حسني الذهبي، دمشق، ١٩٨٧م.

١٩٢-المؤتلف والمختلف، للآمدي، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، القاهرة، ١٣٨١هـ، ١٩٦١م.

١٩٣-مباحث في علوم القرآن، مناع خليل القطان، القاهرة، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

١٩٤-المحتسب في تبيين وجوه وشواذ القراءات، لابن جني، تحقيق علي النجدي، وعبدالحليم النجار. وعبدالفتاح شلبي، القاهرة، ١٣٨٦هـ.

١٩٥-مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى عارضه بأصوله وعلق عليه الدكتور محمد فؤاد سزكين، القاهرة، (د.ت).

١٩٦-مجالس ثعلب، لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب، شرح وتحقيق عبدالسلام محمد هارون، القاهرة، ط١، ١٩٤٨م، ط٢، ١٩٨٠م.

١٩٧-مجمل اللغة، لأحمد بن فارس اللغوي، دراسة وتحقيق زهير عبدالمحسن سلطان، بغداد، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

١٩٨-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي، تحقيق المجلس العلمي، بفاس، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.

١٩٩-المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، لابن سيدة، تحقيق الدكتورة عائشة عبدالرحمن، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٧٧هـ، ١٩٥٨م.

٢٠٠-المخصص، لابن سيدة، القاهرة، (د.ت).

٢٠١-مختصر في شواذ القراءات، لابن خالوية، نشرة برجشتراسر، القاهرة، ١٩٣٤م.

٢٠٢-مدخل إلى الألسنية، الدكتور يوسف غازي، دمشق، ١٩٨٥م.

٢٠٣-المدخل إلى التفسير الموضوعي، عبدالستار فتح الله سعيد القاهرة ١٤١١هـ.

٢٠٤-المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبدالتواب، القاهرة، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

٢٠٥-مدخل إلى علم النفس، محمد فرغلي فراج، القاهرة، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.
٢٠٦-المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، لعبدالرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة، حققه طيار آلتي قولاج، بيروت، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م.
٢٠٧-المزهر في علوم اللغة للسيوطي، تصحيح محمد أحمد جاد المولى، ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي وآخرين، بيروت، ١٩٨٦م.
٢٠٨-مسائل الرازي في غرائب أي التنزيل، تأليف محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق إبراهيم عطوه عوض، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٥م.
٢٠٩-المستشرقون، نجيب العقيقي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩م.
٢١٠-المسلسل في غريب لغة العرب، لأبي الطاهر محمد بن عبدالله التميمي، تحقيق محمد عبدالجواد، القاهرة، ١٣٧٧هـ، ١٩٥٧م.
٢١١-المصاحبة في التعبير اللغوي ، محمد حسن عبدالعزيز، القاهرة، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.
٢١٢-المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تأليف أحمد بن محمد المقري الفيومي، القاهرة، ١٩١٢م.
٢١٣-معالم تاريخ وحضارة مصر الفرعونية، سيد توفيق، القاهرة، ١٩٨٧م.
٢١٤-معاني القرآن، للأخفش الأوسط، تحقيق ، فائز فارس، الكويت، ١٩٧٩م.
٢١٥-معاني القرآن، لأبي زكريا الفراء، تحقيق أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، القاهرة، ١٩٨٠م.
٢١٦-معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، تحقيق عبدالجليل عبده شلبي، القاهرة، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
٢١٧-معترك الأقران في إعجاز القرآن، للسيوطي، تحقيق علي محمد البيجاوي، القاهرة، ١٣٩٢هـ، ١٩٧٣م.
٢١٨-معجم التراكيب والعبارات الاصطلاحية القديم منها والمولَّد، لأحمد أبي سعيد، بيروت، ١٩٨٧م.

٢١٩-المعجم الذهبي (فارسي عربي)، محمد التونجي، بيروت، ١٩٨٠م.
٢٢٠-المعجم الصوفي، سعاد الحكم، بيروت، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.
٢٢١-معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، لعمر رضا كحالة، بيروت، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٦م.
٢٢٢-المعجم الكامل في لهجات الفصحى، جمع وترتيب الدكتور، داود سلوم، بيروت، ١٩٨٧م.
٢٢٣-المعجم اللغوي التاريخي، للأستاذ فيشير، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٩٦٧م.
٢٢٤-معجم لغات القبائل والأمصار، جميل سعيد وداود سلوم، المجمع العلمي العراقي، ١٩٧٨م.
٢٢٥-المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبدالباقي، القاهرة.
٢٢٦-معركة الوجود بين القرآن والتلمود، عبدالستار فتح الله سعيد، القاهرة، ١٤٠٢هـ.
٢٢٧-مفاتيح الغيب (التفسير الكبير للرازي)، القاهرة، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م.
٢٢٨-المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني - تحقيق محمد سيد كيلاني - القاهرة ١٣٨١هـ، ١٩٦١م.
٢٢٩-المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي - بغداد ١٩٧٦م.
٢٣٠-المفصل في قواعد اللغة السريانية وآدابها، محمد عطية الإبراشي وعلي العناني وليون محرز - بولاق (١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م).
٢٣١-المفضليات، للمفضل الضبي - تحقيق أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون، القاهرة، ١٣٦١هـ، ١٩٤٢م.
٢٣٢-مفهوم لأمة في القرآن الكريم وتطوره حتى العصر الحديث - لمحمد عوده سلامة رسالة ماجستير القاهرة، ١٩٨٧م.
٢٣٣-مقاييس اللغة لابن فارس - القاهرة ، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

٢٣٤-مقدمة في أصول التفسير، للإمام ابن تيمية تحقيق محمود محمد نصار، القاهرة، (د.ت).

٢٣٥-المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى لأبي حامد الغزالي - دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت - القاهرة ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

٢٣٦-ملحمة جلجاميش - حققها ونقلها إلى الانكليزية ن. ك. ساندرز - ترجمة محمد جميل نوفل وفاروق حافظ القاضي - دار المعارف - ١٩٧٠م.

٢٣٧-منتخبات في أخبار اليمن من كتاب شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم - لنشوان ابن سعيد الحميري، دمشق، ١٩٨١م.

٢٣٨-المنجد في اللغة لأبي الحسن علي بن الحسن الهنائي - المشهور بكراع - أحمد مختار عمر وضاحي عبدالباقي. القاهرة، ١٣٩٦هـ، ١٩٧٦م.

٢٣٩-منهج أهل السنة في التفسير (دراسة موضوعية لجهود ابن القيم في التفسير)، صبري المتولي، القاهرة، ١٩٨٧م.

٢٤٠-الموسوعة العربية في الألفاظ الضدية والشذرات اللغوية - محمد بن عبدالجبار - بيروت، ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م.

٢٤١-الموطأ للإمام مالك بن أنس. صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبدالباقي - القاهرة، (د.ت).

٢٤٢-المولد (دراسة في نمو وتطور اللغة العربية بعد الإسلام) - حلمي خليل الإسكندرية، ١٩٧٨م.

٢٤٣-نزهة الأعين والنواظر في علم الوجود والنظائر لابن الجوزي - دراسة وتحقيق محمد عبدالكريم كاظم، بيروت، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

٢٤٤-نور اليقين في سيرة سيد المرسلين للشيخ محمد الخضري - تحقيق عدنان مولود المغربي - دمشق، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

٢٤٥-نظام الغريب في اللغة للربعي - تحقيق محمد بن علي الأكوع - بيروت، ١٩٨٠م.

٢٤٦-النقد العربي، عبدالحكيم راضي وعبد المنعم تليمة، القاهرة، ١٩٨٥م.

٢٤٧-الوحشيات (الحماسة الصغرى لأبي تمام) لأبي العلاء المعري - تحقيق وتعليق عبدالعزيز الميمني الراجكوتي، القاهرة، (وزاد في حواشيه محمود محمد شاكر) دار المعارف،١٩٦٣م.

ثانيًا: المراجع الأجنبية:

1- A. Ermao & H. Groper, Worterbuch der Agyptischen Sprache, I, Berlin 1971.

2- Arthur Jeffery, Forign Vocabulary of The Qur,An, 1938 Baroda 1938.

3- John Lyons Semantics Cambuidge, London, 1976.

4- Leonard, Bloomfield, Language, London, 1976.

5- Wilhelm Von Hymboldt, on Language Translated By Peter Heath Cambridge University, Press, 1988.

6- Sabatino Moscati, A. Spitaler, Ullendorf and Von Soden, An Introduction. Of The Comparative Grammer Of Sematic Languaes, Cambridg, 1890.

ثالثًا: المراجع العبرية:

1- Norman Henry Snaith

ספר תורה נביאים וכתובים

سفر التوراة ، الأنبياء والمكتوبات

London Hebrew Old Testament 1983.

2- I.Kojman = יקרגמן = ي قوجمان -

חלרן עבןי ערבי - قاموس عبري عربي

Cairo 1970 –

* * *